الطب والأطباء

في مختلف العهود الإسلامية

تأليف الدكتور

محمود دياب

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية



اهداءات ٢٠٠١

الدكتور محمود دياب

الطب والأطباء

في مختلف العهود الإسلامية

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

المطبعة الفنية الحديثة
٣٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت [illegible]

الفهرس

صفحة

إهداء إلى الوالدين العزيزين ١

مقدمة الكتاب ٣

الباب الأول : مدخل إلى الطب الإسلامى ١١

الفصل الأول : كيف نشأ الطب الإسلامى ١٣

الفصل الثانى : الطب المصرى القديم ١٦

الفصل الثالث : الطب الإغريقى ٣٥

أبقراط — جالينوس ٥٠

جند يسابور ٧١

الباب الثانى : طب العصر النبوى ٧٩

الفصل الأول : الأعجاز الطبى فى القرآن الكريم . . . ٨١

الفصل الثانى : الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب . . ١٠٢

الفصل الثالث : أطباء عصر النبوة . الحارث ابن كلدة

والنضر بن الحارث وابن أبى رمثة التميمى . ١٠٧

الباب الثالث : طب العصر الأموى ١١٣

الفصل الأول : تاريخ الطب فى العصر الأموى . . . ١١٥

الفصل الثانى : أطباء عصر بنى أمية ابن أثال . خالد بن يزيد

نيا ذوق . زينب طبيبة بنى أود ١٢٠

صفحة

الباب الرابع : الطب فى العهد العباسى ١٣٣
الفصل الأول : ازدهار الحضارة الإسلامية وتسامح المسلمين مع أهل الذمة ١٣٥
الفصل الثانى : تاريخ الطب الإسلامى فى العصر العباسى . ١٤١
الفصل الثالث : أطباء العهد العباسى جبرائيل بن بختيشوع والأطباء النقلة . ١٤٢

الباب الخامس : أطباء القمة المسلمون فى العصر الزاهر . . . ١٦٥
الفصل الأول : ماذا جدد أطباء القمة المسلمون فى الطب وما امتاز به الطب الإسلامى ١٦٧
الفصل الثانى : حالة الطب فى أوروبا فى عصر الإسلام الزاهر والطرق التى تسرب منها الطب العربى الاسلامى إلى الغرب ١٨٠
الفصل الثالث : أبو بكر الرازى ١٨٦
الفصل الرابع : ابن سينا ٢٠٨
الفصل الخامس: أبو الحسن ثابت ابن قرة الحرانى . عائلة زهر أبو القاسم الزهراوى ٢٣٦
الفصل السادس: بعض مشاهير الأطباء . عبد اللطيف البغدادى ابن نفيس. على بن رضوان .ابن بطلان . . ٢٥٣

الباب السادس : الطب فى عصر التخلف وتراجم لبعض أطباء عهدهم ٢٨٧
أحمد ابن أبى الأشعث ٢٩٠
أوحد الزمان ابن أبى البركات ٢٩١

صفحة

المنتري ٢٩٤
أمين الدولة بن التلميذ ٢٩٦
رشيد الدين أبو حليقة ٣٠٠
نظر على العجمى ٣٠٢
عبد القادر المكناسى ٣٠٤
الباب السابع : الطب فى عصر اليقظة وتراجم لبعض أطبائهم . . ٣٠٧
الدكتور كلوت بك ٣١٠
« محمد على باشا الحكيم البقلى . . ٣١٤
« سالم باشا سالم ٣١٧
« محمد شكرى باشا ٣٢١
« محمد الدرى باشا ٣٢٤
« محمد بدر بك ٣٢٨
« حسن محمود باشا ٣٣٠
« محمد علوى باشا ٣٣٢
« ظيفل حسن باشا ٣٣٥
« محمد توفيق صدقى بك . . . ٣٣٦
« على إبراهيم رامز بك . . . ٣٣٧
الباب الثامن : الطب فى عصر النهضة ٣٣٩
الفصل الأول : تاريخ الطب فى عصر النهضة ٣٤١
الفصل الثانى : تراجم لبعض أطباء العهد . . . .
الدكتور على إبراهيم ٣٤٩
الدكتور سليمان عزمى ٣٦٥

صفحة

الدكتور عبد العزيز اسماعيل ٣٧٩
الدكتور محمد خليل عبد الخالق ٣٨٤
الدكتور أنور المفتي ٣٩٢
خاتمـــة ٣٩٩
مراجع البحث ٤٠٣

الإهـــداء

إلى والدى العزيزين

لم أجد خيراً من الوالدين العزيزين أهدى إليهما هذا الكتاب .

فوالدى الحاج «دياب فريج» عميد بنى العرب وشيخها شفاه الله .

هو الذى علمنى كيف يكون الكفاح فى الحياة وكيف يكون الدفاع عن الحق وكان قد حضر دروس المرحوم الامام الشيخ محمد عبده فى الأزهر فتأثر بشخصيته قبل أن تضطره وفاة والده الحاج فريج شعيب يحيي أول عمده لبنى العرب أن يعود إلى القرية شابا أزهرياً يكدح فى الحقل كى يربينى وتتحول قطرات عرقه إلى جنيهات يحرم نفسه ليصرفها على وما أفدح وأغلى ثمن التعليم الذى تعلمته وأفنى فيه شبابه وقوته .

وكان كل شيء لديه يهون ما دمت أصل إلى الغاية التى يرجوها لى وطالما وقفت أمام شخصيته المهيبة التى ينبعث منها ومن وجهه الوسيم المتغضن نور الصلاح والطمأنينة والتقوى .

وطالما رفع يديه إلى السماء وتمتم بصوت خافت من فعل السنين ،واضح من أثر اليقين ضارعاً إلى الله أن يسدد خطانا ويكلل بالنجاح مسعانا .

ولقد استجاب الله لدعائه وسدد خطانا وكلل بالنجاح مسعانا .

أما والدتى «الحاجة ستهم على شعيب» رحمها الله فهى التى كانت نعم المعين له على تدبير المال اللازم للصرف على طول دراستى . وهى التى كانت لا تنام طول أيام امتحانى وترقب النتيجة بقلب واجف حتى إذا نجحت استراحت شاكرة لله فضله علينا وما استراحت تمام الراحة حتى تخرجت وذهبت لتحج إلى بيت الله الحرام مرتين لتشكر لله نعماءه علينا .

لقد أجرى الله النعمة على شخصى بفضل والدى ولقد جاء فى حديث قدسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (عبدى لم تشكرنى إن لم تشكر من أجريت النعمة على يديه) .

فلهما منى الشكر وأطيب الدعاء ومن الله الرضا وحسن الجزاء .

محمود دياب

مقدمة

لقد اخترت موضوع الطب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية لأبين أولا أن الطب قد تقدم على يد المسلمين وأنهم وصلوا إلى القمة ممثلين فى ابن سينا والرازى وأبى القاسم الزهراوى بحيث أصبحوا الرواد للطب الحديث .

وقد تكلمت على مختلف العصور لأن الأطباء فى جميع عصورهم يستمدون من منهل واحد .

وأردت أن أبين أن المنهل الذى انتهل منه اليونان وعلى رأسهم ابقراط وجالينوس إنما هو طب قدماء المصريين .

ولم يكن لى فضل الاختيار فى ذلك لأن هذه أمانة علمية .

ولقد أوضحت منشأ الدراسة الطبية القديمة . . والطب نشأ منذ نشأ الإنسان ولكل أمة طريقتها . . ولكن الطب المعروف بدأ على يد المصريين القدماء وكان للأطباء فى المجتمع المصرى مكان مرموق وكانت تنسب صناعة الطب إلى ملوكهم . ولقد علت شهرة الأطباء فى مصر فملأت أسماع الدنيا وأرسل الأباطرة مثل كيروش ملك فارس إلى فراعنة مصر يرجوهم أن يبعثوا ببعض أطبائهم ليعملوا فى بلاطه .

وكان الطب لدى المصريين مزيجاً يخلط الواقع بالخيال .

وكان الأطباء على نوعين : الطبيب العلمانى ويسمى سنونو وهو الطبيب المعالج . والطبيب الكاهن وكان يقوم بدور الوسيط بين المريض والإله ويعتبر طبيباً روحياً .

وكان الملاج يعتبر قائما فعلا بالأطباء المعالجين وكان بينهم الأطباء الإخصائيون (الجراحون والباطنيون وأطباء العيون وأطباء الأسنان) .

ولقد نقلت بعض ما جاء فى أوراق البردى .

وظهر فى بردية إيبرز وصف لبعض العلامات الطبيعية التى يستند إليها الأطباء كوسيلة للتشخيص مثل علامة التموج التى نستعملها اليوم فى الكشف على وجود السوائل فى داخل الورم إذ يقول المؤلف إن على الطبيب أن يرى : هل جزء من الجسم يتحرك تحت الضغط ثم يعود ثانية أو أنه يرتعش تحت يديه ؟

وليس أدل على مدى عمقهم فى الفحص من وصفهم لحالة انسداد معوى بقولهم إذا قمت بفحص رجل يشكو من مغص فى بطنه وكان بطنه صلبا يابسا من التهاب أو قيح فيه لا تجد طريقا يخرج منه فإنه سيتدفق فى بطنه وسيحدث له التواء فى أمعائه .

ولقد ذكرت أسماء بعض البرديات ولم أنقل منها خشية التطويل .

ولقد نقلت عن بردية أدوين أسميث ترجمة برستيد عن الأصل الهيروغليفى بعض إرشادات عن حالات كسور عظام مما يعتبر بحق رائد فى ذلك الوقت المتناهى فى القدم ومن عهد قدماء المصريين وأبقراط توجد طرق للتشخيص لم تتغير حتى الآن فليس الطب وقفا على المجهر (الميكروسكوب) وأنبوبة الاختبار وغيرها من الاجهزة الحديثة وإنما يعتمد أولا على فحص المريض فحصا دقيقا وقوة ملاحظة الطبيب وكثرة دراسته وتجاربه .

ولقد كان البابليون يعتبرون أن الكبد مركز الدم ومركز الحياة على حين يعتبر المصريون أن التنفس هو الأساس وأن النفس تقف قبل وقوف الدم .

ولقد جاء فى صفحة ٥٢ من تاريخ الطب (كريمهار) المطبوع فى نيويورك سنة ١٩٤٧ أن المصريين اعتبروا القلب مركز الدم وعرفوا النبض وتاريخ

الحشرات وأمراض العيون والأورام والروماتزم وأمراض النساء وهذا ظاهر فى بردية كاهون .

ولم يعرف المصريون النبض والتموج وغيرها فحسب بل عرفوا أيضا سماع القلب كما ورد فى بردية أبيرز ووصفوا الدواء من مختلف الفواكه ووصفوه من مختلف النباتات مثل المر والخس والأفيون ووصفوه من المعادن مثل مستحضرات الرصاص ووصفوه من مختلف أجزاء الحيوانات بل قد وصفوا الحبوب والبرشام لعلاج الإمساك ، أو لتقليل الآلام .

ولقد تقدم التفكير الطبى خطوة إلى الأمام وابتدأ ظهور الطب اليونانى القائم على أسس علمية .

هذا فضلا عن الأساس الأول الذى قام عليه طب قدماء المصريين وهو الملاحظة والفحص وقوة التفكير وحب المعرفة وأخرج أبقراط قسمه الذى يعتبر أفضل قسم يمكن أن يبدأ به الطبيب حياته ويتخذه منهجا له فى أعماله . . ومنه المحافظة على سرية المهنة وعدم إسقاط الحوامل وعدم إعطاء دواء فيه خطر على صحة الإنسان .

وظهرت المدارس الطبية وجاء فى التعاليم القديمة أن الذى يرغب فى المعرفة الدقيقة لمهنة الطب يجب أن يكون له رغبة خاصة فيها ويجب أن يلتحق بمدرسة طبية جيدة .

ولقد ظهرت بعض العمليات مثل التربنة وتقدمت الأسلحة الجراحية .

وجاء فى صفحة ١٧٤ من كتاب تاريخ الطب السالف ذكره أن المادة الطبية (العقاقير) اليونانية قد كتبت ويرجع كثير منها بلاشك إلى الطب المصرى .

وظهر جاليتوس والذى يهمنا فى حياته أنه تعلم فى أزمير على يد بليوس وتعلم

فى مدرسة الإسكندرية الطبية التشريح والعلاج الطبي . وكان يستعمل ملاحظته على المريض وتجاربه الشخصية .

وكان لابد من الكتابة عن جالينوس فى حياته الخاصة والعامة لأن كل مرجع من المراجع الطبية القديمة يرجع كلامه إلى الفاضل جالينوس ونقلت ملخصاً بسيطاً من مصنفاته مثل كتاب الصناعة وكتاب النبض ودلائل الأورام وذكر فى كتابه العظام أن التشريح أساس لجميع فنون الطب ووصف العظام واحدة واحدة وكيف تتصل بعضها ببعض وكتاب فى العضل وتشريح العصب وتشريح العروق الضوارب وغير الضوارب (الشرايين والأوردة) .. وكتاب عن منافع الأعضاء والأدوية المفردة .

وتعتبر كتابات جالينوس مصدراً من مصادر الطب العربى والإسلامى وكان واثقاً من سعة علمه الطبي .

ولقد زاد علم وظائف التجريبي ويعتبر مؤسسه وزاد فى وصف الأمراض وتعد كتاباته مرجعاً هاماً فى العصر القديم .

لقد نقل أطباء العرب قبل الإسلام وعلى رأسهم الحارث بن كلدة الطب الفارسي واليونانى عن طريق مدرسة جند يسابور .

ولم يختلف الطب فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام كثيراً عما قبله ولكن نزلت آيات كثيرة فى القرآن تبين مدى الإعجاز الطبي فيه .

ولقد كان هناك شبه عزلة للعرب فى الجاهلية فلم يتمكنوا من الاغتراف من الحضارات القديمة .

ولما ظهر الإسلام قضى المسلمون على هذه العزلة قضاء مبرما ومكنهم الإيمان بالإسلام من أن يفتحوا العالم المتحضر كله فى ذلك الوقت ولم يتجاهل المسلمون علوم البلاد التى دخلوها ولم يقلل أمراء المسلمين من قيمة العلماء فى أى فن بل كرموهم وقدروا علمهم واعترفوا لهم بالفضل .

وبينت أن ذهن العربى يتميز بالشدة والصفاء والحده وأن الإيمان الذى جاء به محمد كان له سحر غريب ارتفع به أتباعه من الأرض إلى السماء ، وكان القرآن هو الحافز الأكبر لسر رفعتهم ورفعة الإسلام .

وبينت أن الأمويين كانوا حكاماً قادرين فى منتهى القدرة أن يفتحوا العالم المعروف كله فى ذلك الوقت ومتسامحين فى منتهى التسامح مع جميع رعاياهم .

وأصبح معظم أطبائهم مسيحيين يدينون بغير دينهم .

ولقد زاد العباسيون فى تسامحهم وأقاموا دار الحكمة فى بغداد التى أقام الدكتور على إبراهيم باشا رائد الطب المصرى الحديث دار الحكمة المصرية على غرارها .

وبينت كيف كانت المساجد جامعات إسلامية وأن بعضها كان يعج بالطلبة من المشارق والمغارب،وكانت اللغة العربية الملتصقة بالإسلام القوة الموحدة للغة واحدة وديانة واحدة وكان فضلها كبيراعلى العالم فى أنها حفظت الحضارات القديمة ونشرتها وزادت فيها وفى تطورها حتى مهدت لحركة إحياء العلوم الحديثة .

وحين ظهر الإسلام ظهر ابن قرة الحرانى وابن بختيشوع وحنين ابن اسحاق ويعتبر الأخير خير تلميذ للثقافة اليونانية الطبية وفى عهده وضعت المصطلحات الطبية باللغة العربية وأصبحت لغة طبية عالمية منذ ذلك الوقت .

ولقد أثبت أن ابن النفيس وعبد اللطيف البغدادى قد تمردا على جالينوس الفاضل فى التشريح وهو أعظم ما يعتزبه فلقد قال البغدادى فى مؤلفه (الإفادة والاعتبار) إن جالينوس وإن كان فى الدرجة العليا من التحدى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه فإن الحس أصدق منه من ذلك عظم الفك الأسفل فإن الكل قد اتفقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك والذى شاهدناه هوأنه عظم واحد.

وتكلم عن العجز فقال ذكر جالينوس أنه مؤلف من ستة أعظم ووجدته عظماً واحداً.

وبينت ما امتاز به الأطباء المسلمون عن غيرهم فى العصور القديمة من إنشاء البيمارستانات وامتيازهم فى الفن الإكلينيكى وأبرزت الرازى بما يستحقه فلقد كانت ملاحظاته فى غاية الدقة وكان شديد الحرص على تاريخ المرض ونقلت اوصافه للمرضى وأنه يعتبر بما وصفه فى فقراته المتعددة من أكبر الأطباء الإكلينيكيين فى العالم حتى اليوم ولقد استعمل الرازى مصارين الحيوانات فى الغرز واستعمل مرهم الزئبق .

وبينت أن العرب عرفوا الفروق بين أمراض كثيرة متشابهة وأنهم زادوا فى دقة تشخيص المرض، ولقد ظهر ابن سيناء كعنوان للتفكير العلمى الإسلامى ووصل إلى غاية لم يصل إليها أحد قبله فى الفكر الإسلامى سواء اكان فى الفلسفة أم الطب .

فقد وصف ابن سيناء الأعراض لكل مرض وزاد بصفة خاصة التهاب الغشاء البلورى وأمراض المصارين والزهرى .

ووصف الأدوية المختلفة التى تعتبر أساساً لأدويتنا الحديثة .

وتعتبر كتبه أساسا للنهضة الطبية الحديثة .

واستمرت دراستها فى أوربا حتى آخر القرن الثامن عشر. ولقد ظهر أبو القاسم الزهراوى فى الأندلس ووصف شق العانة والقسطرة ووصف كيفية وضع الغرز فى المصارين .

ويعتبر أول جراح كلاسيكى فى العالم وتعد كتبه أساس الجراحة الحديثة .

ولقد وصفت الحقبة الثالثة وهى عصر انحطاط الطب فى عهود الأتراك والمماليك.

وبينت الطرق المختلفة التى تسرب منها الطب العربى إلى الغرب .

وأثبت علاقة ابن النفيس بالياجو الذى نقل الطب الإسلامى إلى أوربا .

وبينت تسامح الإسلام والمسلمين مع أهل الذمة من المسيحيين واليهود إذ سمح أمراؤهم بعلاجهم وفتحوا المدارس الطبية فى بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة

وسمحوا لهم بالعمل فيها والوصول إلى منصب كبير الأطباء أو ساعور الأطباء كما يسمونها فى ذلك الوقت .

كما أظهرت حال الطب فى أوربا فى ذلك الوقت .

ونقلت ماقام به أطباء كل عصر حتى العصر الحاضر .

أما الطب الحديث فلقد استمر فى تقدمه وظهر التخدير والمضادات الحيوية وأدق الأجهزة العلمية .

ولقد ظهر عندنا فى العصر الحديث أطباء عالميون يشار إليهم بالبنان ذكرت طائفة منهم وعلى رأسهم رائد الطب المصرى الحديث الدكتور على إبراهيم رحمه الله.

الباب الأول

مدخل إلى الطب الإسلامى



الباب الأول :

الفصل الأول

كيف نشأ الطب الإسلامى

قدر للأمة العربية أن تكون أمة وسطا فى أمور كثيرة .. فبلادها وسط بين الشرق والغرب . . ولم تنتشر لغتها انتشارها العظيم إلا بفضل الإسلام .

وحضارة الأمة العربية بل بمعنى أدق حضارة الأمة الإسلامية وسط بين القديم والحديث وظهرت فيها مبادىء قام عليها التفكير الحديث .

والطب وسط بين جميع العلوم لأنه العلم الذى يتصل بكل أنواع الحياة فهو يتصل بالجغرافيا لأن كل منطقة من الأرض لها أمراضها .

ويتصل بالتاريخ لأن دراسة أية حضارة يدخل فيها الطب والأطباء .

ويتصل بالزراعة لأن النبات يؤخذ منه جميع أنواع الأغذية النباتية ويؤخذ من بعضه الأدوية .

ويتصل بميلاد الإنسان وبحياته وبفنائه .

ويتصل بالنفس والروح والجسد ولذلك يخضعه للحقائق الواقعية والتجارب العملية .

ولذلك يجد الإنسان نفسه حين يدرس تاريخ الطب الإسلامى ومكانه فى الحضارة القديمة والحديثة مضطراً إلى الإلمام بالكثير جداً من تطورات الجنس البشرى كله .

غزا الإسلام بقوة الإيمان جزيرة العرب أولا ثم ابتدأ يدك معاقل الإمبراطورية الرومانية حصنا بعد حصن، وغزا فارس وما وراءها حتى دانت له الأرض من الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غرباً . وحين دخل الإسلام هذه الممالك لم يتجاهل علوم البلاد التي دخلها ولم يقلل امراء المسلمين من قيمة العلماء بل كرموهم وقدروا علمهم واعترفوا لهم بالفضل .

ولقد أخذ المسلمون عن اليونانيين والفرس علومهم الطبية ودرسوها وزادوا عليها فالطب الإسلامي مرتبط ارتباطا وثيقاً بالطب الإغريقي ولقد أسس الإغريق مدرستهم الطبية على قوة الملاحظة وفحص المريض وتجربة العلاج وطورت مدرسة الإسكندرية طرق علاجهم وعنها أخذ جالينوس كثيراً من تعاليمها ولقد نظم جالينوس الطب الإغريقي وجعله فصولا فى كتب وانتعش الطب اليونانى فى سوريا حيث وضعت كل الحضارات بصماتها فى أرضها إذ غزاها الحيثيون والبابليون والمصريون والعجم وهى التى أصبحت ملجأ للفكر اليونانى وخاصة الطب ووجدت مدرسة النساطرة الطبية القديمة ومات نسطريوس بطريرك القسطنطينية فى القرن الخامس الميلادى (٤٤٠) ميلادية منفيا فى مصر بعد أن قامت فتنة دينية حول العقائد المسيحية .

ولقد أسس النساطرة مدرسة اديسا ونصيبين اللتين أخذتا مكانا هاما فى نهاية القرن الخامس الميلادى وهم الذين أتوا بالحضارة اليونانية إلى سوريا فى منفاهم وترجموا الكتب اليونانية إلى السريانية ونقلوا الحضارة إلى ما بين النهرين ووجدوا ملجأ لهم فى فارس حيث أسسوا مدرسة جنديسابور ودرسوا فيها كل العلوم والفنون وعلموا فيها تعاليم ارسططاليس وابقراط ولجأ إليها الفلاسفة الإغريق فى سنة ٥٢٩ ميلادية . وتعلم فيها الحارث ابن كلدة والنضر ابن الحارث وبختيشوع وأبناؤه وحنين بن إسحاق وما سويه وكل الأطباء الذين ظهروا فى العهد الإسلامى الأول قبل ظهور دار الحكمة ببغداد .

واختفت جنديسابور فى القرن التاسع للميلاد وحين اتحد العرب بقوة الدين الإسلامى وفتحوا سوريا وفارس اكتشفوا هذه المدارس القديمة. وإن كان فى

الحقيقة أنهم لم يكونوا بعيدين كل البعد عنها واستفادوا منها حتى أسسوا ؛ مدارسهم الطبية التى فتحوها لجميع أبناء البلاد الإسلامية من مسلمين ويهود ونصارى فلقد تأسست مدرسة بغداد عام ٧٦٢ ميلادية وكان الخلفاء أول مساعد للأخذ بجميع الحضارات وأصبحوا أكبر الحماة لمدارس العلم والطب وتبع إنشاء مدرسة بغداد الطبية إنشاء مدارس أخرى فى سمر قند وأصفهان ودمشق . وبنيت المبانى حول الجامع وسكن فيها الطلبة الذين يتعلمون مختلف العلوم والأساتذة الذين يعلمون ووجدت المستشفيات والمكتبات بجوارهم .

وكانوا يتعلمون كل شىء من الدين إلى الفلسفة إلى الطب، ولقد ساعد المنصور ثانى الخلفاء العباسيين مدرسة بجنديسابور .

وأسس هارون الرشيد أول مستشفى إسلامى وأسس المأمون دار الحكمة فى بغداد وأحضروا لها التراجمة والأطباء ليترجموا كتب اليونان الطبية وخاصة كتب جالينوس وساد بذلك الطب الإغريقى سائر البلاد الإسلامية .

وهكذا أصبح لزاما على أن أنقل الطب الإغريقى وما فيه وأبقراط وجالينوس.

ولقد بينت أن جالينوس استقى معلوماته الطبية فى الإسكندرية ولذلك نقلت طب قدماء المصريين لأنه المصدر الذى استقى منه جالينوس طبه قبل التكلم بالتفصيل على طب المسلمين فى مختلف العصور .

الباب الأول :

الفصل الثاني

الطب المصرى القديم

لدراسة الطب فى الإسلام لابد أن نعود إلى المنابع التى انتهل منها وهى طب قدماء المصريين وطب الإغريق .

إن أقدم طب عرف فى التاريخ هو الطب المصرى القديم ولقد ظهر ذلك جليا فى البرديات والحفريات المختلفة وعلاج الكسور بالجبائر كما هو موجود فى أبهاء المقابر وفى أبوابها .

وعرف قدماء المصريين الجراحة سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد كما وجدها ماكس مولر فى مقابر قرب ممفيس ،والجراحة لم تصل طبعا إلى الحد الموجود الآن ولكن عرفت الطهارة وعمليات فى الرقبة .

ولقد نقلت عن طب قدماء المصريين من أوراق البردى ونقلت عن بردية ادوين اسميث ما يمكن أن يعطى القارىء الكريم فكرة تامة عن علاجهم

الطب عند قدماء المصريين (١)

كان للطب فى مصر الفرعونية شأن عظيم وكان للأطباء فى المجتمع المصرى مكان مرموق . وليس أدل على ذلك من أن ينسب التاريخ إلى ملوكهم هذه الصناعة والبراعة فيها ، واستخراج أسرارها من الأرباب .

وقد علت شهرة الأطباء فى مصر فملأت أسماع الدنيا ؛ وأرسل الأباطرة ، أمثال كيروش ملك فارس إلى فراعنة مصر يرجون أن يبعثوا إليهم ببعض أطبائهم ليعملوا فى بلاطهم ، وقد كان عشاق هذه الصناعة يحجون إلى مصر من كل فج ، ويلجأ إلى أطبائها الأمراء والحكام يلتمسون عندهم البرء والشفاء .

ولقد جرى المصريون من آل فرعون على نقيض من عاصرهم من أمم الأرض فى بناء حياتهم ، معتمدين على ملاحظات واقعية وخبرات علمية. غير أن رواسب الماضى السحيق من مخلفات السلف قد شابت ما حققته النظرات الواقعية والأساليب التجريبية وأصبح تراثهم من صناعة الطب بين أيدينا مزيجا يختلط فيه الواقع بالخيال

ولذا فان المعنيين بالعلاج كانوا على أنواع : فالى جانب الطبيب العلمانى الذى كان يسمى « سونو » أدى الكاهن دور الوسيط بين المريض والإله فى توصله لنيل الشفاء وإن كانت لديه معلومات طبية فى الطب . كما كان الساحر يحاول طرد الشياطين من جسم العليل أو فك أعمال الأرواح الشريرة . وقد كان الطبيب العلمى نفسه أى « سونو » يضطر إلى خلط بعض السحر أو الطب الكهنوتى بأساليبه العلمية المجربة كما يبدو من ألقاب بعض من زاولوا هذه المهنة .

ونرى الـ « سونو » يتدرجون فى أطار وظائف تصاعدية فى الإدارة الحكومية من طبيب إلى كبير أطباء إلى مفتش أطباء ، ومنهم من كان ملحقا بالقصر

(*) الحضارة الطبية فى مصر القديمة الدكتور/بول غليونجى والسيدة/زينب الدواخلى ص ٩

أو « خاصا بالملك أو بالزوجة الملكية أو بالحكام المحليين والنبلاء » ويظهر فى قبورهم حاملا القرابين ، مثل عنخ وقد صور وهو يحمل الطيور فى يده ، أو يؤدى عملا رسميا .

واروع مافى هذه الصناعة عند القوم أنها كانت إنسانية خالصة ، فلم تكن لصالح الموسرين وحدهم من حكام البلاد وسراتها ، وإنما كانت أيضا لصالح أفراد الشعب من عمال المحاجر والجيوش المحاربة وجميع الأهالى .

ولقد أدى بعض الأطباء دورا هاما فى حياة القصر : فنجد مثلا أن « بنتو » إلى جانب سائر ألقابه الكهنوتية والطبية الدالة على مركزه ، يحمل لقب . « الذى يدخل القصر ويخرج منه » أى « الذى يسمح له بمقابلة الفرعون فى أى وقت » ومما يدل على مكانته العالية ما وجد بالمص بعد كتابة اسمه ، من مخصص ممسكا بيده سوطا دليل القوة والعظمة واسمه الهبرو غليفى ، وكذلك نجد فى عنخ سخمت من الأسرة الخامسة يهدى إليه الملك « ساحورع » بابا وهميا من الحجر الجيرى المزدان بالوان الحجارة الكريمة ويأمر بتدوين قصة هذا الاهداء على قبره مشفوعة بأطيب عبارات المديح .

وليس فى وسعنا فى هذا المجال أن نذكر أطباء مصر الفرعونية على سبيل الحصر . وقد وصلت إلينا أسماء مائة طبيب أو تزيد ، بعضهم وجدت آثاره مهشمة أو لم يصلنا منه إلا اسمه على جزء من بردية أو من صورة . ولنا أن نفرض — إلى جانب كل طبيب تعرفنا عليه — مئات زالت آثارهم ، إذا صح ماقاله هوميروس : إن كل المصريين أطباء لأنهم من سلالة (بيون) طبيب الآلهة .

وقد بلغت صناعة الطب فى مصر الفرعونية مبلغا تخطت عنده الأصول إلى الفروع وبات أصحابها يتخصصون فى فروع مختلفة من الطب منذ أعرق العصور . فهذا هو « حسى — رع » أقدم طبيب عرف فى التاريخ ، يلقب بكبير أطباء أسنان القصر ، من عهد زوسر ، منذ ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح .

وغير ذلك مما سيتسع له الشرح فيما بعد من أطباء باطنيين وأطباء عيون وأطباء للشرج وأطباء لتفسير الفن السرى أو السوائل الخبيثة . كما جمع بعضهم مثل « ايرى نختى » بين عدد من التخصصات المختلفة .

هذا إلى جانب انهم فرقوا بين الطبيب المختص والمحترف غير الطبيب : فنجد مثلا « منكاروع نخ قد لقب « ايرى أبح » أى صانع الإسنان لتمييزه عن « نى عنخ سخمت » الذى رسم على الحجر نفسه ولقب «سو نوابح» أى طبيب إسنان .

لقد ذكر فى كتاب الحضارة المصرية القديمة تحت صورة كل طبيب كل الألقاب التى وردت بصدده دون إغفال الألقاب التى جاءت فى مصادر غير هذه الصورة أو تلك التى لاعلاقة لها بمهنة الطب ، وهذا محاولة للمؤلفين لرسم صورة كاملة للأطباء ومركزهم فى الدولة وللدور الذى قاموا به فى عالم البلاط أو فى الدوائر الحكومية .

أوراق البردى الطبية

كانت هذه البرديات جزءاً من مكتبه عظيمة مكونة من ٤٢ بردية منها ٦ تختص بالطب، وكانت هذه المجموعة تسمى « الكتب المقدسة للإله توت » إله القصر ورب الكنانة ،وكانت تحفظ فى المعابد وتعرض فى أثناء الاحتفالات الدينية . وقد فقدت هذه الكتب جميعها ،ويغلب على الظن أن البرديات الطبية التى وصلت إلينا ماهى إلا مقتطفات وملاحظات من المجموعة الأصلية . وفى ذلك يقول جورّى : ليس من العدل أن يحكم على حالة الطب فى مصر القديمة من هذه المقتطفات التى لا يمكن أن تكشف لنا عن عظمة الأسفار الأصلية .

ويظهر من هذه البرديات أنها بنيت على التخصص . وهى مكتوبة بالهيراطيقية على أوراق البردى ومن المعروف أن جميع اللفائف التى وصلت إلينا منسوخة من أصول أقدم منها ، وأهمها كاهون وإدوين سميث وايبرز وهوست وبرلين ولندن وكارلزبرج .

وهناك مخطوطات أخرى — هى لفائف ثانوية — مثل بردى جوتيزر ودستكار ، وتقع كل مجموعة من أوراق البردى فى لفائف أفقية يتصفحها القارىء من اليمين إلى اليسار . حتى إذا مافرغ من قراءتها أعاد لفها لتكون الصفحة الأولى أول ما يمكن الأطلاع عليه من جديد . وهكذا وجدت جميع اللفائف على هذه الصورة اى معدة للقراءة ، ماعدا لفافة هرست التى عثر عليها مطوية بشكل عكسى،أى أنه أهمل إعادة لفها بعدالانتهاء من قراءتها وكانت عملية النسخ تتم على يد الكتاب المحترفين لا بوساطة الأطباء . وكان الخط المستعمل هو الهيراطيقى وهو نسخ الهيروغليفى ، وكان يكتب بالمداد ماعدا الأرقام والعناوين والهوامش فانها كانت تدون بالمداد الأحمر .

(*) كتاب فى الطب المصرى القديم للدكتور / نجيب رياض صفحة ٢٩

ولم يـكن ثمة فهارس لهذه الـكتابات ، ولم يـكن أوراق البردى مجرد مؤلفات تـكتب لتظل سجينة المـكتبات ، وإنما كانت متداولة بين الأيدى كل يوم كما يتضح ذلك من التفسيرات والتعليقات الـكثيرة المدونة فى هوامشها .

نتـكلم الآن عن كل بردى :

١ — بردى كاهون :

وهو أقدمها ، وترجع كتابته إلى حوالى ١٩٠٠ ق . م وقد اكتشفه فلاندرز بترى سنة ١٨٩٣ م ويقع فى ثلاث صفحات فقدت من ثانية صفحة أجزاء كثيرة، وعلى ظهره كتب حساب من وقت امنحات الثالث (١٨٥٠ — ١٨٠٠ ق . م) وتضم الصفحتان الأولى والثانية ١٧ تشخيصا فى أمراض النساء كما تحوى الصفحة الثالثة ١٥ علامة للتيقن من الحمل وبيان نوع الجنين، وهذا البردى تنقصه سطوره الأخيرة . فلا نعرف أكامل هو أم ناقص تنقصه صفحات .

٢ — بردى أدوين سميث :

وهو يعتبر توءما لبردى إيبرز ، والاثنان اكتشفا معا سنة ١٨٦٢ م حيث اشترى سميث برديته من بائع العاديات مصطفى أغا بالأقصر ، وتاريخ إعادة كتابه هذين البرديين واحد تقريبا (حوالى ١٥٥٠ ق . م) وقد قدمت ابنة مستر سميث بعد وفاة والدها هـــذا البردى للجمعية التاريخية بنيويورك حيث يوجد الآن .

وقد وصف العالم برستد لفافة إدوين سميث هذه بأنها أقدم كتاب للجراحة فى العالم ، وأنها نسخة من مؤلف أصلى يرجع تاريخه إلى ٣٠٠٠ سنة ق . م وهى مـكونة من ١٧ عمودا أو ٣٣ سطرا وتحتوى فاتحته على كتاب الجروح الذى يشمل ٤٨ حالة تشخيص . وكلها ماعدا ثلاثة منها عن جراحة الإصابات كالجروح والـكسور والخلوع ، والأخير من هذه التشخصيات ناقص إذ أن الجملة الأخيرة منه غير كاملة .

أما ظهر المخطوط فقد دونت عليه كتابة فى الأمراض الباطنية كما أضيفت إليه إشارة لزيت محضر لإعادة الشيخ شابا فى العشرين من عمره . وإشارة أخرى تتعلق بأمراض المستقيم ، وقد درس مايرهوف هذا البردى دراسة نقدية وفسره ايبل .

وهذا المخطوط مكتوب بخطين مختلفين ، ومكون من أجزاء ثلاثة أولها وهو الذى يرجع إليه الفضل فيما اكتسبه هذا المؤلف من قيمة فائقة ، يصف مشاهدات واقعية فى جراحة العظام والجراحة العامة ، وهو مقسم تبعا لتقسيم الجسم ، فيبدأ بالرأس ويهبط حتى العمود الفقرى ، وربما كان يشمل فى الأصل كل أجزاء الجسم ، والشىء الذى يحمل على هذا الظن هو أن آخر مشاهدة فيه تتصل بالعمود الفقرى، وتختتم كما ذكرنا بعبارة ناقصة فى الصفحة ١٧، والحالات مبوبة تبويبا تشريحيا إذ تبدأ بالجمجمة ثم الأنف والوجه والأذن والرقبة ، ثم الترقوة والصدر والكتف ثم العمود الفقرى .

ويلاحظ أن طريقة العرض فى هذه البردية تتسم بالنظام والدقة ، فكل مشاهدة تبدأ بالعنوان التالى : تعليمات بشأن . . . ثم يجىء الفحص ويبدأ بالعبارة : « إذا فحصت رجلا . . . » ويتبعه التشخيص « قل فيما يخصه إنه يشكو » ثم التوقع ، وهو يعبر عن احتمالاته الثلاثة : الجيد والمشكوك فيه والميئوس منه بالعبارات الآتية : سأعالجه (أو) سأكافحه . (أو) مرض لن أعالجه » . .

وبعد ذلك يأتى العلاج ، وهو ينتهى ببعض التعليقات والتفسيرات وعددها ٧٠ تفسيرا .

وهذ الجزء الأولى من البردى — فضلا عما يتسم به من نظام فى العرض كما قلنا — يمتاز أيضاً بالتبويب المنطقى المرتب . وهذا يدل على أن تقاليد طويلة وتفكيرا أصيلا قد سبقا كتابته، وواقعية هذا البردى تتضح أيضاً من دقة الملاحظة التى تصف بها الحالات المذكورة ، ولنذكر من هذه الحالات مثلا وصف حدوث الشلل والتبول غير الإرادى على أثر إصابات العمود الفقرى ، والإصابة

بالصمم من جراء كسر فى عظمة الصدغ،وهذه الدقة تميز كذلك وصف التحريكات العلاجية كطريقة وضع يدى الجراح على الفك المخلوع لرده .

٣ — بردية إيبرز :

نسبة إلى الأستاذ جورج ايبرز الذى اكتشفها بالأقصر سنة ١٨٧٣ م وهى الآن فى كلية جامعة ليبزج . وقد كتبت فى القرن السادس عشر ق . م وهى أطول البرديات ، وفى حالة جيـــدة وكاملة ، وهى مكونة من ١١٠ أعمدة ، كل منها يتألف من ٢٠ — ٢٣ سطرا ، ويظهر أنها منسوخة من عدة مصادر ، ولذلك فهى مقسمة إلى أقسام تسعة :

القسم الأول : تعاويذ لتزيد تأثير العلاج .
القسم الثانى : الأمراض الباطنية .
القسم الثالث : أمراض العيون .
القسم الرابع : أمراض الجلد .
القسم الخامس : أمراض الأطراف (العظام) .

القسم السادس : أمراض مختلفة (الرأس،الأسنان ، اللسان ، الأنف والأذن) كما تشمل وصف مستحضرات التجميل .

القسم السابع : أمراض النساء ويدخل معها بعض النصائح المنزلية كأدوية لطرد البراغيث، وقتل العرسة، وجعل رائحة المنزل زكية، ومعرفة اللبن المغشوش .

القسم الثامن : ويشمل معلومات تشريحية كوصف الأوعية الدموية أو معلومات فسيولوجية ومرضية وشرح المصطلحات .

القسم التاسع : الأمراض الجراحية وهذا القسم الأخير لايتضمن أى شىء من الإصابات ولـكنه يصف طرق معالجة الجمرة والغدد الدرنية والناسور وأورام الجلد والفتق والقيلة ودوالى الساق وأكياس الأوعية الدموية .

ولو أن الجانب الأكبر من بردية ايبرز عبارة عن وصفات وتذاكر طبية ؛ أى أنها تقابل الفارماكوبيا فإن بها وصفا لبعض العمليات ، مثل عمليات أجريت لاستئصال الفتق والأورام والأكياس الشريانية ولكن الوعى الجراحى يبدو أكثر مايكون وضوحا عندما تقول بردية ايبرز : « إذا لم تستأصل الأكياس بجدرانها كاملة فإنها لابد أن تعود ، والجراح ولو أنه يستطيع أن يعالج أكياس الشرايين فإنه لا يجب عليه ألا يضع يده على الأكياس المتصلة بالأوردة .

ويظهر بوضوح فى بردية ايبرز أنهم استخدموا الأسلحة الحادة والكى فى فى العمليات التى ينتظر فيها حدوث نزيف ، كعمليات الفتق وأكياس الشرايين واستئصال الأورام .

وفى بردى ايبرز وصف لبعض العلامات الطبيعية التى يستند إليها الأطباء الآن كوسيلة للتشخيص ، فهناك ما يدل على أن علامة التموج Fluctuation التى تستعمل فى الكشف على وجود السوائل كانت معروفة ، إذ يقول المؤلف: إن على الطبيب أن يرى أن كان جزء من الجسم يتحرك تحت الضغط ثم يعود ثانية أو أنه يرتعش تحت يديه ، ولابد أنهم استخدموا النقر، فى وصف لحالة فتق أربى يقول: أن على الطبيب أن يضع يده وينقر عليها بأصابعه ، ويعتقد نيوبرجر أنهم عرفوا علامة الاستماع وكانوا يستعملونها فى التشخيص .

وفى بردية ايبرز وصف إكلينيكى بديع لبعض الأمراض وأجملها — كما يقول جراحنا الكبير الدكتور الخرادلى — وصف لحالات الغدد الدرنية والزائدة الدودية وأكياس الشرايين وخراج الرئة الذى يقول عنه : إن تنفس المريض فى حالة الإصابة به تشبه المجرور ، وألم القلب والانسداد المعوى وسنأخذ الحالة الأخيرة مثالا .

« إذا قمت بفحص رجل يشكو من مغص فى بطنه ، وكان بطنه صلبا يابسا من التهاب أو قيح فيه لايجد طريقا يخرج منه .. فإنه سيتدفق فى بطنه وسيحدث له التواء فى أمعائه » .

وليس مانعرفه اليوم أكثر من ذلك ، ويقول الدكتور الخرادلى فى ذلك :
« لو أردت أن أعيد كتابة هذه الحالة ما احتجت إلا لتغيير فى ترتيب بعض الجمل، فنحن نقول اليوم إن بعض حالات الانسداد المعوى تتسبب فى التواء فى الأمعاء، وأن من علاماته أن البطن يصبح مشدودا يابسا ، وأن لاشىء يخرج منه لا ريح ولا غائط ، وأنها لو تركت بدون علاج لتعفنت أمعاؤه — أو كما نقول الآن تغتغر تـ وأنه قد ينتج عن ذلك قيح فى بطنه أى أصبحت فى حالة غرغرينا » .

ولكنى لم أشر إلى هذه الحالة لدقة وصفها فحسب ، بل لأن قول كاتب البردية « سيحدث له التواء فى أمعائه » وأنه « سيتعفن فى بطنه» دليل على أنهم كانوا يقومون بتشريح الجثة بعد الوفاة ويقارنونها بملاحظاتهم الإكلينيكية أى ما يقابل التشريح المرضى الآن..

وربما كانوا يقومون بذلك فى أثناء التحنيط ، وقد لاحظ الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين نفس الملاحظة بالنسبة لإحدى حالات بردية ادوين سميث .

٤ — بردية هرست

ويظن أنها كتبت فى القرن الرابع عشر ق . م وهى مكونة من ١٨ عموداً وقد اكتشفت عام ١٨٩٩ م وهى موجودة الآن بجامعة كاليفورنيا ، تقرب من بردى ايبرز فيا تضمنته من معان .

٥ — بردية برلين الطبية :

اكتشفت بمدينة منفيس بالقرب من سقارة وكانت فى ملف من طين ،وهى أجزاء ثلاثة يرجع تاريخ الأول والثالث منها إلى سنة ١٢٧٥ ق . م فهى من عهد الأسرة التاسعة عشرة ، والجز الثانى يرجع إلى عهد الملك حوسافيتى من الأسرة الأولى أى أقدم أيضاً من بردى سميث ، وقد أتم باقيها الملك سنفرو من الأسرة الرابعة حوالى سنة ٢٧٠٠ ق . م وهذه البردية محفوظة فى القسم المصرى

بمتحف برلين ، وهى على نمط كتاب علمى قل أن تنسج يد الدهر مثله ، مكون من ٢١ صفحة فقدت منها الأولى والثانية ، فيها تشخيصات لأمراض شتى وطرق متعددة لعلاجها وفيها أيضاً صور نحو ١٧٠ تذكرة طبية بأوصاف ومعالجات وتركيب عقاقير متنوعة لهذه الأمراض وما يناسبها . وفى الجزء الثانى بيان خاص للأوعية الشريانية لدورة الدم وما يتبع ذلك . وفى الجزء الثالث بحث دقيق عن أمراض النساء .

٦ — بردية لندن :

تحتوى على بعض الوصفات ، ولكن قراءتها صعبة ، إذ أن الكتابة مسحت وكتبت ثانية ، ويرجع تاريخها إلى سنة ١٥٠٠ ق . م

٧ — بردية كارلزبرج :

يرجع تاريخها إلى عام ١١٠٠ ق . م وهى محفوظة فى كوبنهاجن وموضوعها أمراض العيون ، وتكاد تكون منقولة حرفيا من باب الرمد فى بردى إيبرز .

٨ — ورقة ليدن الطبية :

فيها قواعد للوقاية من الأمراض وإيقاف تطورها ومنع انتشار العدوى .

بردى ادوين سميث

نقلا عن ترجمة بريستد للأصل الهيروغليفى[1]

الحالة الأولى :

إرشادات خاصة بجرح فى رأسه نافذ إلى عظم جمجمته :

إذا فحصت رجلا عنده جرح فى رأسه نافذ إلى عظم جمجمته دون قطع فيجب أن تضع يدك عليه فإذا وجدت جمجمته سليمة دون نفاذ أو شق أو كسر

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح فى رأسه وجرحه ليست له شفتان وليس به شق مع أنه نافذ إلى عظم رأسه : مرض سأعالجه .

يجب أن تربط عليه لحما طريا فى اليوم الأول وتعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ .

الحالة الثالثة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمته .

إذا فحصت رجلا عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمته فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدته لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره وهو يشكو تصلبا فى رقبته .فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج فى رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمته وهو يشكو تصلبا فى رقبته : مرض سأعالجه .

الآن بعد أن تخيط الجرح يجب أن تضع على جرحه لحما طريا فى اليوم الأول ويجب ألا تربطه ويجب أن تشد المريض إلى عصى مرساة حتى تنتهى مدة إصابته ويجب أن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ .

---

(١) متنوعات الجزء الأول الدكتور محمد كامل حسين ص ١٩١

الحالة السادسة والثلاثون :

إرشادات خاصة بـكسر فى عضده .

إذا فحصت رجلا به كسر فى عضده ووجدت عضده معلقا بجانبه منفصلا بعضه عن بعض . فيجب أن تقول عنه : رجل عنده كسر فى عضده : مرض أعالجه .

ويجب أن تضعه مستلقيا على ظهره وضع شيئاً ملفوفاً بين عظمتى اللوح وشد كتفيه حتى يتمد جزءا عضده ويرجع الكسر إلى موضعه وأعمل له جبيرتين من الكتان وضع إحداها على العضد من الداخل والأخرى على عضده من تحت ويجب أن تربطه (بالايمرو) وعالجه بعد ذلك بالعسل كل يوم حتى يبرأ .

الحالة التاسعة والثلاثون :

إرشادات عن أورام (أو قروح) لها رأس بارز فى صدره .

إذا فحصت رجلا به أورام لها رأس بارز فى صدره ووجدت هذه الأورام تمتد فوق صدره وبها صديد أحمر وحرارة شديدة عندما تلمسه بيدك . فيجب أن تقول عنه : رجل عنده ورم له رأس بارز فى صدره وبه صديد : مرض أعالجه بالكى .

ويجب أن تكويه فى صدره فوق هذه الأورام التى فى صدره ويجب أن تعالجه بعلاج الجروح وتمنعها أن تنفتح من تلقاء نفسها حتى لايبقى فى جرحه (مينهير) لأن كل جرح يوجد فوق صدره يجف متى انفتح من تلقاء نفسه .

شرح (١)

قوله أورام لها رأس بارز فى صدره يعنى أوراما ممتدة فوق صدره من أثر الإصابة وهى تحدث صديدا واحمرارا فى الصدر كما تتعدد الألوان حيث يتكون الصديد.

الحالة الأربعون :

ارشادات خاصة بجرح فى صدره .

إذا فحصت رجلا عنده جرح فى صدره نافذ إلى العظم خارق لأعلى عظمة القص فيجب أن تضغط على أعلى عظم القص بأصابعك وأن ارتعش بشدة .

ويجب أن تقول عنه :رجل عندهجرح فى صدره نافذ إلى العظم خارق لأعلى عظمالقص : مرض أعالجه . ويجب أن تربط عليه لحما فى اليوم الأول وأن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ .

شرح (١)

قوله أعلى عظم القص يعنى رأس عظم القص الذى كأنه القنفذ .

الحالة الحادية والأربعون :

ارشادات خاصة بجرح متقيح فى صدره .

إذا فحصت رجلا به جرح متقيح فى صدره والجرح ملتهب وحوله دوائر من الالتهاب تمتد من فم هذا الجرح عندما تلمسه وحافتا الجرح محمرتان ووجدت هذا الرجل عنده حمى مستمرة ولحمه لايحتمل الرباط وأن هذا الجرح ليست له حافة من الجلد والازرار التى فى فم الجرح رطبة (مائية) وسطحه حار وإفرازاته تسقط منه نقطا كالزيت .

فيجب أن تقول عنه: رجل عنده جرح متقيح فى صدره وهو ملتهب ويسبب له حمى مستمرة : مرض أعالجه .

ويجب أن تعمل له دواء ملطفا ليزول الالتهاب من فم الجرح :

(١) ورق صفصاف ، أوراق شجرة (نبش) ، (قسنتى) .

ضمها عليه .

(ب) أوراق شجرة (أم) ، روث ، (هنيت) ، (قسنتى) .

ضعها عليه .

ويجب أن تعمل له دواء يجفف جرحه من :

(ا) مسحوق صبغة خضراء ، (وشبة) ، (شهنة) ، دهن .

اسحقها وضعها عليه .

(ب) ملح الشمال ، دهن ماعز .

اسحقها وضعها عليه .

ويجب أن تعمل له لبخا من .

(شبن) أحمر ؛ لسان الحديقة ، (ظهرة) . أوراق جميز .

اربطها عليه .

وإذا حدث مثل هذا لأى عضو فيجب أن تعالجه على حسب هذه الإرشادات

شرح (١)

قوله جرح متقيح فى صدره ملتهب معناه أن الجرح الذى فى صدره بطىء لا يلتئم والحمى تخرج منه وحافتاه محمرتان وفمه متسع . وكتاب (ما يتعلق بالجروح) يقول فى ذلك : يعنى أن هناك ورما كبيرا جدا . وملتهباً يعنى ارتفاع الحرارة فيه .

شرح (٢)

قوله دوائر من الالتهاب فى الجرح يعنى دوائر ملتهبة تدور فى داخل الجرح كله .

شرح (٣) .

قوله حافتاه محمرتان أى شفتاه حمراوان مثل لون شجرة (النمشة) .

شرح (٤)

قوله لحمه لايحتمل رباطا يعنى أن لحمه لا يحتمل العلاج من أثر الالتهاب الذى فى لحمه .

شرح (٥)

قوله والحرارة تنبعث باستمرار من فم جرحه عندما تلمسه يعنى أن الحرارة تخرج من جرحه عند اللمس كما تقول عن شىء خرج كله انبعث .

ملحوظة نقلت بعض الحالات لأبين كيف كانوا يعالجون جروحهم .

كيف حقق الطب الحديث تجارب قام بها المصريون

منذ ١٣٥٠ سنة ق . م لمعرفة نوع الجنين قبل ولادته

تكلم علماء القرن العشرين عن وجود (هرمونات تناسلية) فى بول المرأة الحامل . وقد توصل العالمان (اشيم وزونديك) إلى معرفة المرأة حاملا ، ابتداء من تأخر مجيء العادة بأسبوع واحد فقط ، وذلك بحقن بول المرأة الحامل لأرانب أناث . ففى حالة الحمل تتأثر مبايض هذه الحيوانات بما يحويه بول المرأة من هرمونات تناسلية بعكس البول العادى الذى لا يحوى هذه المواد .

وقد تكلم بعض العلماء هذه الأيام عن وجود (فيتامينات) فى بول المرأة الحامل ، والواقع أنه يوجد شبه كبير بين المادتين — هرمونات وفيتامينات — ولا يزال البحث جاريا لمعرفة ماتحويه المادتين من عناصر حيوية .

والغريب أن قدماء المصريين كانوا يعرفون أيضاً أن فى بول المرأة الحامل مواد تنمى النباتات بعكس البول العادى الذى يميتها . وقد ذكر هذا فى ورقة بردى مصرى قديم يرجع إلى ١٣٥٠ سنة ق.م فكان قدماء المصريين — لا علماء العصر الحاضر — هم أول من عرف أن لبول المرأة الحامل صفات حيوية .

وقد أخطأ بعض العلماء فى ترجمة هذه البردية . فكانت نتائج أبحاثهم مختلفة عما جاء بها وهذا هو نص البردية بعد تصحيح الترجمة .

ضع بعض حبوب القمح والشعير فى كيسين . ثم اجعل المرأة الحامل تتبول فوقهما كل يوم ، فإذا نما القمح فإن مولود الحامل سيكون ذكرا ، وإذا نما الشعير فالمولود أنثى ، وإذا لم ينم واحد منهما فليس هناك حمل عند المرأة .

الطب المصرى القديم الدكتور/نجيب رياض ص ١٣٨

وقد أظهرت الأبحاث الحديثة ، بما دلت عليه من تقدم الطب المصرى القديم ، أن مصر القديمة وليست اليونان — هى منبع العلوم الطبية فى العالم . ومن الأدلة على ذلك أن كثيرا من الوصفات الطبية فى ذلك الماضى البعيد تحوى الكثير من أسماء النباتات والعقاقير . وأن بعض العقاقير التى كانت تستعمل فى ذلك العهد قد ثبتت فائدته وعم الآن استعماله .

كما كان الفراعنة يعتبرون « القلب » مركز الأوعية التى تنتشر فى سائر أجزاء الجسم ، وأن « النبض » دليل على وجودها . وكانوا يعبرون عنه « بكلام القلب الداخلى » الأمر الذى يشير إلى معرفتهم بعلاقة النبض بضربات القلب واتصاله بحركات العضلة القلبية ، وكانوا يعلمون أيضاً أن كثيراً من العلل ناشىء عن مرض الأوعية وعدم قيامها بوظائفها الطبيعية .

وقد اكتسب قدماء المصريين شهرة عالمية فى التحنيط هيأت لهم معرفة أحشاء الجسم الداخلية مما كان له أكبر الأثر فى تقدمهم فى العلوم الطبية ، ومن الأمراض التى أشير إليها وكتبت لها وصفات خاصة ، الحصوات البولية فى المثانة وحصوات الكلى بويضات البلهارسيا والتهاب المفاصل والجدرى والتهاب الزائدة الدودية وشلل الأطفال وأمراض العمود الفقرى وكثير من أمراض العيون والأذن الشائعة الآن .

وقد استمر الطب المصرى محافظا على جوهره إلى العصر البطلمى ثم تطور تطورا سريعا نتيجة للدراسات والأبحاث التى أجريت بجامعة الإسكندرية فى القرن الثالث ق. م وكان من أعلام الطب فى ذلك الوقت هيروفيلوس واراسيستراتيس .

ونحن نتساءل الآن ماذا كان تأثير الطب المصرى القديم على الطب الحديث؟ وكيف حدث هذا التأثير ؟ وإلى متى استمر ؟ والجواب عن ذلك ما أورده الأستاذ (وارن دوسن) من أن جانباً كبيراً من معلومات يوسقوريدس (٥٠ ب . م) وجالينوس (١٣٠ — ٢٠٠ ب .م) وبلينوس (٢٣ — ٧٩ب.م)

وغيرهم مأخوذ بطريقة مباشرة من القراطيس المصرية . (وهذه المعلومات ترجمت إلى العربية وأصبح هناك طباً عربياً إسلامياً صبت فيه جميع المعلومات الطبية القديمة وبلغ الطب الإسلامى ذورة مجده فى عهد أبى بكر الرازى وابن سينا وأبى القاسم الزهراوى واستمر يخفق فى أوربا حتى القرن الثامن عشر حتى نقله عنهم أوربا الحديثة) وصارت أهم أركان الطب العشبى وتعاليم الطب القديمة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

وليس أبلغ الآن من أن اقتبس للقارىء فقرة للعلامة أيبل عن الطب المصرى القديم

« وعلى ذلك نرى أن طب الإغريق لم يكن مستحدثاً ، بل اقتبس كثيراً من الطب المصرى حتى إنه يمكن اعتباره إمتداداً له ، فلو أن أقدم بردية طبية كتبت حوالى ١٩٠٠ قبل الميلاد فإن الدرجة التى بلغتها تدل على تطور طويل المدى يرجع على الأقل إلى ٣٠٠٠ عام ق . م . مما يجعلنا نجزم أن الطب قد نبع من وادى النيل . . ومن هنا يجب أن نعتبر أن مصر لا اليونان هى منبت الطب » .

الفصل الثالث

الطب الاغريقى

لقد اعترف الطب الإغريقى من الطب المصرى القديم جميع مصادره ولم يكن التعليم الطبى فى المبدأ مخططا أو منظما ولكن كان يتعلم الطالب على يد طبيب مشهور وفى النهاية يعطيه أجازته الطبية ويقسم قسم الأطباء .

ولقد عرف الإغريق التشريح بواسطة عضلات الرياضيين ومايريده الجمارون من معرفة فى عملهم وكذلك كانت الجراحة والأمراض الباطنية .

ثم تطور التعليم حتى أصبح له مدارس طبية ولقد أظهرتُ أن ابقراط زار مصر وأن جالينوس تعلم تشريح القردة فى مدرسة الإسكندرية التى ذهب ليستقى منها علمه وتكلمت عن نظرياتهم الطبية فى الأخلاط وغيرها ونظرياتهم عن وظائف الجسم المختلفة .

وتكلمت عن رأى جالينوس فى الدورة الدموية التى أظهر خطأها ابن النفيس العالم العربى المسلم .

منشأ الدراسة الطبية القديمة

فى القرن السابع الميلادى نشأ فى مدرسة الإسكندرية طبيبان هما بولس الأجنطى مؤلف (كتب الطب السبعة) اليونانية وأهرت القس الإسكندرى صاحب الكناش الموضوع بالسريانية وقد ترجم هذا المؤلف إلى اللغة العربية وكان له شأن كبير فى بدء الطب الإسلامى .

ولا بد للكلام عن اثنين لا بد منهما فى عالم الطب القديم لأن الطب العربى كان له صلة بهما فى جذوره .

أبقراط: ولد كما قال سوارنوس فى ٤٦٠ قبل الميلاد فى جزيرة قو وكان ينتمى إلى أسرة طبية عريقة هى أسرة الأسقليبيا د التى تكونت من ذرية اسقلابيوس وهو الطبيب الذى ورد ذكره فى منظومات هوميروس وأله بعد ذلك وقيل أنه ابن أبولو ودرس أبقراط العلوم الطبية فى معهد اسقليبيوس ثم زار مصر وجميع مدن اليونان وبلاداً غيرها .

وأساس مذهب مدرسة قو مبنى على نظرية الأخلاط وقد شيدت هذه النظرية على تأملات فلسفية مبنية على فكرة الفيسبس وهذه الكلمة ترجمت بطبيعة الإنسان وأخذت منها كلمة الفسيولوجيا أى علم وظائف الأعضاء .

ويرد ذكرها كثيرا فى كتب أبقراط وجالينوس[1] وغيرها وهذا الركن هو اعتبار الجسم كلا متماسكا والاعتقاد بأن الجسم يعمل كوحدة وأن نشاط أجزائه المختلفة يخضع لتناسق عال لهذه الوحدة وأنه كلما كملت الوحدة فى العمل كلما قرب الجسم فى الكمال وعلى العكس من ذلك فان استقلال جزء فى نشاطه يؤدى إلى الفوضى والمرض .

---

(١) صفحة ١٨ كتاب ابن النفيس للدكتور بول غليونجى

وليس من شك فى أن فكرة الفيسيس هذه التى أثبتتها البحوث الحديثة فى كيفية احتفاظ الجسم بتركيبه الداخلى وفى استجابة المحور المكون من الجهاز العصبى والغدد الصم إلى مختلف التأثيرات الخارجة هى فكرة فلسفية مجردة لا يمكن تحليلها وأن هذه الوحدة بشكلها التصوفى كانت فى نظر هؤلاء الفلاسفة سر الحياة. أما عن علاقة الجسم بصفة وحدة بما يحيطه فان أبقراط وجالينوس بعده كانا ينظران إلى الحياة كتجاوب أو التحام بين الفيسس والمحيط الذى يعيش فيه بل أنهما كانا يعدان الجسم وبيئته وحدة متكاملة لها قطبان ـ أحدهما الجسم والآخر البيئة وخاصتان أحدهما خضوع الجسم للمحيط والأخرى استيعابه له بأن يأخذ منه ماينفعه ويلفظ ما لا يلائمه فان نجحت عملية الاستيعاب أو كما سموها الهضم توجد الصحة وإلا نتج المرض ويصبح المرض حالة فردية لهذه العملية .

وترتبط هذه الطريقة بنظرية الأخلاط ولقد تأثرت هذه بنظرية أنبا وفليس الذى حدد الأركان : الماء — والهواء والأرض .

وأخلاط الجسم حدودها بالدم — البلغم — الصفراء — السوداء ، ولها صفات أربع :

السخونة ، البرودة ، اليبس ، الرطوبة .

وربطوا كل ركن وكل خلط وكل عضو وكل صفة وبين كل مزاج من الأمزجة قالوا إن الدم فى القلب ويسيطر على المخ وصفته السخونة والبلغم فى المخ وسلطانه الرئة وصفته البرودة والصفراء فى الكبد وسلطانها المرار وصفتها الجفاف.

والسواد فى الطحال وسلطانها المعدة وصفتها الرطوبة .. وانتقلت الحضارة الإغريقية مع الإسكندر المقدونى وسارت معه وانتشرت فى الشرق حتى وصلت إلى الهند وجاورت الحضارات وتأثرت بها وتركزت الحضارة والعلوم فى مدينة الإسكندرية التى أنشئت عام ٣٢٢ قبل الميلاد .

وظهر فيها علمان من علماء أعلام الطب :

هيروفيليس (٣٠٠ ق . م .) الذى عرف التشريح ووصف الاثنى عشر والمخ والمخيخ والنخاع الشوكى والأوعية الليمفاوية — وهـذا الوصف من أخطر ما يكون فى الطب .

وثانى العلمين هو إبراز استراتوس (٢١٠ — ٢٥٠ ق . م) من تلاميذ مدرسة فيندوس المنافسة لمدرسة فو وهو أول من أنـكر نظرية الأخلاط السائدة وأولى الأنسجة والأوعية المحل الأول فى دراسة الأمراض فشرح الجثث باحثاعن سبب عضوى بها وهذا مايعرف الآن بعلم الباثولوجيا وهذا تقدم دفع بالطب إلى الأمام ولاشك وكان نبراسا للأطباء الأقدمين . وفى وسط هذا العالم القديم ظهر جالينوس وهو ينتمى إلى أسرة الاسقلبياد وهى أسرة تتصل بنسبها إلى الطبيب اسقلابيـوس الذى نادى به اليونانيون القدماء إلها للطب وتعد مؤلفات جالينوس نهاية ما وصل إليه الطب القديم ووقف عنده ولقد نظر إلى الـكون بأن الطبيعة كلها حكمة وان كل جزء فى الجسم خلق لغرض حدد له سلفا وأن هناك علاقة كاملة بين السبب والعرض تقوم دليلا قاطعا على كمال الطبيعة .

وتقوم تعاليم جالينوس الطبية على المعلومات التى استنبطها من تشريح الحيوان والأجنة وفحص المرض والجروح المختلفة وملاحظة ذلك وتتبعه .

ولقد كان لإتجاهه الفلسفى أثر سىء على نتـائجه العلمية مثال قوله : أن الأعصاب جوفا ولدى الأحياء وتتصلب بعد الموت وأن هناك منفـذ بين بطينى القلب وأن الرحم له قرنان الأيمن لتـكوين الذكور والأيسر لتـكوين الإناث ، وتوفى جالينوس سنة ٢٠٠ ميلادية على وجه التقريب واستمر طبه يسيطر على التفـكير الطبى حتى سنة ١٦٠٠ ميلادية .

أبقراط

أبقراط هو السابع من كبار الأطباء الذين يعتبروا سقلبيوس أولهم ، ويعتبر من أشرف أهل بيته وأعلاهم نسباً . وكانت حياته ٩٥ سنة وتعلم فى ثلاث مدن رودس وقنديس ومدينة قو . وهو يشتهر بطبه وبقسمه ، ولقد رأى أن يذيع الطب فى جميع الأرض . ويعلمه المستحقين .

وكان أبقراط [١] ربعه أبيض حسن الصورة أشهل العينين غليظ العظام ذا غضب معتدل أبيض اللحية منحنى الظهر عظيم الهامة بطىء الحركة إذا التفت فبكليتيه كثير الإطراق متأنياً فى كلامه يكرر على السامع منه نعلاه أبداً بين يديه إذا جلس إن كلم أجاب وإن سكت عنه سأل وإن جلس نظر إلى الأرض ، كثير الصوم قليل الأكل ، بيده أبداً أما مبضع وأما مرود .

قسم أبقراط : [٢]

١ — قال إبقراط : (إنى أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج) .

٢ — وأقسم باسقلبيوس وأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً على إنى أفى بهذا اليمين وهذا الشرط .

٣ — وأرى أن المعلم فى هذه الصناعة بمنزلة آبائى واصله من مالى وأعلم أبناءه الطب .

٤ — وأقصد فى جميع التدابير منفعة المرضى .

---

(١) كتاب الفراسة لفخر الدين الراوى — وصف أبقراط الطبيب قدم لى هذا الكتاب الأستاذ الدكتور عثمان أمين مع خالص الشكر .

(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء تحقيق الدكتور ترار رضا .

٥ — ولا أعطى دواء قتالا إذا طلب منى ولا أشير بهذه المشورة .

٦ — ولا أعطى النساء دواء لإسقاط الجنين .

٧ — وأحفظ صناعتى على الزكاة والطهارة .

٨ — وأمسك عن الأشياء التى أعاينها وقت علاج المرضى .

قاموس الطب لأبقراط :

قال أبقراط :

أن الطب أشرف الصنائع كلها إلا أن نقص فهم من ينتحلها .

العلم بالطب كنز جيد وذخيرة .

وصية إبقراط :

ينبغى أن يكون الطبيب حراً — معتدل القامة . متناسب الأعضاء جيد الفهم — عفيفاً — سماحا — غير محب للفضة ومشاركا للعليل مشفقاً عليه — حافظاً للأسرار — وأن يكون محتملا للشتيمة وأن يكون ثيابه بيضاء نقية .

ومن كلامه :

الجسد يعالج جملة من خمسة أضرب مافى الرأس بالغرغرة ومافى المعدة بالقىء . وما فى البدن بإسهال البطن ومابين الجلدين بالعرق .

ومن كلامه : الصفراء بيتها المرارة وسلطانها فى الكبد . البلغم بيته المعدة . وسلطانه فى الصدر . السوداء بيتها الطحال وسلطانها فى القلب . الدم بيته القلب وسلطانه فى الرأس .

كتب أبقراط :

الأول : كتاب الأجنة

الثانى : كتاب طبيعة الإنسان

الثالث : كتاب الأهوية والمياه والبلدان

الرابع : كتاب الفصول

الخامس : كتاب تقدمة المعرفة ثلاث مقالات وضمنه تعريف العلامات التي يقف بها الطبيب على أحوال المرض.

السادس : كتاب الأمراض الحادة

السابع : كتاب أوجاع النساء

الثامن : كتاب الأمراض الوافدة

التاسع : كتاب الأخلاط

العاشر : كتاب الغذاء

الحادى عشر : كتاب القاطيطرون أى حانوت الطبيب .

الثانى عشر : الكسر والجبر.

جالينوس [1]

ولد جالينوس فى عام ١٣٠ للميلاد فى مدينة بيرغاموم وكانت واحدة من أجمل مدن الإغريق على سواحل بحر إيجه ، وموقعها الحالى شمالى أزمير فى تركيا .

ولقد أمضى جالينوس ذلك العملاق فى تاريخ الطب أيام صباه وبواكير شبابه فى بيرغاموم . ترى ماهو حال هذه المدينة الآن ؟ وهل هنالك مانزال بقايا الأسلبيون أول مركز طبي فى العالم . غادرت إستانبول مع زوجتى إلى ميناء ديكيلى القريبة من مكان بيرغاموم أملا فى الوصول إلى جواب شاف لهذا السؤال.

تركنا إستانبول مساء وفى الصباح التالى كانت سماء بحر إيجه زرقاء . وعندما إندفعت سفينتنا داخلة إلى ميناء ديكيلى كانت المياه تتألق كما كانت فى أيام مجد الإغريق . ومدينة ديكيلى عبارة عن مجموعة من الأبنية القديمة فى أسفل التل . وتركنا هذه المدينة الصغيرة وركبنا السيارة إلى بيرغاما وهى مدينة حديثة قريبة من خرائب بيرغاموم مدينة جالينوس .

وبالرغم من صروف الأيام التى أحاطت تلك المدينة العريقة إلى أوابد وآثار ، فإنها ما تزال تحتفظ بطابع الجمال والعلم . وما على الإنسان إذا وقف عند تلك الآثار ، إلا أن يغمض عينيه حتى يتصور فى خياله شوارع كانت تغص بالناس – أطفال يتنادون ونسوة يبعن النبيذ وزيت الزيتون والتين والدراقن . وربما لمح بعين خياله الصبي جالينوس ابن نيكون المعمارى .

عندما بلغ جالينوس السابعة عشرة من عمره كان قد حفظ الفلسفات الأفلاطونية والإرسطوطالية والرواقية والإيبقورية . وقد ظهر آنذاك وكان ذلك

---

(١) مجلة طبيبك ـ العدد ١٥١ السنة ١٣ عدد مارس ١٩٦٩ص٦١ بقلم المستر ريتشارد دنلوب.

الشاب اللامع الذكاء سيصبح واحداً من أعظم فلاسفة عصره . ورأى والده فى المنام أن ابنه يدرس الطب وتحول الابن من الفلسفة إلى الطب لكى يحقق حلم أبيه . والتحق جالنيوس بمدرسة الجراح العظيم ساتيروس فى بيرغاموم حيث درس التشريح وعند ما كان جالينوس لايزال تلميذاً تفشى فى المدينة وباء الجمره الخبيثة وانهمك الأستاذ فى مكافحة هذا الداء وكان جالينوس يقف عند مرفق أستاذه الذى كان يجرى العمليات الجراحية بتطبيب مرضاه

ولم يكن إهتمام جالينوس منصرفا فقط إلى طريقة معالجة المرضى وإنما كان يدقق النظر فى الأوصال الجريحة ويحاول القيام بتشخيص كامل لها إذ كان يطلب من المريض أن يحرك أعضاءه التى تناوشها مشرط الجراح لكى يتأكد من علاقة مختلف العضلات بحركاتها . وكان أحيانا يدقق النظر فى شريان أو وريد أو عصب . وقد كان وأستاذه يلاحظان أمور تشريحية ، كان سائر الأطباء لا يلاحظونها .

وأسرف جالينوس على نفسه فى العمل حتى مرض لفرط الإعياء . وبعد مدة وجيزة على شفائه من مرضه توفى والده . وهكذا وجد الشاب نفسه وحيدا فى هذه الدنيا فهجر بيرغاموم . وكان والده قد ترك له قدرا من المال ساعده على المحافظة على استقلال نفسه . وانتقل الشاب إلى أزمير حيث تابع دراسته عند الطبيب بيلويس والفيلسوف البينوس . وقام الشاب بجولة طاف خلالها اليونان وكيليكا وفينيقيا وفلسطين وكريت وقبرص . وكان أثناء طوافه يثابر على دراسة الأمراض والعلاجات وعادات الناس . وأخيرا وصل إلى الإسكندرية وكانت آنذاك أعظم مدن شرق البحر الأبيض المتوسط وذلك لدراسة علم التشريح فى مدرسة الطب .

وكان رجال التشريح فى الإسكندرية خلال مرحلة من مراحل تاريخ المدينة يقومون بتشريح أجسام المجرمين وهم أحياء . وكان ملوك البطالسة يقدمون لمدرسة الطب عددا من هؤلاء المجرمين لتشريح أجسامهم نظراً لشدة اهتمامهم بالطب

وعدم إحساسهم بآلام البشر . وعندما وصل جالينوس إلى الإسكندرية كانت تلك العادة الوحشية قد ابطلت ، ولذلك انصرف جالينوس إلى تشريح القردة لمتابعة دراساته .

وفى عام ١٥٧ للميلاد عاد جالينوس إلى بيرغاموم وكان عمره آنذاك ٢٨ عاما • وقد عينه رئيس كهنة الهيكل الطبى فى اسكلبيون طبيبا المجلودين . وكان جالينوس مكلفا بالإشراف على مايتناوله هؤلاء الرجال البائسون من طعام ومعالجة جراحهم الرهيبة بالقدر المستطاع .

وبالإضافة إلى عمله هذا فقد فتح جالينوس عيادة خاصة به ، وفى هذه الفترة من حياته كتب أولى مقالاته . وصار جالينوس شخصية معروفة فى اسكلبيون حيث كان يجتمع أعظم أطباء عصره .

وأخذ جالينوس يعلم ويتابع أبحاثه ويكتب الكثير من أبحاثه الطبية حول الطب فى هذا الهيكل الذى كان ملتقى أطباء العصر الذين كانوا فى نفس الوقت كهنة للهيكل • وفى أيام البيزنطيين حول الهيكل إلى كنيسة ومكان للمعمودية .

أن معظم الناس فى يومنا هذا يظنون أن العلاج بالعقاقير وبالماء وبالفن وبالإيحاء وبالتحليل النفسى لشفاء الأمراض العقلية هى من إبتكار هذاالعصر الحديث. ومع ذلك فإن أعشاب العقاقير كانت تستعمل فى اسكلبيون لتحقيق الشفاء وكانت الجراحة فناً متقدما . وكانت الأمراض العقلية فى هذا الهيكل تعالج بالعلاجات المائية وبالعقاقير وبالإيحاء. ومن يزور بيرغاموم يشاهد سردابا طويلا تحت هيكل اسكلبيون كان المصابون بأمراض عقلية يوضعون فيه بعد إعطائهم أنواعا من المخدرات . وتتصل بهذا السرداب أنابيب خفية كان الأطباء من خارج السرداب يتحدثون عن طريقها ويقدمون النصائح للمرضى فيتصور هؤلاء أنهم يتلقون هذه النصائح من مصادر الهيئة ولذلك كانوا يتقبلون هذه النصائح ويعملون بمقتضاها .

ومن جهة أخرى كان مرضى آخرون يستعينون على الأمراض العقلية بالإنشغال بالأعمال الفنية كالرسم والنحت حتى يتماثلوا بالشفاء ، فى حين كان غيرهم يمارس التمثيل فى مسارح خاصة أقيمت لهذا الغرض . وكان آخرون يأخذون الحمامات الشمسية ويستمعون إلى الألحان العذبة . وكانت هناك فى الهيكل مكتبة طبية تبرع بها إليه الإمبراطور هدريان الذى كان فى وقت من الأوقات نزيل هيكل اسكلبيون الطبي. وماتزال آثار غرف الفن والموسيقى والمكتبة والمسرح والحجرات الإنفرادية موجودة حتى وقتنا هذا .

ولقد قام الإمبراطوران الرومانيان كاراكالا وماركوس أوريليوس بزيارة اسكلبيون طلبا للشفاء . ومما لاشك فيه أن ماركوس أوريليوس قابل جالينوس فى الأسكلبيون الذى زاره عام ١٦٢ للميلاد ، وهو العام الذى تلى إرتقاءه العرش. وكان الإمبراطور فى ذلك العام يقود كتائبه فى حرب مريرة ضد البارثين على الحدود الشرقية لإمبراطوريته .

وعادت جيوش روما ظافرة من هذه الحرب ولكنها كانت مصابة بطاعون رهيب وانتقل جالينوس إلى روما حيث أسهم فى مكافحة الطاعون وصار طبيبا وفيلسوفا ذائع الصيت. وصار علية القوم فى روما من رواد عيادته طلبا للطب للاستماع إلى المحاضرات التى كان يلقيها . وعرف جالينوس بعد ذلك باسم «باراد وكسوبويوس» ومعناها فى الإغريقية صانع الأعاجيب .

وذات يوم استدعاه ماركوس أوريليوس إلى القصر الإمبراطورى حيث كان أطباء البلاط يعالجونه من حمى أصابته . وألقى جالينوس نظرة على الحاكم الممدد على فراش المرض وقال أن سبب المرض هو التخمة . فقال الإمبراطور : صدقت لقد أسرفت فى تناول الطعام . ووصف له الدواء الصحيح لعلته.

وفى روما ثابر جالينوس على الأبحاث الطبية وتابع دراسته للهياكل العظمية بشرية كانت أم حيوانية . وكان جالينوس كلما سمع بأن ضريحا قد فتح هرع إليه

لدراسة العظام المدفونة فيه . وإذا قتل أحد المسافرين لصا انبرى له فى الطريق ، لم يكن الناس يهتمون بدفن اللص ولذلك كان جالينوس يستولى على الجثة، ويعرضها للجوارح التى كانت تلتهم اللحوم فى يومين وتترك له الهيكل العظمى معداً للبحث والدرس . وقد وصف جالينوس الهيكل العظمى بالنسبة للجسم بأنه شبيه بأعمدة الخيام أو بجدران المنزل بالنسبة للخيام وللمنازل . ومع أن جالينوس لم يعلم اكثر مما كان معلوما من قبل عن العظام فإنه درس ووضع الأوصاف العلمية لأكثر من ثلاثمائة عضلة ، وكثير منها ما يزال مستعملا حتى الآن . لقد أثبت لأول مرة أن التقلص هو الحركة الوحيدة للعضلات ، وأن حركة العضلات أثناء الاسترخاء تنتج عن تقلص عضلة مقابلة .

وقد إهتدى جالينوس من وراء دراسته للعضلات إلى دراسة الأعصاب التى بين أنها الوسيلة التى يحكم الدماغ العضلات بواسطتها . وذات يوم كان جالينوس يشرح خنزيرا ، وأخذ الحيوان الجريح يصرخ من الألم فما كان من جالينوس إلا ان قطع عصبا متصلا بصندوق الصوت (الحنجرة) فى حلق الخنزير فلم يعد قادرا على الصراخ وتتبع مسرى العصب فوجد أنه متصل بالدماغ وعندئذ اثبت أن مكان الذكاء عند الإنسان والحيوان على السواء هو الدماغ .

كذلك درس جالينوس تأثير العواطف على جسم الإنسان . فقد دعى ذات مرة لمعالجة شابة رومانية جميلة . ولاحظ جالينوس أن الفتاة كانت مضطربة الحركة مسهدة رغم أنها لم تكن مصابة بحمى . وكانت ترفض الإجابة على الأسئلة التى وجهها إليها . وبينما كان جالينوس يحاول تهدئة الفتاة وتطييب خاطرها دخل أحدهم إلى الغرفة وقال عرضا أنه قادم من المسرح حيث شاهد شابا يدعى بيلادبس يرقص . وعندئذ لاحظ جالينوس أن ملامح الفتاة ولونها تبدلا وعندئذ جس نبضها فألفاه مضطربا .

وفى زيارة تالية طلب من أحد الأشخاص أن يدخل الغرفة ويقول أنه شاهد رجلا آخر يدعى موريوس يرقص فى المسرح ، ولم تضطرب الفتاة لدى سماعها هذا النبأ .

وأعاد جالينوس الكرة وأمر ذلك الشخص بأن يقول أنه شاهد بيلاديس وهو يرقص وعندئذ عادت الفتاة إلى الاضراب .

وقال جالينوس . لقد ادركت أن الفتاة كانت مغرمة بهذا الشاب بيلاديس .

توفى جالينوس عام ٢٠٠ للميلاد عن عمر يبلغ السبعين . وظل اسمه لمدة ثلاثة عشر قرنا بعد ذلك أعظم اسم فى دنيا الطب ، وظل أطباء القرون الوسطى يتبعون تعاليمه ويتمسكون بها .

وربما كان جالينوس من أغزر الكتاب القدامى وقد ضاعت معظم مؤلفاته ولكن ما بقى منها يشغل واحدا وعشرين مجلدا ضخما دقيق الحروف من حجم الثمن . وعلى ذلك يكون من المستحيل دراسة كل آرائه الطبية ، ومع ذلك فسنبحث نظامة الفسيولوجى لأنه أصبح النظام الماخوذ به فى أواخر العصور القديمة .

كان الجوهر الأساسى للحياة طبقا لفلسفة جالينوس هو الروح، أو النفس المستمد من الروح الكونية فى عملية التنفس . وهو يدخل الجسم عن طريق القصبة الهوائية فيصل بذلك إلى الرئة ومن هناك يدخل فى « الشريان » الشبيه بالوريد الذى نسميه اليوم الشريان الرئوى ، إلى البطين الأيسر ، حيث يقابل الدم . ولكن ما اصل الدم ؟ لقد كانت إجابته على هذا السؤال بارعة ، ولكن الأخطاء التى تضمنتها بقيت حتى عصر هارفى [1] .

كان جالينوس يعتقد أن الكيلوس (هو مستحلب الطعام المهضوم) الذى

(١) الحقيقة أن ابن النفيس قد كشف هذه الأخطاء كشفا ربين حقيقتها قبل هارفى كما سأبين فيما بعد عند الكلام عن ابن النفيس ، ولقد بين ذلك الطبيب المصرى الدكتور محى الدين التطاوى .

يأتى من القناة الهضمية عن طريق الوريد البابى ، يصل إلى الـكبد ، وقد اعتقد أن فى إستطاعة هذا العضوان يحيل المستحلب إلى دم وريدى . وأن يشربه بروح خاصة أو نفس يوجد بصورة فطرية فى جميع المواد الحية طالما كانت محتفظة بالحياة، ويشار إلى هذا النفس باسم «الروح الطبيعية» فإذا حمل الدم بالروح الطبيعية المستمدة من الـكبد ، وبالمواد الغذائية المستمدة من الأمعاء فإن الـكبد يوزعه كما كان جالينوس يعتقد ، فى جميع أجزاء الجهاز الوريدى الذى يتفرع منه هناك ، حيث يمر فى حركة انقباض وانبساط خلال الأوردة . وأحد الفروع الرئيسية فى الجهاز الوريدى هو الجانب الأيمن من القلب .

أما الدم الذى يدخل هذا الفرع الهام ، وهو الجانب الأيمن من القلب — فقد حدد له نظام جالينوس مصيرين محتملين ، فالجزء الأكبر منه يبقى قليــلا فى البطين ليتخلص مما فيه من شوائب ، يحطها « الشريان الوريدى » الذى يسمى الآن الشريان الرئوى ، إلى الرئة حيث تخرج مع الزفير. فإذا تخلص الدم الوريدى الذى فى البطين الأيمن مما كان فيه من شوائب فإنه يعود إلى التدفق فى الجهــاز الوريدى العام . ولــكن جزءاً صغيراً من الدم يمر فى طريق آخر . وهــذا الجزء الصغير يقطر فى القنوات الدقيقة الموجودة فى الجدار الحاجز بين البطنين ، فيصل إلى البطين الأيسر نقطة فنقطة ، حيث يلتقى بالنفس أو الهواء الذى تحطه القصبة الهوائية والشريان شبه الوريدى من العالم الخارجى ، وحين تختلط هذه النقطة الدموية بالهواء فى البطين الأيسر تتحول إلى نوع من الأنفاس ، وهو روح الحياة التى توزعها الشرايين مع الدم الشريانى .

ومن هذه الشرايين مايصعد إلى الدماغ ، وبذا تحمل روح الحياة إلى قاعدة المخ وهنا يتجزأ الدم إلى أجزاء دقيقة بواسطة قنوات شبكة الأوعية الدموية

المتحدة المصدر . وفى هذا العضو الخفى يحمل الدم بنوع ثالث من الأنفاس، وهو الروح الحيوانية . كانت توزعها الأعصاب التى كان يعتقد أنها جوفاء .

وكان عدد يسير من مؤلفات جالينوس هذه يحتوى على كل المعلومات المعروفة فى العالم فى علم وظائف الأعضاء من القرن الثالث إلى القرن السابع عشر، وكل الأفكار المتعلقة بعلم الحياة تقريبا حتى القرن الثالث عشر ، ومعظم علم التشريح وعلم النبات حتى القرن السادس عشر ، وفى الآراء المتصلة بالبناء الطبيعى للكائنات الحية خلال العصور الوسطى . وظلت مؤلفات أرسطو وثيوغراستوس فى علم الحياة تتناقلها بطريقة مضطربة بضع مخطوطات قليلة نادرة فى أديرة الشرق وقد دمر تدميراً كاملا كل ما أنتجه نشاط مئات السنين فى الاسكندرية وبرغامة كما عفا النسيان على المؤلفات الأيونية فى علم الحياة ، التى نجا القليل منها بمعجزة . ولكن مؤلفات جالينوس الضخمة السيئة الترتيب ظلت باقية . فقد ترجمت إلى اللاتينية والسريانية والعربية والعبرية ، وتشبعت بها الحركة الفكرية فى العصور الوسطى . وقد علق عليها وشرحها الكتاب الاغريق المتأخرون وترجمت هذه الشروح بدورها إلى نفس اللغات المشار إليها آنفاً فأصبحت تتداول مرة أخرى تحت أسماء مؤلفين أغريقيين آخرين .

ما هو السر الكامن وراء حيوية آراء جالينوس هذه فى علم الحياة ؟ يمكن الإجابة عن ذلك فى أربع كلمات : كان جالينوس باحثاً غائياً . أى أنه يعتقد أن كل شىء قد خلقه الله لغاية خاصة محددة . يضاف إلى ذلك أن غائيته كانت من نوع تصادف أنه كان يتمشى مع الاتجاه الدينى السائد فى العصور الوسطى سواء كان مسيحياً أو إسلامياً أو يهودياً . ففى رأيه أن كل شىء يوجد فى جسم الإنسان ويظهر نشاطاً هو من أبداع كائن مفكر أبدعه بحسب خطة ذكية ،

بحيث يكون العضو في بنائه ووظيفته نتيجة هذه الخطة . لقد كانت الحكمة اللانهائية للخالق هي التي تخيرت أفضل الوسائل للوصول إلى أغراضه الخيرة ، وأن من الأدلة على قدرته الشاملة أنه خلق كل شيء حسن حسب الخطة التي وضعها وبذلك حقق إرادته » وقد مرت بعد جالينوس ألف عام من الجهالة ، وكاد ينقطع تاريخ الطب وعلم الحياة .

مصنفات جالينوس(١)

ولجالينوس من المصنفات كتب كثيرة جدا . وهذا ذكر ماوجدته منها منتشراً فى أيدى الناس مما قد نقله حنين بن اسحق العبادى وغيره إلى العربى ، وأغراض جالينوس فى كل كتاب بينكس وهو الفهرست . وغرضه فى هذا الكتاب أن يصف الكتب التى وضعها ، وماغرضه فى كل واحد منها ومن دعاه إلى وضعه ، ولن وضعه فى أى حد من سنه وهو مقالتان : المقالة الأولى ذكر فيها كتبه فى الطب ، وفى المقالة الثانية كتبه فى المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو : كتاب فى مراتب قراءة كتبه مقالة واحدة،وغرضه فيها أن يخبر كيف ينبغى أن ترتب كتبه فى قراءتها كتاباً بعد كتاب من أولها إلى آخرها . كتاب الفرق مقالة واحدة . وقال جالينوس أنه أول كتاب يقرأه من أراد تعليم صناعة الطب ، وغرضه فيه أن يصف مايقوله كل واحد من فرقه أصحاب التجربة وأصحاب القياس وأصحاب الحيل ، فى تثبيت ماندعى والاحتجاج له والرد على من خالفه،وكيف الوجه فى الحكم على الحق والباطل منها . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة وهو شاب فى الثلاثين من عمره عند دخوله رومية أول مرة ، كتاب الصناعة الصغيرة مقالة واحدة . وقد قال جالينوس فى أوله أنه أثبت فيه جمل ماقد بينه على الشرح والتلخيص فى غيره من الكتب ، وأن مافيه بمنزلة النتائج لما فيها ، كتاب النبض الصغير وهو أيضاً مقالة واحدة عنونها جالينوس إلى طوثرس وسائر المتعلمين ، وغرضه فيها أن يصف مايحتاج المتعلمون إلى عمله من أمر النبض ، ويعدد فيه أولا أصناف النبض ، ولم يذكرها جميعها ، وإنما ذكر مايقوى المتعلمون على فهمه منها . ثم يصف بعد الأسباب التى تغير النبض ما كان منها طبيعياً ، وما كان منها ليس بطبيعى ، وما كان خارجا من الطبيعة . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة فى الوقت الذى وضع فيه كتابه فى الفرق كتابا إلى أغلوقن فى التأتى لشفاء الأمراض ومعنى أغلوقن باليونانية الأزرق

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لأبن أبى أصيبعة الجزء الأول.

وكان فيلسوفا وعندما رأى من آثار جالينوس فى الطب ماأعجبه سأله أن يكتب له ذلك الكتاب ولما كان لايصل المداوى إلى مداواة الأمراض دون معرفتها ، قدم قبل مداواتها دلائلها التى تعرف بها ووصف فى المقالة الأولى دلائل الحميات ومداواتها ، ولم يذكرها كلها لكنه اقتصر منها على ذكر مايعرض كثيرا . وهذه المقالة تنقسم قسمين : وصف فى القسم الأول من هذه المقالة الحميات التى تخلو من الأعرض الغريبة ، ووصف فى القسم الثانى الحميات التى معها أعراض غريبة ، ووصف فى المقالة الثانية دلائل الأورام ومداواتها . وكان وضع جالينوس لهذا الكتاب فى الوقت الذى وضع فيه كتاب الفرق . كتاب فى العظام ، هذا الكتاب مقالة واحدة وعنونه جالينوس فى العظام للمتعلمين ، وذلك أنه يريد أن يقدم المتعلم للطب تعلم علم التشريح على جميع فنون الطب ، لأنه لايمكن عنده دون معرفة التشريح أن يتعلم شيئا من الطب القياسى وغرض جالينوس من هذا الكتاب أن يصف حال كل واحد من العظام فى نفسه وكيف الحال فى اتصاله بغيره . وكان وضع جالينوس له حين وضع سائر الكتب إلى المتعلمين .

كتاب فى العضل :

هذا الكتاب مقالة واحدة ، ولم يعنونه جالينوس إلى المتعلمين لكن أهل الأسكندرية أدخلوه فى عداد كتبه إلى المتعلمين . وذلك أنهم جمعوا مع هاتين المقالتين ثلاث مقالات أخر كتبها جالينوس إلى المتعلمين ، واحدة فى تشريح العصب ، وواحدة فى تشريح العروق غير الضوارب وجعلوه كأنه دون كتابا واحداً ذا خمس مقالات ، وعنونه فى التشريح إلى المتعلمين وعرض جالينوس فى كتابه هذا أعنى كتابه فى العضل ، أن يصف جميع العضلات فى كل واحد من الأعضاء كم ؟ هى وأى عضل هى ؟ ومن أين تبتدىء كل واحدة منها ومافعلها بغاية الاستقصاء .

كتاب فى العصب :

هذا الكتاب أيضاً مقالة كتبها إلى المتعلمين وغرضه فيها أن تصف كم

نوعا العصب تنبث من الدماغ والنخاع ، وأى الأعصاب هى وكيف وأين تنقسم كل واحدة منها ومافعلها . كتاب فى العروق : هذا الكتاب عند جالينوس مقالة واحدة يصف فيها أمر العروق التى تنبض والتى لا تنبض ، كتبه للمتعلمين وعنونه إلى أنطشانس فاما أهل الاسكندرية فقسموه إلى مقالتين : مقالة فى العروق غير الضوارب ، ومقالة فى العروق الضوارب ، وغرضه فيه أن يصف كم طرفا تنبت من الكبد وأى العروق هى وكيف هى ، وأين ينقسم كل واحد منها ، وكم شريانا تنبت من القلب ، وأى الشريانات هى ، وكيف هى وأين تنقسم .

كتاب الاسطقسات :

على رأى ابقراط مقالة واحدة ، وغرضه فيه أن يبين أن جميع الأجسام التى تقبل الفساد ، وهى أبدان الحيوان والنبات والأجسام التى تتولد فى بطن الأرض ، إنما تركيبها فى الأركان الأربعة التى هى النار والهواء والماء والأرض ، وأن هذه هى الأركان الأولى البعيدة لبدن الإنسان ، وأما الأركان الثوانى القريبة التى بها قوام بدن الإنسان وسائر ماله دم من الحيوان ، فهى الأخلاط الأربعة أعنى الدم والبلغم والمرتين .

كتاب المزاج :

ثلاث مقالات ، وصف فى المقالتين الأولتين منه أصناف مزاج أبدان الحيوان فبين كم هى وأى الأصناف هى ، ووصف الدلائل التى تدل على كل واحد منها . وذكر فى المقالة الثالثه منه أصناف مزاج الأدوية ، وبين كيف تختبر وكيف يمكن تعرفها .

كتاب القوى الطبيعية ثلاث مقالات :

وغرضه فيه أن يبين أن تدبير البدن يكون بثلاث قوى طبيعية ، وهى القوة الجابلة والقوة المنمية والقوة العادية . وأن القوة الجابلة مركبة من قوتين

أحداها تغير المنى وتجعله حتى تجمل منه الأعضاء المتشابهة الأجزاء ، والأخرى تركيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء بالهيئة والوضع والمقدار ، أو العدد الذى يحتاج إليه فى كل واحد من الأعضاء المركبة . وأنه يخدم القوة العادية أربع قوى : وهى القوة الجاذبة والقوة الممسكة والقوة المغيرة والقوة الدافعة .

كتاب العلل والأعراض ست مقالات :

وهذا الكتاب أيضاً لجالينوس ومقالاته متفرقة ، وإنما جمعها الأسكندريون جمعوها وجعلوها كتابا واحداً ، وعنون جالينوس المقالة الأولى من هذه الست المقالات فى أصناف الأمراض ، ووصف فى تلك المقالة كم أجناس الأمراض ، وقسم كل واحد من تلك الأجناس إلى أنواعه فى القسمة إلى أقصى أنواعها . وعنون المقالة الثانية منها فى أسباب الأمراض ، وغرضه فيهاموفق لعنوانها،وذلك أنه يصف فيها كم أسباب كل واحد من الأمراض وأى الأسباب هى ،وأماالمقالة الثالثة من هذه الست فعنونها فى أصناف الأعراض ، ووصف فيها كمأجناس الأعراض وأنواعها ، وأى الأعراض هى . وأما الثلاث المقالات الباقية فعنونها فى أسباب الأعراض ، ووصف فيها كم الأسباب الفاعلة لكل واحد من الأعراض ، وأى الأسباب هى .

كتاب تعرف علل الأعضاء الباطنة ويعرف أيضاً بالمواضع الآلمة ست مقالات وغرضه فيه أن يصف دلائل يستدل بها على أحوال الأعضاء الباطنة إذا حدثت بها الأمراض ، وعلى تلك الأمراض التى تحدث فيها أى الأمراض هى ، ووصف فى المقالة الأولى وبعض الثانية منه السبل العامة التى تتعرف بها الأمراض وواضعها ، وكشف فى المقالة الثانية خطأ إرخيجانس فى الطرق التى سلكها فى طلب هذا الغرض ثم أخذ فى باقى المقالة الثانية ، وفى المقالات الأربع التالية لها فى ذكر الأعضاء الباطنة وأمراضها عضواً عضوا . وإبتدأ من الدماغ وهلم جرا على الولاء ، يصف الدلائل التى يستدل بها على واحد واحد منها إذاأعتل كيف تتعرف علته إلى أن إنتهي إلى أقصاها .

كتاب النبض الكبير :

هذا الكتاب جعله جالينوس فى ست عشرة مقالة وقسمها بأربعة أجزاء ، فى كل واحد من الأجزاء أربع مقالات ، وعنون الجزء الأول منها فى أصناف النبض وغرضه فيه أن يبين كم أجناس النبض الأول ، وأى الأجناس هى ، وكيف ينقسم كل واحد منها إلىأنواعه ، إلى أن ينتهى إلى أقصاها . وعمد فىالمقالة الأولى من هذا الجزء إلى مايحتاج إليه من صفة أجناسالنبض وأنواعها ، فجمعه فيها عن آخره . وأفرد الثلاث المقالات الباقية من ذلك الجزء للحجاج،والبحث عن أجناس النبض وأنواعه وعن حده . وعنون الجزء الثانى فى تعرف النبض وغرضه فيه أن يصف كيف يتعرف كل واحد من أصناف النبض بجسة العرق ، وعنون الجزء الثالث فى أسباب النبض ، وغرضهفيه أن يصف من أىالأسباب يكون كل واحد من أصناف النبض . وعنون الجزء الرابع فى تقدمة المعرفة من النبض وغرضه فيه أن يصف كيف يستخرج سابق العلم من كل واحد من أصناف النبض .

كتاب أصناف الحميات : مقالتان وغرضه فيه أن يصف أجناس الحميات وأنواعها ودلائلها وصف فىالمقالة الأولى منه جنسين من أجناسها ، أحدهما يكون فىالروح ، والآخر فى الأعضاء الأصلية . ووصف فى المقالة الثانية الجنس الثالث منها الذى يكون فى الأخلاط إذا عفنت • كتاب البحران ثلاثمقالات، وغرضه فيه أن يصف كيف يصل الإنسان إلى أن يتقدم ، فيعلم هل يكون البحران أم لا، وأن كان يحدث فتى يحدث وبماذا وإلى أى شىء يؤول أمره . كتاب أيامالبحران ثلاثمقالات، وغرضه فى المقالتين الأولتين منه أن يصف اختلاف الحال من الأيام فى القوة وأيها يكون فيه البحران ، وأيها لايكاد يكون فيه ، وأى تلك التى يكون فيها البحران : البحران الحادث فيها محمودا ، وأيها يكون البحران الحادث فيها مذموما ، وما يتصل بذلك . ويصف فى المقالة الثالثة الأسباب التى من أجلها اختلفت الأيام فى قواها هذا الاختلاف .

كتاب حيلة البرء : أربع عشرة مقالة وغرضه فيه أن يصف كيف يداوى كل واحد من الأمراض بطريقة القياس ويقتصر فيه على الأعراض العلمية التى ينبغى أن يقصد قصدها فى ذلك ، ويستخرج منها ماينبغى أن يداوى به كل مرض من الأمراض ، ويضرب لذلك أمثلة يسيرة من أشياء جزئية . وكان وضع ست مقالات منه لرجل يقال له أيارن ، بين فى المقالة الأولى والثانية منها الأصول الصحيحة التى عليها يـكون مبنى الأمر فى هذا العلم وفسخ الأصول الخطأ التى أصلها اراسطراطس وأصحابه . ثم وصف فى المقالات الأربع الباقية مداواة تفرق الاتصال من كل واحد من الأعضاء . ثم أن إيارن توفى فقطع جالينوس إستتمام الـكتاب إلى أن سأله أوجانيوس أن يتممه ، فوضع له الثمانى المقالات الباقية فوصف فى الست الأول منها مدواة أمراض الأعضاء المتشابهة الأجزاء ، وفى المقالتين مداولة أمراض الأعضاء المركبة ، ووصف فى المقالة الأولى من الست الأولى مداواة أصناف سوء المزاج كلها إذا كانت فى عضو واحد واجرى أمرها على طريق التمثيل بما يحدث فى المعدة . ثم وصف فى المقالة التى بعدها وهى الثامنة من جمله الـكتاب مداواة أصناف الحمى التى تـكون فى الروح ، وهى حمى يوم . ثم وصف فى المقالة التى تتلوها وهى التاسعة مداواة الحمى المطبقة . ثم فى العاشرة مداواة الحمى التى تـكون فى الأعضاء الأصلية وهى الدق ووصف فيها جميع ما يحتاج إلى عمله من أمر إستعمال الحمام . ثم وصف فى الحادية عشر والثانية عشرة مداواة الحميات التى تـكون من عفونة الاخلاط . أما فى الحادية عشرة فما كان منها خلوا من أعراض غريبة . وأما فى الثانية عشرة فما كان منها مع أعراض غريبة .

كتاب علاج التشريح – وهو الذى يعرف بالتشريح الـكبير ، كتبه فى خمس عشرة مقالة وذكر أنه قد جمع فيه كل ما يحتاج إليه من أمر التشريح، ووصف فى المقالة الأولى منه العضل والرباطات فى اليدين ، وفى الثانية العضل والرباطات فى الرجلين وفى الثالثة العصب والعروق التى فى اليدين والرجلين ، وفى الرابعة العضل الذى يحرك الخدين والشفتين ، والعضل الذى يحرك اللحي الأسفل إلى ناحية الرقبة

والـكتفين ، وفى الخامسة عضل الصدر ومراق البطن والمتنين والصلب . ووصف فى السادسة آلات الغذاء وهى المعدة والامعاءوالـكبد والطحال والـكليتين والمثانة وما أشبه ذلك وفى السابعة والثامنة وصف تشريح آلات التنفس ، أما فى السابعة فوصف مايظهر فى التشريح فى القلب والرئة والعروق والضوارب بعد موت الحيوان ومادام حيا ، وأما فى الثامنة فوصف مايظهر فى التشريح فى جميع الصدر وأفرد المقالة التاسعة بأسرها بصفة تشريح الدماغ والنخاع . ووصف فى العاشرة تشريح العينين واللسان والمرىء وما يتصل بهذه من الأعضاء . ووصف فى الحادية عشرة الحنجرة والعظم الذى يشبه اللام فى حروف اليونانيين وما يتصل بذلك من العصب الذى يأتى هذه المواضع، ووصف فى الثانية عشرة تشريح أعضاء التوليد ، وفى الثالثة عشرة تشريح الضوارب وغير الضوارب ، وفى الرابعة عشرة تشريح العصب الذى ينبت من النخاع . قال جالينوس . وهذا الـكتاب المضطر إليه من علم التشريح ، وقد وضعت كتبا أخر لست بمضطر إليها لـكنها نافعة فى علم التشريح .

إختصار كتاب مارينس فى التشريح — وكان مارينس قد ألف كتابه هذا فى عشرين مقالة وإنما جالينوس اختصره فى أربع مقالات (أختصار كتاب لوقس فى التشريح) وهذا الـكتاب أيضا الفه صاحبه فى سبع عشرة مقالة ، وقد ذكر جالينوس أنه اختصره فى مقالتين . كتاب فيما وقع من الاختلاف بين القدماء فى التشريح مقالتان وغرضه فيه أن يبين أمر الاختلاف الذى وقع فى كتب التشريح فيما بين من كان قبله من أصحاب التشريح أى شىء منه ، إنما هو فى الـكلام فقط . وأى شىء منه وقع فى المعنى ، وما سبب ذلك . كتاب تشريح الأموات : مقالة واحدة يصف فيها الأشياء التى تعرف من تشريح الحيوان الميت لأى الأشياء هى . كتاب تشريح الأحياء . مقالتان وغرضه فيه أن يبين الأشياء التى تعرف من تشريح الحيوان الحى أى الأشياء هى . كتاب فى علم ابقراط بالتشريح : هذا الـكتاب جعله جالينوس فى خمس مقالات وكتبه لبوبثوس فى

حداثة سنه ، وغرضه فيه أن يبين أن إبقراط كان صادقا بعلم التشريح ، وأتى على علم ذلك بشواهد من جميع كتبه . كتاب فى آراء اراسطراطس بالتشريح : هذا الكتاب جعله فى ثلاثة مقالات ، وكتبه أيضاً لبويثوس فى حداثة من سنه وغرضه فيه أن يشرح ماقاله ارسطراطس فى التشريح فى جميع كتبه . ثم بين له صوابه فيما أصاب وخطأه فيما اخطأ فيه . كتب فيما لم يعلمه لوقس من أمرالتشريح أربع مقالات . كتاب فيما خالف فيه لوقس فى التشريح مقالتان . كتاب فى الرحم هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة كتبه لأمرأة قابلة فى حداثة سنه فيه جميع مايحتاج إليه من تشريح الرحم ، ومايتولد فيها فى الوقت الذى للحمل. كتاب فى مفصل الفقرة الأولى من فقار الرقبة واحدة : كتاب فى إختلاف الأعضاء المتشابهة الأجزاء مقالة واحدة . كتاب فى تشريح آلات الصوت مقالة واحدة وقال حنين . أن هذا الكتاب منتحل على لسان جالينوس وليس هو لجالينوس ولا لغيره من القدماء ؛ ولكنه لبعض الحدث جمعه من كتب جالينوس ؛ وكان الجامع له مع هذا أيضاً ضعيفا . كتاب فى تشريح العين هذا الكتاب أيضاً مقالة واحدة . وقال حنين : أن عنوانه أيضاً باطل لأنه ينسب إلى جالينوس وهو لجالينوس وخليق أن يكون لروفس أولمن دونه .

كتاب فى حركة الصدر والرئة : هذا الكتاب جعله فى ثلاث مقالات ، وكان وضعه فى حداثة من سنه بعد عودته الأولى من رومية ، وكان حينئذ مقيما بمدينة سمرنا عند فالقس ، وإنما كان سأله اياه بعض من كان يتعلم معه . وصف فى المقالتين الأولتين منه وفى أول الثالثة ما أخذه عن فالقس معلمه فى ذلك الفن . ثم وصف فى باقى المقالة الثالثة ما كان هو المستخرج له . كتاب فى علل النفس هذا الكتاب جعله فى مقالتين فى رحلته الأولى إلى رومية لبويثوس ، وغرضه فيهما أن يبين من أى الآلات يكون التنفس عفواً ومن أيها يكون باستكراه .

كتاب فى الصوت : هذا الكتاب جعله فى أربع مقالات بعد الكتاب الذى ذكرته قبله ، غرضه فيه أن يبين كيف يكون الصوت وأى شيء هو وما مادته ،

وأى الآلات يحدث وأى الأعضاء تعين على حدوثه ، وكيف تختلف الأصوات . كتاب فى حركة العضل مقالتان وغرضه فيه أن يبين ما حركة العضل وكيف هى ، وكيف تكون هذه الحركات المختلفة من العضل ، وإنما حركته حركة واحدة ويبحث أيضاً فيما عن النفس هو من الحركات الإرادية أم من الحركات الطبيعية؟ ويفحص فيه عن أشياء كثيرة لطيفة من هذا الفن . مقالة فى مناقضة الخطأ الذى أعتقد فى تمييز البول من الدم ، مقالة فى الحاجة إلى النبض ، مقالة فى الحاجة إلى التنفس ، مقالة فى العروق الضوارب هل يجرى فيها الدم بالطبع أم لا ؟

كتاب فى قوى الأدوية المسهلة : مقالة واحدة يبين فيها أن إسهال الأدوية ما يسهل ليس هو بأن كل واحدة من الأدوية يحيل ما يصادفه فى البدن إلى طبيعته، ثم يندفع ذلك فيخرج ، لكن كل واحد منها يجتذب خلطاً موافقاً مشاكلا له . كتاب فى العادات مقالة واحدة وغرضه فيه أن يبين أن العادة أحد الأعراض التى ينبغى أن ينظر فيها ، ويوجد متصلا بهذا الكتاب ومتحداً معه تفسير ما أتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول فلاطن وشرح إيروقليس له ، وتفسير ما أتى به من قول أبقراط بشرح جالينوس .

كتاب فى آراء أبقراط وفلاطن : عشر مقالات وغرضه فيه أن يبين أن فلاطن فى أكثر أقاويله موافق لبقراط من قبل أنه عنه أخذها، وأن أرسطوطاليس فيما خالفهما فيه قد أخطأ ، وبين فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر قوة النفس المدبرة التى بها تكون الفكرة والتوهم والذكر ، ومن أمر الأصول الثلاثة التى منها تنبعث القوى التى بها يكون تدبير البدن وغير ذلك من فنون شتى . كتاب فى الحركة مقالة واحدة وغرضه فيها أن يبين أمر حركات كان قد جهلها هو ومن كان قبله ثم علمها بمد . كتاب فى آلة الشم مقالة واحدة .

كتاب منافع الأعضاء : سبع عشر مقالة بين فى المقالة الأولى والثانية حكمة البارى تبارك وتعالى فى إتقان خلقة اليد ، وبين القول الثالث حكمته فى إتقان

الرجل ، وفى الرابع والخامس حكمته فى آلات الغذاء ، وفى السادس والسابع أمر آلات التنفس ، وفى الثامن والتاسع أمرها فى الرأس ، وفى العاشر أمر العينين وفى الحادى عشر ما فى الوجه ، وفى الثانى عشر الأعضاء التى هى مشاركة للرأس والعنق ، وفى الثالث عشر نواحى الصلب والكتفين . ثم وصف فى المقالتين اللتين بعد تلك الحكمة فى أعضاء التوليد ، ثم فى السادس عشر من أمر الآلات المشتركة للبدن كله وهى العروق الضوارب وغير الضوارب . ثم وصف فى المقالة السابعة عشرة حال جميع الأعضاء ومقاديرها ، وبين منافع ذلك الكتاب كله مقالة فى أفضل هيئات البدن ، وهذه المقالة تتلو المقالتين الأولتين من كتاب المزاج ، وغرضه فيها يتبين من عنوانها. مقالة فى خصب البدن ، وهى مقالة صغيرة وغرضه فيها يتبين من عنوانها. مقالة فى سوء المزاج المختلف وغرضه فيها يتبين من عنوانها ، يذكر فيه أى أصناف سوء المزاج هو مستوفى البدن كله ، وكيف يكون الحال فيه ، وأى أصناف سوء المزاج هو مختلف فى أعضاء البدن .

كتاب الأدوية المفردة : هذا الكتاب جعله فى إحدى عشرة مقالة ، كشف فى المقالتين الأولتين خطأ من أخطأ فى الطرق الرديئة التى سلكت فى الحكم على قوى الأدوية ، ثم أصل فى المقالة الثالثة أصلا صحيحاً لجميع العلم بالحكم على القوى الأولى من الأدوية . ثم بين فى المقالة الرابعة أمر القوى الثوانى ، وهى الطعوم والروائح أخبر بما يستدل عليها منهما على القوى الأولى من الأدوية، ووصف فى المقالة الخامسة القوى الثوالث من الأدوية وهى أفاعيلها فى البدن من الأسخان والتبريد والتجفيف والترطيب ، ثم وصف فى المقالات الثلاث التى تتلو تلك قوة دواء من الأدوية التى هى أجزاء من النبات . ثم فى المقالة التاسعة قوى الأدوية التى هى أجزاء من الأرض أعنى أصناف التراب والطين والحجارة والمعادن ، وفى العاشرة قوى الأدوية التى هى مما يولد فى أبدان الحيوان . ثم وصف فى الحادية عشرة قوى الأدوية التي مما يتولد في البحر والماء المالح .

مقالة فى دلائل علل العين : كتبها فى حداثته لغلام كحال ، وقد لخص فيها العلل التى تـكون فى كل واحدة من طبقات العين ووصف دلائلها . مقـالة فى أوقات الأمراض وصف فيها أمر أوقات المرض الأربعة ، أعنى الابتداء والتزويد والانتهاء والإحطاط . كتاب الامتلاء : ويعرف أيضاً بكتاب الـكثرة ، وهو مقالة واحدة يصف فيها أمر كثرة الأخلاط ويصفها ، ويصف دلائل كل واحد من أصنافها . مقالة فى الأورام : ورسمها جالينوس أصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة . ووصف فى هذه المقالة جميع أصناف الأورام ودلائلها . مقـالة فى الأسباب البادية : وهى الأورام التى تحدث من خارج البدن ، يبين فى هذه المقالة أن للأسباب البادية عملا فى البدن ونقض قول من دفع عملها. مقالةفى الأسباب المتصلة بالأمراض : ذكر فيها الأسباب المتصلة بالمرض الفاعلة له . مقالة فى الرعشة والنافض والاختلاج والتشنج مقالة فى أجزاء الطب : يقسم فيها الطب على طرق شتى من القسم والتقسيم .

كتاب المنى : مقالتان وغرضه فيه أن يبين أن الشىء الذى يتولد منه جميع أعضاء البدن ليس هو الدم كما ظن أرسطوطاليس ، لـكن تولد جميع الأعضاء الأصلية إنما هو من المنى وهى الأعضاء البيض ، وأن الذى يتولد من دم الطمث إنما هو اللحم الأحمر وحده . مقالة فى تولد الجنين المولود لسبعة أشهر ، مقالة فى المرة السوداء يصف فيها أصناف السوداء ودلائلها . كتاب أدوار الحميـات وتراكيبها ، مقالة واحدة يناقض فيها قوماً أدعوا الباطل من أمر أدوار الحميت وتراكيبها وعنوان هذا الـكتاب عند جالينوس مناقضة من تـكلم فى الرسوم قال حنين : وقد توجد مقالة أخرى نسبت إلى جالينوس فى هذا الباب وليست له .

اختصار كتابه المعروف بالنبض الكبير : مقالة واحدة ذكر جالينوس أنه أكمل فيها النبض . قال حنين : وأما أنا فقد رأيت باليونانية مقالة ينحى بها هذا النحو ، ولست أصدق أن جالينوس الواضع لتلك المقالة ، لأنها لا تحيط بـكل مايحتاج إليه من أمر النبض وليست بحسنة التأليف أيضا . وقد يجوز أن يكون

جالينوس قد وعد أن يضع تلك المقالة فلم يتهيأ له وضعها، فلما وجده بعض الكذابون قد وعد ولم يف حرص على وضع تلك المقالة وأثبت ذكرها فى الفهرست كما يصدق فيها ، ويجوز أن يكون جالينوس أيضاً قد وضع مقالة فى ذلك غير تلك وقد درست كما درس كثير من كتبه وافتعلت هذه المقالة عوضها ومكانها . كتاب فى النبض : يناقض فيه أرخيجانس ، قال جالينوس : أنه جعله فى ثمان مقالات . كتاب فى رداءة التنفس . هذا الكتاب جعله فى ثلاث مقالات ، وغرضه فيه أن يصف أصناف التنفس الردىء وأسبابه ومايدل عليه ، وهو يذكر فى المقالة الأولى منه أصناف التنفس وأسبابه ، وفى الثانية أصناف سوء التنفس ومايدل عليه كل صنف منها ، وفى المقالة الثالثة يأتى بشواهد من كلام أبقراط على صحة قوله .

وكتاب نوادر تقدمة المعرفة : مقالة واحدة يحث فيهـا على تقدمة المعرفة ، ويعلم حيلا لطيفة تؤدى إلى ذلك ، ويصف أشياء بديعة تقدم فعلها من أمر المرض وأخبر بها فعجب منه. اختصار كتابه فى حيلة البرء مقالتان . كتاب الفصد : ثلاث مقالات قصد فى المقالة الأولى منها المناقضة لاراسطراطس لأنه كان يمنع من الفصد ، وناقض فى الثانية أصحاب أراسطراطس الذين برومية فى هذا المعنى بعينه ووصف فى الثالثة مايراه هو من العلاج بالفصد . كتاب الذبول مقالة واحدة ، وغرضه فيه أن يبين طبيعة هذا المرض وأصنافه ، والتدبير الموفق لمن أشرف عليه مقالة فى صفات لصبى يصرع . كتاب قوى الأغذية : ثلاث مقالات عدد فيه جميع مايغتذى به من الأطعمة والأشربة ، ووصف ما فى كل واحد منها من القوى كتاب التدبير الملطف مقالة واحدة وغرضه موافق لعنوانه . اختصار هذا الكتاب الذى فى التدبير الملطف مقالة واحدة . كتاب الكيموس الجيد والردىء مقالة واحدة يصف فيها الأغذية ويذكر أيها تولد كيموسا محموداً وأيها تولد كيموسا رديئاً . كتاب فى أفكار أرسطراطس فى مداواة الأمراض ثمان مقالات اختبر فيه السبيل التى سلكها أرسطراطس فى مداواة الأمراض ويبين صوابها

من خطئها . كتاب تدبير الأمراض الحادة على رأى أبقراط مقالة واحدة . كتاب تركيب الأدوية جعله فى سبع عشرة مقالة أجمل فى سبع منهـا أجناس الأدوية المركبة ، فعـدد جنساً جنساً منها وجعل مثلا جنس الأدوية التى تبنى اللحم فى القروح على حدته ، وجنس الأدوية التى تحلل على حدته ، وجنس الأدوية التى تدمل ، وسائر أجناس الأدوية على هـذا القياس ، وإنما غرضه فيـه أن يصف طريق تركيب الأدوية على الجمل ولذلك جعل عنوان هذه السبع المقالات فى تركيب الادوية عل الجمل والأجناس ، وأما العشر للقـالات الباقية فجعل عنوانها فى تركيب الأدوية بحسب المواضع ، وأراد بذلك أن صفته لتركيب الأدوية فى تلك المقالات العشر ليس يقصد بها إلى أن يخبر صنفاً صنفاً منها يفعل ما فى مرض من الأمراض مطلقا . لـكن بحسب المواضع أعنى العضو الذى فيه ذلك المرض ، وابتـدأ فيه من الرأس . ثم هلم جرا على جميع الأعضاء إلى أن انتهى إلى أقصاها .

أقول : وجملة هذا الـكتاب الذى وسمه جالينوس فى تركيب الأدوية لا يوجد فى هذا الوقت إلا وهو منقسم إلى كتابين ، و كل واحد منهما على حدته . ولا يبعد أن الاسكندرانيين لتبصرهم فى كتب جالينوس صنعوا هـذا أو غيرهم . فالأول يعرف كتاب فاطاجانس ويتضمن السبع المقـالات الأولى التى تقدم ذكرها ، والآخر يعرف بكتاب الميامر ويحتوى على العشر المقالات الباقية . والميـامر جمع ميمر وهو الطريق . ويشبه أن يكون سمى هذا الـكتاب بذلك إذ هو الطريق إلى استعمال الأدوية المركبة على جهة الصواب .

كتاب الأدوية التى يسهل وجودها : وهى التى تسمى الموجودة فى كل مكان مقالتان . وقال حنين : أنه قد أضيف إليه مقالة أخرى فى هذا الفن ونسبت إلى جالينوس ، وما هى لجالينوس لـكنها لفيلقربوس . وقال حنين أيضاً أنه قد ألحق فى هذا الـكتاب هذيانا كثيراً وصفات بديعة عجيبة وأدوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها قط . كتاب الأدوية المقابلة للأدواء جعله فى مقالتين ، ووصف فى المقالة الأولى منه أمر الترياق ، وفى المقالة الثانية منه أمر سائر المعجونات . كتاب

الترياق إلى مفيليايوس مقالة واحدة صغيرة . كتاب الترياق إلى قيصر وهـذا الـكتاب أيضاً مقالة واحدة . كتاب الحياة لحفظ الصحة . ست مقالات وغرضه فيه أن يعلم كيف يحافظ الأصحاء فيه على صحتهم ، من كان منهم على غلبة كمال الصحة ، ومن كانت صحته تقتصر على غاية الكمال ، ومن كان منهم يسير بسيرة الأحرار ، ومن كان منهم يسير بسيرة العبيد . كتاب إلى لسبولوس مقالة واحدة ، وغرضه فيه أن يفحص هل حفظ الأصحاء على صحتهم من صناعة الطب ثم هو من صناعة أصحاب الرياضة وهي المقالة التي أشار إليهـا في ابتداء كتاب تدبير الأصحاء ، حين قال أن الصناعة التي تتلو القيـام على الأبدان واحدة كما بينت في غير هذا الـكتاب .

كتاب الرياضة بالـكرة الصغيرة : هذا الـكتاب مقالة واحدة صغيرة يحمد فيها الرياضة بالـكرة الصغيرة واللعب بالصولجان ، ويقدمه على جميع أصناف الرياضة . تفسير كتاب عهد أبقراط . مقالة واحدة . تفسـير كتاب الفصول لأبقراط جعله في سبع مقالات . تفسير كتاب الـكسر لابقراط جعله في ثلاث مقالات . تفسير كتاب رد الخلع لابقراط جعله في أربع مقالات . تفسير كتاب تقدمة المعرفة لابقراط الذى نجده من تفسيره لهذا الـكتاب هو ثلاث مقالات . وقال لجالينوس في فينكس كتبه أنه فسره في خمس مقالات ، وأن هذه الثلاث مقالات الأولى هي تفسير الجزء الصحيح عن هذا الـكتاب . والمقالتان الباقيتان فيهما تفسير المشكوك فيه .

تفسير كتاب القروخ لأبقراط : جعله في مقالة واحدة . تفسير كتاب جراحات الرأس لأبقراط : مقالة واحدة . تفسير كتاب أجذيما لابقراط : فسر المقـالة (الأولى منه في ثلاث مقالات ، والثانية في سبع مقالات ، والثالثة في ثلاث مقالات ، والسادسة في ثمان مقالات هذه التي غيرها ، وأما الثلاث الباقية وهي الرابعة والخامس والسابعة فلم يفسرها ، لأنه ذكر أنها مفتعلة على لسان ابقراط . تفسير كتاب الاخلاط الابقراط : جعله على ثلاث مقالات . تفسير كتاب تقدمه

الانذار لابقراط : وهذا الكتاب لم أجد له نسخة إلى هذه الغاية . تفسير كتاب قاطيطرون لأبقراط : جعله فى ثلاث مقالات . تفسير كتاب الهواء والماء والمساكن لأبقراط جعله أيضاً فى ثلاث مقالات : وقد وجدنا بعض النسخ من هذا التفسير أيضاً فى أربع مقالات ، إلا أن الأول هو المعتمد عليه .

تفسير كتاب الغذاء لأبقراط جعله فى أربع مقالات . تفسير كتاب طبيعة الجنين لأبقراط . قال حنين : هذا الكتاب لم نجد له تفسيرا من قول جالينوس. ولا نجد جالينوس ذكر فى فهرس كتبه أنه أعطى له تفسيرا إلا أنا وجدناه قد قسم هذا الكتاب ثلاثة أجزاء فى كتابه الذى عمله فى علم أبقراط فى التشريح. وذكر أن الجزء الأول والثالث من هذا الكتاب متحول ليس لأبقراط . وإنما الصحيح منه الجزء الثانى . وقد فسر هذا الجزء جاسيوس الاسكندرانى ، وقد وجدنا لجميع الأجزاء الثلاثة تفسيرين أحدهما سريانى وسم بأنه لجالينوس ، قد كان ترجمة سرجس ، فلما فحصناه علمنا أنه لباليس والآخر يونانى ، فلما فحصناه وجدناه لسورانوس الذى من شيعة الترذيقيين . وترجم حنين نص هذا الكتاب إلا قليلا منه إلى العربية فى خلافة المعتز بالله .

تفسير كتاب طبيعة الإنسان لأبقراط جعله فى مقالتين . كتاب فى أن رأى أبقراط فى كتاب طبيعة الإنسان وفى سائر كتبه واحد جعله فى ثلاث مقالات . وقال جالينوس أنه ألفه بعد تفسيره لكتاب طبيعة الإنسان ، وذلك عندما بلغه أن قوما يعيبون ذلك الكتاب ويدعون فيه أنه ليس لأبقراط . كتاب فى أن الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا : مقالة واحدة . كتاب فى كتب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة مقالة واحدة . وكتاب فى البحث عن صواب ما كتب أصحاب ابقراط الذين قالوا بالكيفيات الأربع مقالة واحدة . وقال حنين : أن هذا الكتاب لا أعلم بالحقيقة أنه لجالينوس أم لا ، ولا أحسبه ترجم . كتاب فى السبات على رأى أبقراط ، وقال حنين أيضاً : أن القصة فى هذا مثل القصة فى الكتاب الذى ذكر قبله . كتاب فى ألفاظ أبقراط ، قال حنين : هذا الكتاب

أيضاً مقالة واحدة ، وغرضه فيه أن يفسر غريب ألفاظ أبقراط فى جميع كتبه ، وهو نافع لمن يقرأ باليونانية فأما من يقرأ بغير اليونانية فلا يحتاج إليه ولا يمكن أيضاً أن يترجم أصلا . كتاب فى جوهر النفس ما هى على رأى أسقليباس مقالة واحدة : كتاب فى التجربة الطبيعية . مقالة واحدة يقص فيها حجج أصحاب التجربة ، وأصحاب القياس بعضهم على بعض. كتاب فى الحث على تعميم الطب مقالة واحدة . وقال حنين : أن كتاب جالينوس هذا نسخ فيه كتاب مينودوطس ، وهو كتاب حسن نافع . كتاب فى أجل التجربة مقالة واحدة . كتاب فى محنة أفضل الأطباء مقالة واحدة . كتاب فيما يعتقده رأيا مقالة واحدة يصف فيها ما علم وما لم يعلم . كتاب فى الأسماء الطبية وغرضه فيه أن يبين أمر الأسماء التى استعملها الأطباء على أى المعانى استعملوها ، وجعله خمس مقالات ، والذى وجدناه قد نقل إلى اللغة العربية إنما هو المقالة الأولى التى ترجمها حبيش الأعسم .

كتاب البرهان : هذا الكتاب جعله فى خمس عشرة مقالة ، وغرضه فيه أن يبين كيف الطريق فى تبيين ما يتبين ضرره ، وذلك كان غرض أرسطوطا ليس فى كتابة الرابع من المنطق . قال حنين : ولم يقع إلى هذه الغاية إلى أحدمن أهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية . على أن جبرائيل قد كان عنى بطلبه عناية شديدة ، وطلبته أنا أيضا بغاية الطلب ، وجلت فى طلبه بلاد الجزيرة والشام كلها وفلسطين ومصر ، إلى أن بلغت الاسكندرية ، فلم أجد منه شيئاً إلا بدمشق نحوا من نصفه ، إلا أنه غير متوال ولاتام وقد كان جبرائيل أيضاً وجد منه مقالات ليست كلها المقالات التى وجدت بأعيانها . وترجم له أيوب ماوجد منها ، وأما أنا فلم تطب نفسى بترجمة شىء منها إلا باستكمال قراءتها ، لما هى عليه من النقصان والاختلال ، ثم انى ترجمت ما وجدت منه إلى السريانية ، وهو جزء يسير من المقالة الثانية ، وأكثر المقالة الثالثة ونحو من نصف المقالة الرابعة من أولها ، أو المقالة التاسعة ماخلا شيئاً

من أولها فإنه سقط ، وأما سائر المقالات الأخر فوجدت إلى آخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة ، فإن في آخرها نقصانا . وترجم عيسى بن يحي وأوجد من المقالة الثامنة إلى المقالة الحادية عشرة ، وترجم إسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة إلى المقالة الخامسة عشرة إلى العربية .

كتاب فى القياسات الوضعية مقالة واحدة .

كتاب فى قوام الصناعات قال حنين :

أنه لم يجد من هذا الكتاب باليونانية إلا نتفا منه . كتاب فى تعرف الإنسان عيوب نفسه مقالتان . وقال حنين : أنه لم يجد منه فى اليونانية إلا مقالة واحدة ناقصة . كتاب الأخلاق أربع مقالات وغرضه فيه أن يصف أصناف الأخلاق وأسبابها ودلائلها ومداواتها . مقالة فى صرف الاغتمام كتبها لرجل سأله ما باله لم يره اغتم قط عندما ذهب جميع ماقد كان تركه فى الخزائن العظمى لما أحترقت برومية ، فوصف له السبب فى ذلك وبين بماذا يجب الاغتمام وبماذا لا يجب . مقالة فى أن أخبار الناس قد ينتفعون بأعدائهم . كتاب فيما ذكره أفلاطون فى كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب أربع مقالات . كتاب فى أن قوى النفس التابعة لمزاج البدن مقالة واحدة ، وغرضه فيه يبين من عنوانه . كتاب جوامع كتب افلاطن قال حنين : ووجدت من هذا الفن من الكتب كتابا آخر فيه أربع مقالات من ثمان مقالات لجالينوس فيها جوامع كتب افلاطن. فى المقالة الأولى منها جوامع خمس من كتب افلاطن، وهى كتب اقراطليس فى الأسماء ، وكتاب سوفسطيس فى القسمة وكتاب بوليطيقوس فى المدبر ، وكتاب برمنيدس فى الصور ، وكتاب اوشيذيمس . وفى المقالة الثانية جوامع أربع مقالات من كتاب أفلاطن فى السياسة وفى المقالة الثالثة بجوامع المقالات الست الباقية من السياسة، وجوامع الكتاب المعروف بطيماوس فى العلم الطبيعى . وفى المقالة الرابعة جمل معانى الأثنتى عشرة مقالة التى فى السير لأفلاطن .

كتاب فى أن المتحرك الأول لا يتحرك مقالة واحدة . كتاب المدخل إلى

المنطق مقالة واحدة ، يتبين فيها الأشياء التى يحتاج إليها المتعلمون ، وينتفعون بها فى علم البرهان . مقالة فى عدد المقاييس : تفسير الكتاب الثانى من كتب أرسطوطاليس وهو الذى يسمى بأريمنياس ثلاث مقالات . وقال حنين إن الذى وجد له نسخة ناقصة . كتاب فيما يلزم الذى يلحن فى كلامه سبع مقالات . وقال حنين إن الذى وجده من هذا الكتاب مقالة واحدة ولم يترجمها . قال حنين بن إسحق وقد وجدنا أيضاً كتباً أخر قد وسمت بإسم جالينوس وليست له ، ولكن بعض نتف إخترعها قوم آخرون من كلامه فألفوا منها كتباً ، وبعضها كتب قد كان وضعها من كان قبل جالينوس فرسمت بإسم جالينوس . أما من قبل أن الفاعل لذلك أحب أن يتكثر بكثرة ما عنده من كتب جالينوس بما لا يوجد عنده غيره ، وهناك من إذا وجدوا فى الكتاب الواحد عدة مقالات ، ووجدوا على أول المقالة الأولى فيه إسم رجل من الناس ظنوا أن سائر تلك المقالات لذلك الرجل ، وبهذا السبب نجد كثيراً من مقالات روفس فى كتب كثيرة موسومة بإسم جالينوس ، مثل مقالة فى اليرقان .

قال حنين : والمقالات التى وجدناها موسومة بإسم جالينوس ، من غير أن تكون فصاحة كلامها شبيهة بمذهب جالينوس فى الفصاحة ، ولا قوة معانيها شبيهة بقوة معانى ما يعتقد هى هذه : مقالة فى أئمة الفرق . مقالة فى الرسوم التى رسمها بقراط . مقالة موسوعة الطبيب لجالينوس ، وهذه مقالة قد ذكرها جالينوس نفسه فى أول الفهرس ، وأخبر أنها منحولة لا صحيحة له . المقالة فى الصناعة ولست أعنى تلك المقالة الموسومة بهذا الرسم المشهور بالصحة ، لكن مقالة منحولة إليه ، كلام واضعها كلام ضعيف مقصر . مقالة فى العظام ولست أعنى تلك المقالة الصحيحة فى هذا الغرض ، بل مقالة أخرى قوة واضعها أضعف كثيراً من هذه الطبقة مقالة فى الحدود . مقالة على طريق المسألة والجواب . مقالة فى التنفس صغيرة شبيهة بالتنفس . مقالة فى الكلام الطبيعى . كتاب فى الطب على رأى أوميزس مقالتان

ونص كلام هاتين المقالتين شبيه جداً بكلام جالينوس ، إلا أن الغرض المقصود إليه فيهما ضعيف. وفى آخر المقالة الثانية منهما رأى أيضاً بعيد لا يشبه مذهب جالينوس مقالة فى أن الكيفيات ليست أجساماً . مقالة فى الأخلاط على رأى بقراط. مقالة يبحث فيها « هل أعضاء الجنين المتولد فى الرحم تتخلق كلها معاً أو لا ؟ مقالة يبحث فيها » هل الجنين الذى فى الرحم حيوان أو لا ؟ مقالة فى أن النفس لا تموت. مقالة فى اللبن ، مقالة فى تجفيف اللحم . مقاله فى الرسوم غير تلك المقالة الصحيحة ودونها فى القوة . مقالة فى البول . مقالة فى الرد على أصحاب الفرق الثالثة فى الوضع الذى يذكر فيه أسباب الأمراض عند تركيبها . مقالة أن أبقراط سبق الناس جميعاً فى معرفة الأوقات . مقالة فى أسباب العلل . مقالة فى اليرقان .

قال حنين: ماوجد جالينوس قد ذكره فى كتبه مما لا يثبته فى الفهرس ولا وقعت إلينا نسخته : مقالة فى الأخلاط على رأى بركاغورس . مقالة فيمن يحتاج فى الربيع إلى الفصد . أقول وهذا جملة ماتهيأ ذكره من كتب جالينوس الصحيحة والمنحولة إليه ، على ما أثبته حنين بن إسحق فى كتابه مما قد وجده ، وأنه قد نقل إلى اللغة العربية . وكان ذكره لذلك وقد أتى عليه من السنين ثمان وأربعون سنة ، كانت مدة حياته سبعين سنة . فبالضرورة أنه قد وجد أشياء كثيرة أيضاً من كتب جالينوس ونقلت إلى العربية . كما قد وجدنا كثيراً من كتب جالينوس .

ومما هو منسوب إليه بنقل حنين بن إسحق وغيره ، وليس له ذكر أصلا فى كتاب حنين المتقدم ذكره : من ذلك : تفسير كتاب أوجاع النساء لأبقراط مقالة واحدة . تفسير كتاب الأسابيع لأبقراط مقالة واحدة . تفسير كتاب تدابير الأصحاء لأبقراط مقالة واحدة . كتاب مداواة الأسقام ، ويعرف أيضاً بطب المساكين مقالتان كتاب فى الجبر ثلاث مقالات . كتاب فى الموت السريع مقالة واحدة . مقالة فى الحقن والقولنج ، مقالة فى النوم واليقظة والضمور . مقالة فى تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة . مقالة فى عناية الخالق عز وجل بالإنسان، رسالة إلى فيلافوس الملكة فى أسرار النساء . رسالة إلى قسطانس القهرمان فى

أسرار الرجال . كتاب فى الأدوية المكتومة التى كنى عنها فى كتبه ورمزها مقالة واحدة . وقال حنين بن اسحق : غرض جالينوس فى هذا الكتاب أن يصف ما جمعه طول عمره من الأدوية الخفيفة الخواص ، وجربها مراراً كثيرة فصحت فكتبها عن أكثر الناس ضنا بها عنهم ، ولم يطلع عليها إلا الخواص من ذوى الألباب وصحة التمييز من أهل الصناعة . وقد كان غيرى فسر هذا الكتاب فصحف وزادفيه ما ليس منه ، ونقص منه مالم يفهم تفسيره ، فساعدت نفسى فيه بحسب الإمكان والطاقة ، وقابلت به على التجارب التى إجتمعت عندى ، وفسرت ذلك لأبى جعفر محمد بن موسى . مقالة فى استخراج مياه الحشائش . مقالة فى إبدال الأدوية . كتاب جمع من الأقاويل التى ذكر فيها فعل الشمس والقمر والكواكب . مقالة فى الألوان . جوامع كتابه فى البرهان. كتاب الرد على الذين كتبوا فى المماثلات . كتاب طبيعة الجنين . كتاب الرد على إرثيجانس فى النبض . كتاب فى السبات إختصار لكتابه فى قوى الأغذية . كتاب فى الأفكار المسفية لأراسطراطس . كتاب منافع الترياق . مقالة فى الكيموسات . كلام فى الطموم . رسالة فى عضة الكلب الكلب . كتاب فى الأسباب الماسكة . تفسير كتاب فولويس فى تدبير الأصحاء. تفسير ما فى كتاب أفلاطن المسمى طيماوس من علم الطب . كتاب فى الأدوية المنقية . كتاب فى الأمعاء . كتاب فى تحسين الأصوات ونفى الآفات عنها .

أقول : وبالجملة فإن لجالينوس أيضاً كتب أخرى كثيرة مما لم يجده الناقلون منها ، ومما قد إندرس على طول الزمان وخصوصاً مافى المقالة الثانية مما قد ذكره جالينوس فى فهرست كتبه المسمى فينكس . فمن كانت له رغبة فى النظر إلى أسمائها ، وفى أعراضه فى كل واحد منها — فعليه بالنظر فى ذلك الكتاب .

فأما الأطباء المشهورون من بعد وفاة جالينوس وقريب منه فمنهم إسطفن الإسكندرانى وانقيلاوس الإسكندرانى جاسيوس الإسكندرانى وماريبنوس الإسكندرانى . وهؤلاء الأربعة ممن فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها وأوجز القول فيها . وطيماوس

جندبسابور

بلدة صغيرة فى الجنوب الغربى من فارس كانت فى ذلك العهد خير مدرسة تدرس فيها العلوم الفلسفية والطبية ، ويرجع تاريخ هذه البلدة إلى وقت أن كان حاكم القرى فيه سابور فإنه أغار على الشام ، ثم عاد فأنشأ بلدة جندسابور وهو تحريف لكلمة فارسية معناها (خير من أنطاكية) ولقد هرب إليها علماء الأسكندرية والشام حين اضطهدهم الإمبراطور زينهم وأقاموامدرسة للطب استمر عهدها الزاهر مئات السنين ، وكان الخلفاء العباسيين يستفتون أطباءها لأن صلة العباسيين بفارس قوية منذ بدايتهم ، ولأن الدعوة لبنى العباس كانت فى فارس ، وكانت أم المأمون فارسية ، وكان الخلفاء يبذلون لأطبائها العطاء حتى بلغ مقدار ما أعطى هرون الرشيد جبرائيل بن بختيشوع ثلاثة ملايين من الجنيهات .

ورأى الخلفاء العباسيون أن هناك علوماً عظيمة لم يكن العرب يعلمون عنها شيئا ، ووجد العلماء فى شغف الخلفاء بالعلم وتشجيعهم العلماء ماحفزهم إلى العمل ولم يكن إذ ذاك مايحفز الناس إلى العمل مثل ما تحفزهم رغبة الأمراء وتسابق عظماء الدولة إلى تشجيع العلم ورفع العلماء إلى الذروة العليا فى الأمة فاجتمع بذلك فى بغداد كل العناصر اللازمة للنهضات العلمية الكبرى . وأنشأ المأمون دار الحكمة التى سميت دار الحكمة المصرية على غرارها ، ودعا العلماء إلى ترجمة كل ما يمكن الوصول إليه من علوم اليونان ، فترجمت مؤلفات جالينوس الطبية ، وترجموا عن أبقراط وردفوى وأوربازوى ، وتدفقت التراجم ؛ وانتشر العلم بالعلوم الطبية وتعلمها الكثيرون .

وهنا انتشر تعلم الطب بين المسلمين وتفوق المسلمون فى كل باب من أبواب العلم حين أتيحت لهم الفرصة ، وهناك نشأ أطباء يعتبرون فى قمة العالم الطبى فى وقتهم مثل الرازى وثابت بن قرة وابنه سنان بن ثابت ، وهو الذى عهد إليه

الخليفة المقتدر أن يمتحن الأطباء الذين يريدون أن يمارسوا مهنتهم فى بغداد قبل أن يعطوا تصريحاً بذلك ، ثم ظهر بعد ذلك ابن سينا ، فوصل بالطب العربى الإسلامى إلى أقصى مايمكن أن يصل إليه ، ولم يبق بعده زيادة لمستزيد فى وقته ، وحين وصل ابن سينا بالطب فى عصره إلى غايته ابتدأ وقت الانحلال !

وكانت الأندلس تهتم بالطب والأطباء ، وظهر فيها ابن زهر وكان للجراحة بها شأن خاص يفوق بغداد والقاهرة .

ثم مضت قرون والبلاد الإسلامية فى أحسن حال من الناحية الطبية . فكان بها البيمارستانات الكبيرة فى الرى وفى بغداد وفى القاهرة والأندلس ، وكان نظامها متقناً ، وكان يعتنى بها الأمراء والسلاطين ، وكان بها المدارس الطبية التى يتخرج منها مئات الأطباء .

وكان اتصال أوربة بالعالم الإسلامى وطبه وفلسفته عن طريق الأندلس ، وحين فتح الإسلام طليطلة وجد الفاتحون علوماً منظمة ، وطلبوا من العلماء المسلمين أن ينقلوا الكتب العربية إلى اللاتينية ، وهنا انقلبت الرواية فازدهرت أوربا ، وتضوع علمها بعد استقصاء علم المسلمين ، وترجم كتاب الحاوى للرازى والقانون لابن سينا ، وكتاب الملكى لعلى بن عباس ، وكتاب ابن زهر الأندلسى ولقد أخذ الأوربيون عن المسلمين نظام البيمارستانات وكان المسلمون يعنون بها وينظمونها ويهتمون بمرضاها ؛ وكان لكل أستاذ مساعد ومساعدون وتلاميذ ، وكان المريض يعرض كما يعرض اليوم على الطالب ثم على المساعد ثم على الأستاذ ، وكان يكتب عنه كل شىء خاص بمرضه وابتدائه وأسبابه وأعراضه ، وكان الرازى أستاذ الفن الإكلينيكى غير منازع .

وكان من خصائص أطباء جند يسابور أن يقصروا علمهم عليهم ، ولم تكن عندهم رغبة فى أن يفضوا بعلمهم إلى الغرباء ؛ ويستدل على ذلك بما لقيه فى أول عهده بالتعليم حنين بن إسحق المترجم الشهير الذى قام بترجمة المؤلفات الطبية

اليونانية إلى اللغـة العربية ؛ وهو الذى عرف فى أوربة فى العهـد الوسيط « بجوهانيفيوس » .

وكان حنين من أهل الخبرة ، وعنده رغبة شديدة إلى المعرفة ، وكان هناك صيدلانى هو يوحنا بن ماسويه فتابع الاستماع إلى محاضراته ، ولـكنه كان يجنح إلى توجيه أسئلة محرجة كثيرة جدا فصاح فيه أستاذه : « ماذا يصنع أهل الحـيرة بالطب ؟ اذهب واشتغل فى صرف النقود فى الشوارع » ثم طرده فخرج باكيا .

ويقول القفطى : وذلك لأن القوم فى جند بسـابور كانوا يعتبرون أنفسهم الجديرين وحدهم بهذا العلم ؛ ولا يرضون أن يذهب هذا العلم منهم ومن أولادهم وأقاربهم ، ولكن حنين وقد زاد عزماً وتصميماً على تحصيل المعرفة من مصادرها تغيب سنين عدة تعلم فيها اللغة اليونانية ، وخلال هذه المدة رأى الطبيب يوسف وهو أحد معارف حنين السابقين .

ولما رجع أخيراً اتصل بجبرائيل بن بختيشوع الذى اغتبط بمعرفته الوثيقـة باليونانية وصرح بأنه معجزة فى العلم ، وتقدم بن ماسويه الذى سبق أن طرده ازدراء لشأنه إلى يوسف يرجوه أن يتدخل بينه وبين حنين . ولقد ذكرت قرية جند سابور قبل ذلك ، وكانت مدرستها فى أوج عظمتها عنـد مولد النبي عليه الصلاة والسلام .

وهناك التقت العلوم اليونانية والشرقية . أما العلوم اليونانية فنقل جزء منها مباشرة عن طريق العلماء اليونانيين ، ولكن نقل معظمها يرجع إلى السوريين ذوى الجلد القادرين على الاستيعاب والذين عوضوا ماينقصهم من أصالة بالـكد والمثابرة . ولقد ترجمت فيها كتب أبوقراط وجالينوس إلى السريانية ، ونقل منها معظم الترجمات إلى العربية .

ولم تتأثر مدرسة جند بسابور إلا قليلا بالغزو العربى وفتحهم لفـارس فى القرن السابع الميلادى ، ولـكن سلطان بغداد مع تأثيرها الـكبير فى المسلمين لم

يبدأ فى الظهور إلا فى النصف الأخير من القرن الثامن عنـدما أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية ، وفى سنة ٧٦٥ ميلادية ؛ إذ استدعى المنصور ثانى الخلفـاء العباسيين جرجس بن بختيشوع كبير أطباء مستشفى جند بسـابور لمعالجته من مرض أعيا نطس الأطباء وعالجه ، فشفى وعرض عليه الإسلام فأجابه جرجس إنه يفضل أن يكون مع آبائه سواء فى الجنة أو فى النار .

وعاش فى كنف المنصور أربع سنوات وأعطاه عشرة آلاف دينار ، وأرسل له عيسى بن شهـلا ، ورفض أن يرسل ولده بختيشوع ، وظلت أسرة بختيشوع ستة أجيال متتابعة مايزيد على ٢٥٠ سنة محتفظة بالصدارة فى الطب ، وكان آخرهم جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع بن جبرائيل بن جرجس بن بختيشوع جبرائيل الذى توفى فى ١٠ من أبريل عام ١٠٠٦ ميلادية .

واستطاع حنين بن اسحق فيما يلى من الأيام أن يكسب رضا الخليفة الذى أراد أن يختبر أمانته لمهنته باختبار شاق ، فأمره أن يعد سما لأحد أعدائه وتوعـده بأشد العقاب (السجن أو الموت) إذا رفض ، ولكنه رفض ، وبعد أن قضى سنة فى السجن أحضر أمام الخليفة وخيره للمرة الثانية بين الموافقة والحصول على مكافأة سنية وبين نطع الجلاد ، فأجاب حنين : لقد سبق أن ذكرت لأمير المؤمنين إنى ماهر فقط فيما هو نافع ، ولم أدرس شيئاً غيره ، ولما هدده بالموت فوراً قال : (إن لى ربا سيجزينى غداً بما استحق يوم القيامة ، أما إذا كان الخليفة يريد أن يهلك نفسه فليقتلنى) وحينئذ تبسم الخليفة ، وأعلنه أنه إنما أراد أن يتثبت من استقامته ونزاهته قبل أن يوليه ثقته التامة .

ولم يكن حنين أشهر المترجمين ، بل كان أكثرهم إنتاجاً فإن سبعة من مؤلفات أبوقراط العشرة التى ذكر مؤلف الفهرست أن لها ترجمات عربية فى زمانه مترجمة بمعرفة حنين ، أما الثلاثة الأخرى فمن ترجمة تلميذه عيسى بن بحرة فى حين أن الـكتب الستة عشر التى ألفها جالينوس ترجمها حنين أو تلميذه حبيش ، وكان المتبع بصفة عامة كما تعـلم من الفهرست أن يترجم حنين من اليونانية إلى السوريانية ، ثم يقوم حبيش بالترجمة من السوريانية إلى العربية ، وتراجع بعد

ذلك النسخ العربية بمعرفة حنين الذى كان يقوم أحياناً بالترجمة من اليونانية إلى العربية مباشرة وكانت اللغات الثلاث معروفة لدى المترجمين .

وأمدتنا مدينة حران بطائفة أخرى من مهرة المترجمين من اليونانية إلى العربية ، وكانت مدينة جاهلية إلى القرن الثالث عشر وأصبحت صابئة ، وتعرف عند المسلمين بالمغتسلة لأن من طقوسهم كثرة الاستحمام والاغتسال .

وأشهر هؤلاء الحرانيين ثابت بن قرة ولد (٨٣٦ ومات سنة ٩٠١ م) وأولاده إبراهيم وسنان وحفدته ثابت وإبراهيم ، وابن حفيده سنان وعائلة زهرون .

وما ابتدأ القرن العاشر الميلادى حتى كان هناك طائفة كبيرة ممتازة من ترجمات أشهر المؤلفات اليونانية العلمية والفلسفية كلها بين يدى المسلمين الذين لم تكن اللغة العربية عندهم جميعا ودون نظر إلى أجناسهم لغة الوحى والقرآن والدين فحسب ، بل كانت لغة العلم والسياسة والتخاطب أيضاً .

وكان أحب مؤلف كتب الطب إليهم غير أبو قراط وجالينوس وفوس الأفيساوى وأوريباسيوس وبول الأجنتى والإسكندر الثيرانى أما أحب مؤلفى المادة الطبية فكان ديوسكوريدس .

وتكفلت التراجم العربية فى بعض الحالات بحفظ المؤلفات اليونانية التى فقدت أصولها فلقد فقدت كتب التشريح السبعة لجالينوس (من الكتاب التاسع إلى الكتاب الخامس عشر) أصولها اليونانية وبقيت فى اللغة العربية .

والترجمة السريانية كانت حرفية ولامعنى لها ، وكانت غامضة الأسلوب وبناؤها اللغوى خاطئاً ، والألفاظ مستعملة فى الغالب لتؤدى معانى ليست هى المعانى التى ترادفها إذا استعملت استعمالا صحيحا . . أما العقل العربى فكان عقلا مستثيراً إيجابيا ، واللغة العربية لغة تتسم بشدة الإنفعال والقوة ، وهى

غنية بالفعل وبما فيها من احتمالات كامنة ، وكان العرب الأقدمون قوما يتصفون بحدة الذهن وقوة الملاحظة ، وعندهم لكل مايقع تحت أنظارهم من أشياء طبيعية ألفاظ مناسبة بينها فروق دقيقة .

وكان عليهم طبعا فى كثير من الحالات لنقل كتب الطب اليونانية إلى لغتهم أن يقوموا بإيجاد مصطلحات جديدة مترجمة من اليونانية أو محاكية لها ، وغالبا لايتيسر فهمها إلا بالرجوع إلى الأصول اليونانية ، ولكن لغتهم كانت تحتوى منذ القدم على مفردات تشريحية غزيرة إلى حدما ، وكانوا فوق ذلك مولعين بتداولها فى حياتهم العادية ، وكذلك كان فى أشعارهم ، ومن ذلك أن الخليفة الأموى يزيد عبد الملك كان متأثر بحبه للجارية حبابه ، وكان يطرب لسماع البيت الآتى :

بين التراق واللهاة حرارة ما تطمئن ولاتسوغ فتبرد

وللشاعر المتنبى (القرن العاشر) قصيدة يصف بها حمىء أصابته فى مصر فى فبراير سنة ٩٦٠ ميلادية ، وشفى منها ، وفيها يصف الحمى بفتاة لعوب لا تزوره إلا تحت ستار الظلام ، ولعلها حمى الملاريا المتقطعة .

وزائرة كأن بها حياء فليس تزور إلا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها فتوسعه بأنواع السقام
إذا ما فارقتنى غسلتنى كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر إذا ألقاك فى الكرب العظام

ولقد صور المتنبى أحسن تصوير صورة واضحة لهذيان الحمى وعودتها المتقطعة كما صور إرتفاع الحرارة بالليل وألم العظام والعرق الذى يتصببه بعدها .

وكان كل شخص متعلم يلقى بعض عنايته للعلوم الطبية فكثير منهم كان يدرس الدين والتفسير والطب والفلك والفلسفة والبلاغة والشطرنج لاختبارها وهناك نقطة جديرة بالبحث هى : هل قام المسلمون بتشريح الأجسام ؟

الجواب : لا :

ولقد جاء فى كتاب الأعلام وهى موسوعة فارسية أن يوحنا بن ماسريه الشهير لما عجز عن الحصول على جثث آدمية قام بتشريح القردة فى حجرة خاصة للتشريح أقامها على ضفة دجلة .

وفى هذا الوقت ظهر على بن رين الطبرستانى والتحق بخدمة الخليفة فى سنة ٨٥٠ ميلادية ، وأمكنه بعد مدة إتمام كتاب فردوس الحكمة وهو أحد أربعة كتب ألفها .

وهو كتاب يتناول الطب بصفة رئيسية ، ويتناول الفلسفة والأرصاد الجوية وعلم الحيوان والأجنة وعلم النفس والفلك .

وكان هناك نوع من الامتحان التأهيلى لتخريج الأطباء قد تقرر عقده إن لم يكن فى عام ٨٥٠ ميلادية فى الوقت الذى كان يكتب فية مؤلفه — فبعد ٨٠ سنة من ذلك التاريخ فى عهد الخليفة المقتدر بسبب خطأ وقع ووصل إلى علمه سنة ٩٣١ ميلادية ، فأصدر قرارا يقضى كما يخبرنا القفطى فى كتاب تاريخ الحكماء (صفحة ٢٩١ ، ١٩٢) بألا يمارس أحد الطب فى بغداد إلا إذا أرضى سنان ابن ثابت الحرانى ، وشهد له بالكفاية والخبرة ، واستثنى من ذلك عدد قليل من الأطباء ذوى المنزلة المعترف بها لما نالوه من شهرة ، أما باقى الأطباء ويقرب عددهم من ٨١٠ أطباء فكان عليهم أن يؤدوا اختبارا .



الباب الثاني

طب العصر النبوى

طب العصر النبوى

لم يختلف العلاج الطبي فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام عما كان قبله كثيرا فيروى عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه أنه مرض بمكة ، فعاده رسول الله فقال : أدعوا له الحارث ابن كلدة فإنه رجل يتطبب .

أما عن آراء النبى صلى الله عليه وسلم فى الطب والصحة فلقد جمعت أحاديث كثيرة فى القرنين التاسع والعاشر الميلادى عن هذا الموضوع من البخارى ، ولكن نزلت آيات فى القرآن الكريم تبين مدى الاعجاز الطبي فيه ، وتكلم النبي عليه الصلاة والسلام بأحاديث تبين أنه عليه الصلاة والسلام ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى :

الفصل الأول

الإعجاز الطبي فى القرآن الكريم

لايمكن إطلاقا أن نخاطب العالم إلا بلغة العلم الحديث . والقرآن الكريم لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل عن عزيز حكيم حميد . .

والمتبحر فى آياته العلمية يجد أنها معجزات بالنسبة للعصر الماضى ومعجزات فى العصر الحاضر لأنها نزلت منذ ١٣٧٠ سنة هجرية .

وواجب المسلمين اليوم أن ينشروا ذلك ليجد الباحث الذى لادين له والذى يتبع ديناً غير الإسلام من أى أصول ومن أى منهل أخذ هذا الدين ؟

سيجد القارى لهذه الأبحاث أى مدى وصلت الآيات الكريمة أو أى عمق علمى فى دقائق الطب وصل القرآن ؟

قرأت كتب كثيرة عن الاسلام والطب منها كتاب المرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل ، ودرست المراجع الأجنبية لتكون سندا قويا ضد الذين يحتاجونها .

وهى مراجع هذا البحث مع الاجتهاد الذى يستند فى كل كلمة فيه إلى أساس علمى طبى ، ووجدت أنه لا يمكن أى ملحد يقرأ هذه الأبحاث بعقل مستنير وبموقف حيادى إلا أن يعتقد القرآن الكريم دستورا سماويا والإسلام دينا نزل للبشرية لينفعها فى الدنيا والآخرة .

يجب علينا أن نفرق بين القرآن الكريم وبين التفسير من حيث هو فهم المفسرين لكتاب الإسلام بعقلية مجتمعهم وظروف عصرهم وأنماط شخصياتهم ومذاهبهم ، وكل ما جاء فى تفسير الآيات العلمية فى العصور السابقة إنما هو دخيل طارىء أقحمته على الفهم الإسلامى لكتابنا المحكم أذواق أعجمية أو مذهبات طائفية أو مدسوسات إسرائيلية .

ومكان القرآن هو أنه آخر الكتب السماوية وما فى القرآن من آيات علمية ليس القصد منها دراسة قرآنية فى العلوم الطبية أو الكونية ، وإنما القصد منها أن تكون دليلا على القدرة الإلهية فى الكون يدركها الإنسان بفطرته السليمة وإذا نظرو تأمل وبحث فيؤمن بأن شيئا من هذا لا يمكن أن يكون عبثا : قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك » . سورة آل عمران (آية ١٩١) .

وقد تلقى العرب فى عهد البعث هذه الآيات وأدركوا دلالتها على القدرة الإلهية ، وحسب القرآن الكريم إعجازا أن النظريات العلمية الحديثة لم تنقص

شيئا مما جاء فيه . وإنما جاءت دليلا على أنها كانت معجزة أن تنزل فى زمانها ، وأنها سبقت العلم الحديث التجريبى المؤيد بجميع أجهزة العلم بمقدار ١٣٧٠ سنة هجرية

الوضوء

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة : الآية رقم ٦ .

« يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا » .

فى الوضوء حكمة بالغة إذ أنه يجب على المسلم أن ينظف الأعضاء الظاهرة من جسمه خمس مرات فى اليوم ، وفى هذا التكرار نظافة مستمرة للجسد .

والنظافة تبعد عن الإنسان كثيراً من الأمراض . فكلما تعفر الإنسان وتغير وسال عرقه وبخر جاء ميعاد الوضوء فأشاح بأقذاره وأطاح بها .

كذلك التطهر بعد التبول والتبرز .

إن القذارة تساعد على وجود القمل الذى ينقل الحمى التيفوسية ، وهناك أمراض أخرى تنتقل بالذباب وعدم غسل الأيدى مثل التيفويد والدسنتاريا والكولرا ، وكذلك يؤدى عدم النظافة إلى أمراض جلدية مختلفة .

وإن نظافة الفم عدة مرات فى اليوم من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة .

وكذلك غسل طاقة الأنف بماء بارد من أهم الوقاية من الزكام المتكرر .

أما الفائدة الروحية فهى حركة استعداد للصلاة وكأنه فترة للتأمل بين عمليتين مختلفتين .

الأول شغل ذهن الإنسان بأعمال الدنيا ، والوضوء معناه استعداد للصلاة أى الوجود أمام الخالق عزوجل .

وهي فترة كافية ليستجمع قواه العقلية ويهيىء نفسه للخشوع وترك شواغل العالم الفانى .

وهنالا أشخاص لا تتركهم أشغال الدنيا حتى بعد الوضوء ، ولذلك كان الذهاب إلى المسجد بعد الوضوء وقبل الصلاة بمدة كافية لأن يجعل الشخص مستعداً . للوقوف بين يدى المولى سبحانه وتعالى .

* * *

الصلاة :

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم (١٣٢) فى سورة طه :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » .

للصلاة أثر عظيم فى حياة المسلمين عامة وهى ركن من أركان الإسلام ، وهى عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، وحتى تنظم حياة الأفراد وتعودهم الطاعة والنظام والنظافة لجميع أعضاء الجسم بالاستحمام والوضوء ، وكذلك الملبس ليحفظ للانسان كرامته ، فصلاة الجماعة تجمع المسلمين فى المسجد ، فيعرف بعضهم حال الآخر ويتشاورون فى أمر دينهم ودنياهم.

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

ومقيم الصلاة يصارع الشر فى نفسه وهو يقف بين يدى الله خمس مرات . وفى الصلاة تطمئن القلوب الراجفة وتخشع النفوس الخائفة ، ولها أثر مباشر على أعضاء الجسم وجميع أجهزته فهى رياضة سهلة للكبير والصغير ، لأن فيها تتحرك عضلات الجسم كله ، وكذلك المفاصل والعمود الفقرى .

* * *

الصـــوم

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الـكريم :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلـكم لعلـكم تتقون أياماً معدودات . الآية ١٨٣ ، ١٨٤ من البقرة .

لقد فرض الله الصيام لأغراض دينية ، منها تعلم النفس الصبر وتحمل الجوع والعطش ، ليشعر الصائم بألم الفقير ، فيتألم له ويتصدق عليه بالطعام ولا يبخل عليه بالزكاة ، وليفهم الشخص معنى الحاجة إلى الطعام وهو قادر على أن يجده . فيعذر المحتاج إلى الطعام وهو غير قادر على إيجاده ، وربما كان يخجل فلايسأل الناس إلحافا .

ولذلك يسارع المؤمن إلى مساعدة أخيه المحتاج دون أن يسأله سواء بطريق الزكاة أو بطريق الصدقة أو غيرهما .

والصيام يعود الإنسان النظام والقناعة والصبر وكبح الشهوات .

أما فوائد الصيام الصحية فهى كما يلى .

إن الصيام يفيد فى كثير من الأمراض ، بل هو العلاج الوحيد فى بعضها . للعلاج يستعمل فيما يلى :

١ — اضطرابات الأمعاء الزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية وهنا ينجح الصيام وخصوصاً عدم شرب الماء بين الأكلتين وأن تـكون بين الأكلة والآخرى مدة طويلة كما فى صيام رمضان ، وإذا أخذ الغذاء المناسب على حسب حالة الشخص كانت أنجح طريقة لتطهير الأمعاء .

٢ — زيادة الوزن الناشىء من كثرة الغذاء وقلة الحركة أو بإسراف الناس على أنفسهم فى التهام الطعام فيزدادون وزنا ، ويبطئون فى حركتهم ، ولا علاج لهذه فى الطب الحديث غير الصيام .

٣ — زيادة الضغط الذاتى :

يكثر فى هذه الأيام الانفعالات النفسية وحياة الترف التى يحياها بعض الناس لتزداد متاعبهم وينتج إرتفاع الضغط فى الدم .

والصيام خير علاج لهذه الحالة وخاصة إذا كان الشخص من الوزن الثقيل .

٤ — البول السكرى :

وهو ينتشر فى هذه الأيام إنتشار ارتفاع ضغط الدم ، ويكون فى مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوباً غالباً بزيادة فى الوزن .

والصيام فى هذه الحالة خير علاج إذ أن السكر يهبط مع قلة الوزن ، ويهبط السكر فى الدم بعد الأكل بخمس ساعات إلى أقل من الحد الطبيعى فى حالات البول السكرى الخفيف وبعشر ساعات إلى أقل من الحد الطبيعى بكثير .

ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات فى الغذاء أهم علاج فى هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين وغيره من علاج السكر وخصوصاً إذا كان هذا الشخص يزيد فى الوزن الطبيعى .

٥ — إلتهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب وتورم .

٦ — أمراض القلب المصحوبة بتورم :

٧ — إلتهاب المفاصل المزمنة وخصوصاً إذا كانت مصحوبة بسمنة كما يحدث عند كثير من السيدات بعد سن الأربعين ، وقد تحسنت حالات بالصيام أكثر من جميع علاجات الطب الحديث من كهربا وأدوية على مختلف أشكالها وأنواعها .

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون .
(الآية ١٠ من البقرة)

الصحة تفاعل الإنسان مع بيئته بحيث يكون سليما لا يشعر بأى أعراض سواء أكانت بيئية أم جسمانية .

أما المرض فهو عدم تفاعل الإنسان مع البيئة ، وهنا يشعر بالآلام سواء أكانت نفسية أم جسدية : فالآلام الجسدية مثلا : شخص أصابه حرق أوعدوى ميكروبية ،هنا يتفاعل الجسد بالنسبة لها تفاعلا يظهر بشكل مرئى ، وهناك الآن تأثيرات نفسية فى الخارج تؤثر على الجسد بحيث تنتج ضغطا عليه يظهر بأعراض على مخه وعلى غدده الصماء وعلى مختلف أعضائه بتفاعلات كيماوية ، وهو التأثير النفسى وإذا استمر يصبح المرض النفسى مرضاً عضويا فى الجسد : فمثلا إذا فرض أن الإنسان قد تأثر بآلام نفسية شديدة فترتفع كمية الأدرنالين نتيجة نشاط الغدد الصماء فوق الكلى وإذا زاد هذا التأثير واستمر ينتج عن ذلك إرتفاع فى ضغط الدم ينتج تأثيراً عضوياً على القلب وعلى الكلى ، وتنتج دائرة رذلة : أى حلقة مفرغة ذات نتائج سيئة .

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » — الآية ١٧٣ من البقرة .

تنص الآية الكريمة على أنه يحرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير .

والحيوان الميت لا يموت إلا لمرض أو شيخوخة ، فإذا مات نتيجة لمرض فإنه مما لا شك فيه أنه ما زال يحمل فى جسمه بعد الموت مواد غير طبيعية وتسممية ضارة بجسم الإنسان الحى حتى بعد أن تعقم من الجراثيم بطريق الحرارة .

والجسم يشبه فى هذه الحالة الغذاء المتخمر الذى مهما طهر من الجراثيم بالحرارة لم يزل مضراً بالإنسان وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة .

وكذلك الدم فإنه سائل أغلبه وأهم عنصر فيه كريات الدم الحمراء ، وفيه من

إفرازات الجسد ما هو معد للإفراز بالبول والعرق .

فالدم مزيج من مواد مفيـدة للجسم ، ومواد تضر إذا لم تفرز ، وإذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضا كان شرب الدم أشد ضرراً .

وإذا بقى الدم فى الحيوان قبل أكله أحدث تفاعلات فى أنسجة الحيوان مثل العضلات ، ويصبح أكلها غير صالح للإنسان.

والميتة بالشيخوخة ضررها كضرر الميتة بالمرض ، لأن الشيخوخة معناها إنحلال أحد الأنسجة وذلك مقدمة لإنحلال آخر حتى تنحل جميعها .

ويصبح الأكل فى هذه الحالة أكلا لأنسجة مريضة متحللة .

ولحم الخنزير كثيراً مايصاب بطفيليات ، وينقل من الأمراض التى ثبتت أخيراً مثل التينيا والبلانتيديوم كما أنه الحيوان الوحيد الذى يصاب بالتركينا وهو نوع خطر من الديدان ، لأنه إذا أصيب به الإنسان يحدث تسمماً عمومياً وإسهالا مثل الـكولرا ، وقد يؤدى إلى الوفاة .

ولحم الخنزير المصاب بهذا المرض لا يمكن تطهيره فى سهولة ، وعملية السلق البسطية أو الشى لا تـكفى .

ويجب إغلاء اللحوم مدة لا تقل عن نصف ساعة على الأقل لتطهيرها وإذا كانت الإصابة شديدة كانت اللحوم غير صالحة للتغذية حتى بعد تطهيرها لأن الحيوان يكون فى حالة تسمم عام .

* * *

الخمر :

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الـكريم :

يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما (الآية ٢١٩) من البقرة .

هذه الآية تقرر حقيقة ثابتة هي أن الخمر والميسر فيهما منافع عرضية ، كما أن فيهما إثماً كبيراً وأن هذا الإثم أكبر مما يتراءى فيهما من منافع : فشارب الخمر يستفيد بقدر يسير وينتشي فإذا زاد على ذلك أحدث ضرراً وأحدث إصابة بخمول بمختلف الأمراض ، إذ تسبب الخمر لممارسها الإدمان عليها ويتعدى ضررها ذلك إلى الأضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الهضمي والعصبي والدموي ، وفي تجارتها منافع مادية ، ولكن هذه المنافع لا تعتبر شيئاً بجانب الأضرار الجسيمة التي يحدثها ترويجها بين الناس .

والميسر كالخمر : فالنشوة التي يشعر بها المقامر إنما هي على حساب أعصابه والربح الذي يربحه المقامر قد يضيع في جلسة واحدة أو في مرات تالية ، بل قد يصيبه إدمانه بالإفلاس ، والفوائد المادية التي قد يربحها أصحاب دور القمار لا تساوي شيئاً بجوار الأضرار الجسيمة التي تنجم عن نشر هذه الجريمة بين الناس .

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

« ويسألونك عن المحيض : قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » (الآية ٢٢٢) من البقرة

الحيض أحد المواد السامة التي إذا بقيت بالجسم ضرت .

ولقد ثبت أن الحيض أذى أي ضرر على المرأة والرجل على حد سواء ، والضرر معنوي ومادي : فالمرأة في حالة الحيض تتفتح أوعيتها الدموية في الرحم، فتصبح مهيأة لقبول العدوى ، كما أن الرجل يتعرض للالتهاب من دم الحيض الذي هو خليط من خلايا بطانة الرحم والدم وإفرازات الغدد وبه كثير من الجراثيم، وإنتقال

جزء من دم الحيض إلى القناة البولية فى الذكر يحدث فيهما إلتهاباً ينتقل إلى البروستاتا والمثانة والحالبين وإلى حوض الكلى والكلى نفسها .

أما الضرر المعنوى فهو التقزز من الحالة التى عليها جهاز المرأة وفى هذه الفترة تكون المرأة غير مهيأة جنسياً .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » (الآية ٢٢٨سورة البقرة)

المطلقات ينتظرن ثلاثة شهور قمرية ، لأنه فى هذه المدة يكون الجنين قد نما والتصق غشاؤه بالغشاء الداخلى للرحم كله ، ولا يوجد فراغ عند ذلك لنزول الدم وإذا نزل الدم بعد ذلك يكون يسيراً .

أعنى أنه يجوز أن ينزل دم الحيض فى ثلاثة الشهور الأولى قبل إلتصاق غشاء الجنين بغشاء الرحم .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم .

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » (٣٣ من البقرة)

قوله تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن) خبر معناه الأمر .

الوالدة مكلفة بإرضاع ولدها ليس للواجب الأدبى والإنسانى فحسب ، بل لأن الرضاعة تعود بالنفع لها ولمولودها .

الإرضاع من ثدى الأم يعد من الضروريات اللازمة لانكماش الرحم فى فترة النفاس حتى يعود إلى حجمه الطبيعى قبل الحمل .

والأنقباضات الرحمية التى تحدث نتيجة للرضاعة توقف أى ميل للنزف فى الجيوب الوريدية التى تفتح بإنفصال المشيمة والأغشية الجنينية المختلفة .

والرضاعة تسبب إنقطاع الحيض عند المرضعة ، وهذا يساعد إراحة الأعضاء التناسلية ومنع إحتقان الرحم وسهولة إنكماشه .

ولقد وجد أن ثلاثة أرباع الإصابات بتضخم الرحم ترجع إلى إهمال الوالدات إرضاع أولادهن .

أما الفطام الطبي فهو تدريجى ، ويجوز أن يفطم الصغير لأقل من عامين من ولادته إذا كانت صحته تعاونه على ذلك ، أما إذا كانت صحته لا تساعده ولا يستسيغ الطعام الخارجى ، وتحصل له مضاعفات كإسهال أو قىء أو ضعف عام فعند ذلك يستمر فى إرضاعه حولين كاملين ، وحكمه هذه المدة أن الطفل بعدها يمكن أن يستغنى استغناء كاملا عن لبن الأم ، ويصبح من القوة بحيث يتحمل أى مضاعفات

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا »
(الآية ٢٣٤ — البقرة)

قرر القرآن أن تطهر الزوجة المطلقة من ذوات الحيض بثلاثة قروء ، وها تنص الآية على جعل مدة عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا وقد يكون حكم هذا الفارق ما كشفه العلم بشأن المتوفى عنها زوجها ؛ من أن الدورة الطمثية للحيض عند السيدة إنما هى مدة ٢٨ يوماً ، فإذا فرض أن الرجل قد قاربها قبل ميعاد الحيض مباشرة وحملت ، واستمر الحمل ثلاثة شهور يكون الجنين قد تكون فيها ، وبذلك تصبح مدة الأنتظار أربعة شهور قمرية ، وما زاد عن الشهور الأربعة يكون للاستيشاق فى وجود الحمل من عدم الحمل .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا : بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)
(سورة الأعراف — الآية ١٧٢)

تنص هذه الآية على أن الله أخذ ذرية بنى آدم من ظهورهم ، وقد أثبت علم الأجنه أن الخصية تتكون من جزء أسفل الكليتين فى الظهر ، وتبقى فيه تحت الكليتين حتى الأشهر الأخيرة من حياة الجنين فى بطن أمه ، ثم تتخذ طريقها إلى أسفل حتى تصل إلى الصفن فى مركزها الطبيعى عند الولادة ، وقد يتأخر الإنحدار أحياناً ، ويولد الشخص وخصيتاه فى البطن ، ويسمى هذا (الأخصية غير النازلة .)

وكذلك المبيض فى أنثى الجنين ، فإنه يكون فى الظهر تحت الكلية تماما ثم ينزل فى مكانه بجوار الرحم .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

«وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى »

معناه أن الله سبحانه وتعالى يخاطب ذرية بنى آدم وقت خلقهم وهم فى عالم الذر ويعلمون خالقهم وهو يشهدهم على أنفسهم .

هذا الذر هو الذى تعهده الإله بقوانينه ، وجعل هذه الخلية تنمو وتنمو من نطفة إلى إنسان كامل . . هذه النطفة وهذه الخلية إنما هى صورة مصغرة له فى كل شىء ، وتمثل كل صفاته وكل مايرثه تماما .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج)

(سورة الحج آية ٥)

خلق الله آدم من تراب بقوله : كن فيكون ، أما باقى الخليقة فتتكون فى الجنين الذى يتكون من تلقيح مادة الذكر لبويضة الأنثى ، وهو ما يسمى نطفة ثم يصير شكله مستطيلا مثل العلقة تماما ، ويستمر كذلك فى الأسابيع الأولى ، ولا يمكن رؤيته إلا بأدق أنواع الميكروسكوبات التى لم تظهر فى عالم الوجود إلا بعد الف سنة من نزول القرآن الكريم ، مما يدل على إعجازه وسبق العلم الحديث ، وتثبت هذه العلقة فى جدار الرحم ، وتنمو حتى تصير على شكل قطعة اللحم الممضوغة وحولها الأغشية الثلاثة ، ويبدأ الجنين فى التكوين من خلية واحدة تنقسم ثانيا إلى نوعين من الخلايا :

١ — نوع جنينى غير مخلق وهى الخلايا غير المتميزة وهى التى لها القدرة على النمو غير المحدود والقدرة على التوالد والتكاثر حتى تتكون الطبقات الجرثومية الثلاث الظاهرة والمتوسطة والداخلة .

٢ — نوع مخلق متميز ويبدأ بتكوين الطبقات الثلاث التى تتطور نحو الشكل المعروف للانسان ، وهى تتخذ شكلا متميزاً ومتفرعاً فى الأنسجة والأعضاء والوظائف ، وإذا بقيت الخلايا الجنينية غير المتميزة كامنة يمكن أن تتوالد وتظهر تحت تأثير عوامل مختلفة كشكل سرطانى يلتهم أى عضو سليم يتطور الجنين فى نموه ، وفى أى طور من هذه الأطوار تحدث عوامل بالنسبة للرحم وبالنسبة

لجسم المرأة يتسبب عنها إجهاضها ، فإذا استقر الجنين فى الرحم بتثبته فى جداره مدة عشر أشهر قمرية تهيأ الجسم كله والرحم لنزوله إلى عالم الحياة بقدرة الخالق الجبار وبعوامل هى معجزات يحاول العلم الحديث أن يثبت جانبا منها .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم » .

ينزل الطفل ليرضع من ثدى أمه فيتدرج فى الرضاعة حتى تخرج أسنانه ، ثم يتغذى غذاء طبيعيا ، وينمو حتى سن المراهقة ، ثم يبلغ منتهى النضج الجسدى والعقلى ، وفى أية سن من هذه يتوفى الإنسان على حسب مشيئة الله بأية طريقة من طرق الموت سواء أكانت طبيعية أو غير طبيعية ، وقد يعيش بعض الناس ويردون إلى أرذل العمر : أى إلى سن الهرم والشيخوخة فتتصلب شرايين مخة ، ويصير كالطفل فى عقله من بعد أن كان متزنا غاية الاتزان ، لأن مخه فقد القدرة على التفكير .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

سورة (المؤمنون) الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤)

بالرغم من أن علم الأجنة يعتبر ضمن العلوم الحديثة فإنه لم يصل إلى حقائق تكوين الجنين وتصوير أشكاله المختلفة فى مراحله المختلفة إلا بعد أن اكتشفت المجاهر والأشعة حيث عرف التشريح المقارن معرفة تامة وحيث وصل العلم إلى الحقائق التى تقررها الآية الكريمة .

خلقنا كم من عناصر التراب المختلفة ، ثم خلقنا كم بطريق التناسل من حيوان منوى داخل سائل متدفق بوساطة تلقيح الحيوان المنوى لبويضة الأنثى ، ثم تكونت علقة تنمو حتى تصير شبيهة بقطعة دم تتعلق بجدار الرحم ، ثم تنمو العلقة حتى تصير فى حجم ما يمكن مضغة .

وفى الجنين توجد الطبقة المتوسطة من طبقات الجرثومية الثلاث ، وهى تنقسم إلى خلايا . يتكون منها العظام والعضلات ، وتتصل خلايا الطبقة الصلبة العظمية وتمتد إلى أماكنها الكثيرة ، وتصبح باقى خلايا الطبقة الجرثومية عضلات تسير جنباً إلى جنب مع التغضرف .

وفى الأسبوع الثامن يظهر التكلس والتعظم للغضاريف ، وتكون العضلات قد تميزت بسرعة فى جميع أنحاء الجسم ؛ وأخذت الشكل النهائى لها .

وبعد أن يكسو اللحم العظام يكون الإنسان قد أنشىء خلقاً جديداً بظهور جميع أعضاء الجسد ، ويكون الله سبحانه وتعالى قد صوره فأحسن تصويره .

وقد اختلفت التفسيرات فى النطفة ورأيى هو ما يلى :

إن النطفة صريحة فى القرآن الكريم بأنها من منى يمنى .

قال تعالى : (ألم تك نطفة من منى يمنى) ؛ ولذلك يجب أن نعتمد اعتمادا كليا على هذه الآية فى أنها مادة الذكر (الحيوان المنوى) فى السائل المنوى ، ولا يصح مطلقا أن تحمل الآية أكثر مما جاء فى القرآن الكريم ، وإذا وجدت الآية الدقيقة المعنى والمبنى فلا داعى مطلقا لتأويلها بأى تأويل آخر .

ولا أوافق على تفسير النطفة بأنها كل شىء متحرك من مادة الذكر إلى مادة الأنثى إلى التزاوج بين الاثنتين للأسباب الآتية :

١ — الحيوان المنوى هو الذى يتحرك تلقائيا نحو بوق الرحم فى جهة المبيض ليلتقى ببويضة الأنثى .

٢ — بويضة الأنثى غير متحركة ، ولكنها تقع فى قبضة نهاية الرحم وتتحرك نحو الرحم بتقلصات القناة .

٣ — تتحرك البويضة الملقحة نتيجة التزاوج بين مادة الذكر والبويضة إلى جدار الرحم .

العلقة .

ولا أوافق أيضاً على أن العلقة تبدأ من ابتداء التلقيح : بمعنى أن الحيوان المنوى قد علق ببويضة الأنثى .

إن الحيوان المنوى لم يتعلق ببويضة الأنثى ، بل التحم بها ، ثم ابتدأت فى فى تقاسمها وتكونت خلايا الجنين .

والعلقة فى معناها اللفظى والمعنوى هى أنها معلقة .

ولذلك أرى أن العلقة هى من ابتداء تعلق خـــلايا الجنين الأولى بجدار الرحم .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

«والله خلق كل دابة من ماء » الآية ٤٥ من سورة النور «وجعلنا من الماء كل شىء حى» سورة الأنبياء (آية ٣٠) .

الماء قوام تكوين كل كائن حى فمثلا يحتوى جسم الإنسان على نحو ٧٠ ٪ من وزنه ماء أى أن الشخص الذى يزن ٧٠ كيلو جرام فى جسمه نحو ٥٠ كيلو جرام ماء .

والماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء : فبينما الإنسان يمكنه أن يعيش ٦٠ يوما بدون غذاء لا يمكنه أن يعيش بدون الماء من ٣ — ١٠ أيام على أقصى تقدير .

والماء أساس تكوين الدم والسائل الليفاوى والسائل النخاعى وإفرازات الجسم كالبول والعرق والدموع واللعاب والصفراء واللبن والمخاط والسوائل التى فى المفاصل وهو سبب رخاوة الجسم وليونته .

ولو فقد الجسم ١٠ ٪ من الماء فإن الإنسان يكون معرضا للموت والماء يذيب المواد الغذائية بعد هضمها ليمكن امتصاصها ، وهو كذلك يذيب الفضلات من عضوية ومعدنية فى البول والعرق .

وهكذا يكون الماء الجزء الأكبر الأهم من الجسم .

* * *

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة ياأيها النمل أدخلوا مسا كنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . (سورة النمل الآية ١٨)

يتضح من هذه الآية الشريفة أن النمل يعيش فى جماعات ، أى أن له مجتمعاً وأن من خصائصه اليقظة والحذر .

وقد عرف مجتمع النمل قديما خصائص كثيرة تشهد بأن له مجتمعاً منظماله نظام دقيق فى الحكم ، وأن أعضاءه على قدر كبير من الذكاء والدهاء وقوة الذاكرة ، وحب العمل والمثابرة والجهاد الذى لا يعرف الكلل ولا اليأس ، كما عرف عنه سمة الحيلة فيما يقوم به من أعمال ، وآية ذلك أن مجتمع النمل هو الوحيد بين المخلوقات الحية بعد الإنسان الذى يقوم بدفن موتاه ، ويحرص جماعاته المختلفة على الالتقاء فى صعيد واحد من حين إلى آخر ، ولهذا خصص أياماً معينة لإقامة سوق تتجمع فيه جماعاته لتبادل السلع والتعارف ، وهذه الجماعات حين تلتقى

تتجاذب أطراف الحديث باهتمام بالغ ، ويسأل بعضها بعضا أسئلة تتصل بشئونها ، ومن مظاهر مجتمعه المترابط قيامه بمشروعات جماعية مثل إقامة الطريق الطويلة فى أناة ومثابرة تثيران الدهشة ، ولا تكتفى هذه الجماعات بالعمل نهاراً ، بل تواصله فى الليالى القمرية ، ولكنها تلزم مستعمراتها فى الليالى المظلمة .

ولأعضاء هذا المجتمع فى جمع المواد الغذائية وحملها وتخزينها والمحافظة عليها طرق فريدة فى نوعها ، فإذا لم تستطع النملة حمل ما جمعت فى فمها كعادتها لكبر حجمه حركته بأرجلها الخلفية ، ورفعته بذراعيها .

ومن عاداتها أنها تقضم الجذور قبل تخزينها حتى لا تعود إلى الإنبات مرة أخرى وتضع البذور الكبيرة لكى يسهل عليها إدخالها فى مستودعاتها . وإذا ابتلت بفعل المطر أخرجتها إلى الهواء والشمس لتجف .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« أتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم »
(سورة الشعراء آية ١٦٥)

إن إتيان الذكور معناه اللواط ، واللواط أصلا جريمة فسق بشعة تتقزز منها الأسماع ؛ وتنفر منها الطباع ؛ وتنزل بالآدمية إلى الحضيض ، وتؤدى لو شاعت إلى تعطيل سنة الزواج : وهى سنة طبيعية يتوقف عليها التناسل والتكاثر وعمارة الأرض .

وينتقل باللواط ما ينتقل بالزنى من الأمراض كالزهرى والسيلان والقرحة ؛ وأمراض الجلد كالجرب . ويصبح الشرج فاقداً للسيطرة على عملية التبرز .

وتنتقل الميكروبات من الشرج إلى عضو الجانى ، ويحدث فيه التهاب فى مجرى

البول ، وقد يصبح المجنى عليه متخنثا إذا لزمته هذه العادة من صغره ، وقد يظهر العكس أ كثر رجوله ليغطى النقص الموجود عنده .

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت » (سورة الأحزاب الآية ١٩)

تشير الآية الكريمة إلى حقيقة علمية لم يكن سببها معلوماً عند نزول القرآن وهى دوران مقلة العين عند اقتراب الموت وعند الخوف ، ومن أسباب ذلك أن شدة الخوف تذهب الوعى ، فيعطل الإدراك ، فتعمل المراكز العصبية اللاواعية فى منطقة مهاد المخ فيصير الخائف فى حالة شبيهة بحالة الذى يغشى عليه من الموت إذ تدور مقلته وتتسع حدقته وتثبت على اتساعها حتى يموت .

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم :

« تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب .

(آل عمران — الآية ٢٧)

* * *

إن الحى يأكل أشياء ميتة لا حياة فيها مثل البقول واللحوم وتحول بقدرة الله إلى عناصر من نوع الموجود فى جسم الإنسان بحيث ينمو جسمه وينمو الكائن الحى .

إما إخراج الميت من الحى فهو الإفرازات المختلفة من الجسد مثل مثل البول واللبن والعرق

وكما يحدث أيضاً من أن النبات وهو كائن حى يتكون من عناصر المادة التى فى باطن الأرض وهى ميتة ويصبح حياً .

* * *

قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً مترا كبا » (سورة الأنعام — الآية ٩٩)

توضح هذه الآية الكريمة ما أثبته علم وظائف الأعضاء فى النبات من أنه عندما ينزل الماء من السماء ينبت البذور فتخرج أجنة النبات من دور الركود إلى دور النشاط وتبدأ فى وظائفها الحيوية ٠ وينمو النبات يتخصص أجزاء منه هى الأوراق فى إنتاج المادة الخضراء أى الخيضور (الكلورفيل) وهى المادة اللازمة لتكوين المادة الغذائية فى داخل النبات من عناصر التربة ٠ ومن عناصر الهواء ٠ ثم تنتقل هذه المواد الغذائية على هيئة عصارة داخل عروق النبات فتتكون البذور والثمار.

* * *

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز:

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» .

(الآية ٢٥ سورة الحديد)

* * *

الحديد أحد سبعة عناصر عرفها القدماء : وهى الذهب والفضة والزئبق والنحاس والرصاص والحديد والقصدير ، وهو أكثر الفلزات انتشاراً فى الطبيعة، فيوجد أساساً فى الحالة المركبة على هيئة أكاسيد وكبريتيد وكربونات وسيليكات، وتوجد كذلك مقادير صغيرة من الحديد الخالص فى الشهب والنيازك .

وقد أشارت الآية إلى أن الحديد ذو بأس شديد ومنافع للناس ، وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد وسبائكه المتنوعة بخواص متعددة ومتفاوتة الدرجات فى مقاومة الحرارة والشد والصدى والبلى وفى المرونة وتقبل المغناطيسية وغيرها ،

ولذلك كان أنسب الفلزات لصناعة أسلحة الحرب وأدواتها وأساساً لجميع الصناعات الثقيلة والخفيفة ودعامة للحضارات .

وللحديد منافع جمة للكائنات الحية ، إذ تدخل مركبات الحديد في عملية تكوين الكلوروفيل ، وهو المادة الأساسية في عمليات التمثيل الضوئي التي ينشأ عنها تنفس النبات وتكوين البروتوبلازم الحي ، وهي الطريقة التي يدخل الحديد بها جسم الإنسان والحيوان .

ويدخل الحديد في تركيب بروتينات النواة (المادة الكروماتينية) في الخلية الحية ، كما أنه يوجد في سوائل الجسم مع غيره من العناصر وهي إحدى مكونات الهيموجلوبين .

ويقوم بدور هام في عملية الأحتراق الداخلي للأنسجة والتمثيل الحيوي بها ، والحديد يوجد كذلك في الكبد والطحال والكلى والعضل والنخاع الأحمر ، ويحتاج الجسم إلى كمية مناسبة من الحديد يجب أن نزود بها من مصادره المختلفة ، فإذا نقصت تعرض الإنسان لعدة أمراض أهمها فقر الدم .

الفصل الثانى

الأحاديث النبوية المتعلقة بالطب

لقد قرأت كتاب الطب فى صحيح البخارى وكتاب الطب النبوى للذهبى وغيرهما من الكتب ولم أنقل منها غير بعض الأحاديث التى تهتم بالطب الوقائى .

وكان رسول الله يقول : أنتم أعلم بأمور دنياكم حين أمر رسول الله يوماً بألا يلقح النخيل تلقيحاً صناعياً مما كان له أسوأ الأثر على المحصول ، فدعاه ذلك إلى الرجوع فيما نهى عنه وقال : (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ — إن الله لم ينزل داء إلا وله دواء .

وروى عن جابر عن النبي أنه قال : (لكل داء دواء فإذا أصاب الداء الدواء برىء بأذن الله)

وهذا يدل على أن النبي يحث المسلمين على تعلم الطب ، ويشير عليهم بالاجتهاد فى إيجاد العلاج لكل دواء.

ولقد قال الشافعى :

لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب ، وكان يتلهف على ماضيع المسلمون من الطب ويقول : ضيعوا ثلث العلم ، ووكلوه إلى اليهود والنصارى !

٢ — من كثر همه سقم بدنه :

وهى إشارة إلى علاقة النفس بالبدن ، ولقد أثبت الطب الحديث أن كثرة الهموم تمرض النفس ، ومرض النفس يمرض البدن .

وجاء أيضاً :

٣ — المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، والعادة طبع ثان .

والحقيقة أن المعدة هى السبب فى كثير من الأمراض المعوية وأمراض الكبد وفقر الدم وأمراض القلب ، والجسم وحدة متكاملة إذا مرض عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

والحميه أى التقليل فى الأكل تريح المعدة ومن ثم تريح الجسد مما يلم به من أمراض .

والعادة طبع ثان :

لأن العادة هى تكرار العمل ، فإذا كان حسناً إزداد صفاء ، وإن كان سيئاً إزداد سوءاً ، ويصبح الجسد متعوداً عليها . ولا يمكنه التخلى عنها إلا بصعوبة كشارب الخمر أو شارب الحشيش والأفيون ، فإنه يحتاج إلى مـــدة طويلة للاقلاع عنها .

٤ — ولقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استعمال السواك ، لأنه يطيب الفم ، ويشد اللثة ، ويذهب البلغم ، ويفتح المعدة .

٥ — جاء فى الحديث كما رواه ابن ماجة :

سيد إدامكم الملح .

لقد أثبت الطب الحديث ضرورة الملح للجسد :

٦ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب . (من كتاب الطب النبوى لابن عثمان الذهبى)

٧ — حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن النسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : إنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (إن كان فى شيء من أدويتكم أو يكون فى شيء من أدويتكم خير ففى شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة تيار توافق الداء وما أحب أن أ كتوى) .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكلم أهل زمانه فى الطب بما يعملونه .

الإعجاز العلمى فى الحديث الشريف

جاء فى الحديث الشريف .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا مر بالنطفة أثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلودها وعظامها .

سبق هذا الحديث ما جاء فى أحدث كتب علم الأجنة والحمل والولادة ، إذ جاء فى كتاب : إيدن وهولاند

صفحة ٩٢ :

فى الأثنين والأربعين يوماً الأولى لايمكن تمييز الجنين ، وفى حوالى نهاية الشهر التالى تظهر معالم الجنين التى تميزه من البويضة .

وجاء فى صفحة ٦٣ مايلى بالتحديد أيضاً :

بعد الأسبوع السادس تكون معالم الجنين قد تكونت (وفى الشهر التالى يكون الجنين ٣ سم)

وهذا هو المقصود بتصوير النطفة على شكل إنسان .

وجاء فى كتاب لبسلى برنيارد ارى عن الإنسان ما يلى :

فى الأسبوع السادس يكون قد ظهر مايلى :

١ — أعضاء الحواس .

٢— تلتئم ألياف حلقات العضلات فى استمرار حتى تتكون تجمعاتها فى الأطراف والصدر وحول العين ، وهذا هو المقصود بتكوين اللحم .

٣ — تظهر ألوان الشبكة ، وتنفصل العدسة، ويظهر الجسم الزجاجى والمشيمة . أى الطبقة الوعائية الثانية للعين ، وهذا هو المقصود بتكوين البصر .

٤ — تشكيل الأذن الخارجة والداخلة وتعميق تجاويف الفم ، وهذا هو المقصود بسمعها .

٥— أول ظهور فى التغضرف أى فى التحول إلى نسيج غضروفى وهو الذى ينمو إلى عظام ، وهذا هو المقصود بعظامها .

وبذلك يكون النبى الكريم قد سبق فى أحاديثه أحدث أبحاث فى علم الأجنة مما يدل على أنه لا ينطق على الهوى .

* **

حديث عن الطاعون

إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه .. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .. (عن سعد سأل أسامة بن زيد ماذا اسمعت من رسول الله عن الطاعون أجاب بما سلف .

هذا الحديث يطابق الحجر الصحى الحديث :

وهو أنه يمنع قدوم أى شخص من أرض بها وباء لأنه يكون بمثابة نقل عدوى من دولة إلى دولة وإصابة الخالية بها .

ويمنع القانون الدولى الآن إنتقال مريض من أرض بها وباء إلى دولة خالية عنه ٠
وجاء فى الموطأ عن عبد الرحمن بن عوف قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(إذا نزل الوباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)

الباب الثـانى :

الفصل الثالث

أطباء عصر النبوة

لم يختلف الطب فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام عما قبله ، وكان العلاج واحدا ، وكان أشهر طبيب قبل الإسلام هو الحارث بن كلدة الذى تعلم الطب فى مدرسة جند يسابور الطبية ، وعاصر الإسلام وعالج المسلمين الأوائل ، وحدث أن مرض أحد الصحابة فأشار النبي عليه الصلاة والسلام وبأحضار الحارث بن كلدة لمعالجته .

وظهر فى ذلك العصر النضر بن الحارث ابن كلدة وابن أبى رمثة التميمى ، ولقد نقلت حياة الحارث بن كلدة كمثل .

الحارث بن كلدة :

سأل معاوية الحارث ابن كلدة الثقفى،فقال له: ما الطب ياحارث ؟ فقال:الأزم يعنى الجوع) ويقال فى كتاب الصحاح الأزم يعنى المسك يقال : أزم الرجل عن الشيء أى أمسك عنه .

وفى الحدث أن عمر رضى الله عنه سأل الحارث ابن كلدة ما الدواء ؟ فقال : الأزم يعنى الحميه .

ويروى عن سعد ابن أبى وقاص رضى اللهعنه أنه مرض بمكة مرضا ، فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أدعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطبب

فلما عاده الحارث نظر إليه وقال : ليس عليه بأس اتخذوا له قرينة بشيء من تمر عجوة وحلبة بطبخان فتحساها فبرأ .

ولقد وفد الحارث على كسرى أنوشروان ، وأذن له بالدخول ، فلماوقف بين يديه منتصبا قال له من أنت ؟ قال : أنا الحارث بن كلدة ؛ قال : وماصناعتك ؟ قال : الطب ؛ قال أعربى أنت ؟ قال : نعم من صميمها وبحبوحة دارها . قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها ؟ قال أيها المدعى :

إذا كانت هذه صفاتها كانت أحوج إلى من يصلح جهلها . ويقيم عوجها . ويسوس أبدأنها . ويعدل أمشاجها ؛ فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه . ويميز موضع دائه ويحترز عن الأدواء كلها بحسن سياسته لنفسه .

قال كسرى : فكيف تعرف ماتورده عليها . لوعرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل قال : (الطفل يناغى فيداوى. والحيه ترق فتحادى . ثم قال : أيها الملك . العقل من قسمة الله تعالى . قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم . فكل من قسمته أصاب . وخص بها قوم وزاد : منهم مثر ومعدم وجاهل وعالم وعاجز وحازم . وذلك تدبير العزيز العليم .

وتكلم كسرى معه كلاماً طويلا حتى استوى كسرى جالساوجرى ماء رياضة الحلم فى وجهه لما سمع من محكم كلامه وأمره بالجلوس وقال له :

كيف بصرك بالطب قال : ناهيك .

قال . فما أصل الطب ؟ قال : الأزم .

قال فما الأزم ؟ قال : ضبط الشفتين والرفق باليدين .

قال : أصبت .

وقال فما الداء الدوى ؟ قال إدخال الطعام على الطعام هو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى جوف البرية .

قال أصبت

وقال : فما الحمرة التى تصطلم منها الأدواء ؟ قال : هى التخمة : إن بقيت فى الجوف قتلت ، وإن تحللت أسقمت .

قال : صدقت .

وقال : فما تقول فى الحجامة ؟ قال : فى نقصان الهلال فى يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة والعروق ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك .

قال: فما تقول فى دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شبعان ولا تغش أهلك سكران ولا تقم بالليل عريانا ، ولا تقعد على الطعام غضبان . وارفق بنفسك يكن أرضى لبالك . وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك .

قال : فما تقول فى الدواء ؟ قال : ما لزمتك الصحة فاجتنبه . فإن هاج داء فى جسمه بما يردعه قبل استحكامه ، فإن البدن بمنزلة الأرض فإن أصلحتها عمرت وإن تركتها خربت .

قال: فما تقول فى الشراب ؟ قال: أطيبه أهنؤه وأرفهه أمرؤه . وأعزبه أشهده لا تشربه جرفا فيورعك صداعا .

وسأله أسئلة كثيرة منها :

قال : فما تقول فى شرب الماء ؟ قال : هو حياة البـــدن وبه دواء ينفع منه ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر . أفضله أمرؤه وأرقة أصفاه .. إلخ .

قال : فما هذا النور فى العينين ؟

مركب من ثلاثة أشياء . فالبياض شحم . والسواد ماء . والناظر ريح .

* (١٦١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى حبيبة تلخيص الدكتور نزار رضا)

فقال : فعلى كم جيل طبع هذا البدن ؟ قال : على أربع طبائع : المرة السوداء وهى باردة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة ، والدم وهو حار رطب ، والبلغم وهو بارد رطب .

واستمر حتى قال له كسرى : لله درك من أعرابى لقد أعطيت علما وخصصت فطنة وفهماً وأحسن صلته . وأمر بتدوين ما نطق به .

النضر بن الحارس بن وكلده الثقفى

هو ابن خالة النبى عليه الصلاة والسلام ، وكان النضر قد جاب البلاد كأبيه . وعاشر الأحبار والكهنة . وحصل من العلوم القديمة . واطلع على علوم الفلسفة والحكمة . وتعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب وغيره .

وكان النضر يؤازر أبا سفيان لعداوة النبى ، وكان يؤذى النبى كثيرا بلسانه وكان مع قريش فى موقعة بدر . ولذلك أمر على بن أبى طالب بضرب عنقه فى وادى الصفراء فقالت قتيلة أخته ترثيه .

يارا كبا إن الأثيـل منظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
بلـغ به ميتـا فإن تحية ... ما إن تزال بها الركائب تخفق
مـنى إليه وعبرة مسفوحة ... جادت بساحتها وأخرى تخنق
فليسمعن النضر إن ناديته ... إن كان يسمع ميت أو ينطق
ظلت سيوف بـنى أبيه تنوشه ... لله أرحـام هناك تمزق
أمحمد ولأنت نسل نجيبه ... فى قومها والفحل فحل معرق
صبرا يقاد إلى المنية متعبـا ... رسف المقيد وهو عـان موثق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من أخذت بزلة ... وبأحقهم إن كان عتقا يعتق
لو كان قابل فدية لفديته ... بأعز ما يفدى به من ينفق

وحين سمع ذلك رسول الله قال . لو سمعت ذلك قبل قتله ما قتل .

ابن أبى رمثة التميمى

كان طبيباً على عهد رسول الله مزاولا لأعمال اليد وصناعته الجراح ، وروى نعيم عن أبى عتيبه عن أبى أبحر عن زياد عن لقيط عن أبى رمثة قال : أتيت رسول الله فرأيت بين كتفيه الخاتم ، فقلت ، إنى طبيب فدعنى أعالجك . فقال ، رسول الله : أنت رفيق والطبيب الله . قال سليمان بن حسان : علم رسول الله أنه رفيق اليد . ولم يكن فائقا فى العلم . فبان ذلك من قوله : والطبيب الله .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا).
منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت .



الباب الثالث

طب العصر الأموى



الباب الثالث

الفصل الأول

الطب فى العصر الأموى

لقد تغير العرب فى عهد الأمويين ودان لهم نصف العالم فى ذلك الوقت، واتصلوا باليونان اتصالا وثيقا، ولقد جمع خالد بن يزيد بن معاوية الفلاسفة اليونانيين. وطلب منهم ترجمة الكتب الطبية اليونانية والمصرية القديمة إلى اللغة العربية، وكانت أول ترجمات فى العهد الإسلامى.

ويمكن أن تعرف الطب العربى بأنه هو ما ظهر بشعبه جزيرة العرب قبل الإسلام. أما الطب الذى ظهر فى عهد الإسلام فقد قام على مظهر من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التى قامت على أساس التسوية بين المسلمين مهما اختلفت جنسياتهم وتباينت صفاتهم ولغتهم.

والحقيقة أن الطب العربى فى فجر الإسلام وضحاه كان نتاج حضارة إسلامية لا نتاج شعب واحد بمفرده من الشعوب التى كانت تعتنق الإسلام دينا، فلقد ظهر الإسلام محررا للاذهان فى عهد ساد فيه التزمت والانقسام: انبثق الإسلام فهز العالم الموجود فى ذلك الوقت هزة عنيفه، وصهر عناصر الشعوب فى البلاد المفتوحة من فارس إلى الروم إلى مصر إلى سورية إلى المغرب إلى الأندلس فى بوتقه واحدة وصبها فى قوالب متجانسة.

ومن أهم مزاياه أنه فصل العلم عن الدين. فأعاد إليه حرية البحث العلمى والانطلاق إلى أبعد الآفاق.

وقد تمشى الطب فى ذلك العهـــد موازيا لخطوات تطور الإمبراطورية الإسلامية ، فقد كان انتصار الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ساحقا ، وفى هذه المرحلة كان أغلب الأطباء من غير العرب إلا القليل النادر .

ثم كان انتصاره دينيا فى عهد بنى العباس باعتناق الدول الإسلامية الجديدة الدين الجديد .

وفى النهاية سادت لغة العرب حتى أصبحت لغة التعامل الدولى ، وذلك بعد مقاومة عنيفة كان أشدها فى البلاد التى اختلفت عناصر لغتها عن عناصر العربية أمثال إيران .

وكان أهم سبب لهذه السيادة تركز الاتجاهات الفكرية فى بلدان ناطقة بالعربية كبغداد والبصرة والكوفة التى ورثت منزلة إسكندرية البطالمة ، ولقد كانت لغة العرب لغة العلم قبل أن تصبح لغة الشعب المسلم .

وقد قسم الدكتور محمد عبد الحليم العقبى تاريخ الطب العربى إلى مرحلتين : مرحلة الترجمة والتحصيل ، وهى التى أفرد لها ابن أبى أصيبعة باب النقلة من الأطباء ، وهذه تمتد من أول ظهور الإسلام إلى حوالى ٢٣٥ هجرية .

والأخرى مرحلة الأصالة والاستنباط .

ويرى الدكتور براون فى مؤلفه عن الطب العربى صفحة ٢٠ ما يلى :

لا يمكن دراسة تاريخ الطب العربى الآن إلا مرتبطا بالتاريخ العام للاسلام الذى بدأ يظهر كقوة سنة ٦٢٢ ميلادية : ففى تلك السنة قام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى كانت معجزته الحقيقية إلهام القبائل العربية الباسلة روح الإيمان بمثل أعلى اجتماعى ودينى عام بتوحيد هذه القبائل ، فجعل منها شعباً واحـداً ، وأرسله ليفتح نصف العالم الذى كان معروفا حينئذ ، وأقام إمبراطورية قدر لها أن تنافس إمبراطوريتى قيصر وكسرى ، وتحل محلها ، ونقل مركز نشاطه من مكة

إلى المدينة ، وتؤرخ هذه الحادثة بداية التاريخ المحمدى ، وهى المعروفة بالهجرة والتى مضى عليها الآن ١٣٣٨[١] سنة هجرية .

وقد بلغ العصر الذهبى للعلم العربى ذروته فى السنين المائة التى بين سنتى ٧٥٠، و ٨٥٠ ميلادية ، وهو القرن الذى تلا قيام الخلافة العباسية وإنشاء عاصمتها بغداد .

ويذكر اسم المنصور والمأمون بالتقدير ، فقد كانا شديدى الكلف بالعلم القديم وبخاصة علم قدماء اليونان ، وقد جما عدداً لا يحصى من المخطوطات الثمينة اليونانية وغير اليونانية عن طريق الشراء أو التبادل أو الفتح ، وضماها إلى مكتبة الخلافة التى كانت تسمى بيت الحكمة ، وبأمرهما ترجمت إلى العربية ، وقد قام بهذه الترجمة أكفأ من استطاعا استقدامهم إلى البلاط من العلماء الذين كانوا يقومون بهذه الترجمة : إما من اليونانية مباشرة ، وإما بتوسيط اللغة السريانية ، ونجد فى الفهرست للعلوم وهو كتاب ألف سنة ٩٨٧ م أى بعد قرن من العصر الذهبى مرآة لعلم ذلك الزمان ودليلا على الخسارة الفجعة .

ولا نبالغ إذا قلنا إنه لايوجد كتاب واحد من كل ألف ، فقد قام المغول بتدمير كل شىء ، وأصبحت الثقافة الإسلامية فى خبر كان

وكلمة الحضارة الإسلامية اسم من الحضارة العربية وإن كانت اللغة العربية فى ذلك الوقت لغة العلم لأن المسلمين جميعهم ساهموا فى تلك الحضارة بأوفى نصيب .

لقد كان ينظر إلى الطبيب عند بعض العرب بنظرة فيها كثير من الزراية ، وذلك كما هو فى هذه الأبيات فى وفاة (يوحنا بن ماسويه) فى عام ٨٥٧ ميلادية

إن الطبيب بطبه ودوائه   لا يستطيع دفاع أمر قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذى   قد كان يبرىء منه فيما قد مضى

---

(١) كان تأليف كتابه سنة ١٣٣٨ هـ ، ولذلك قال: مضى عليها الآن ١٣٣٨ أما الآن فهى ١٣٧٠ هجرية

مات المداوى والمداوى والذى جلب الدواء وباعه ومن اشترى

وقول شاعر آخر فى قصة عنترة :

يقول لك الطبيب دواك عندى إذا ما جس نبضك والذراعا
ولو علم الطبيب دواء داء ... يرد الموت ما قاسى النزاعا

ولقد كانت عزلة العرب النسبية فى الجاهلية لا تمكنهم من الاتصال كثيرا بالأمم ذات الحضارات القديمة مثل فارس واليونان والرومان ومصر .

فلما أتى الإسلام قضى المسلمون على هذه العزلة قضاء مبرما ، وأزمع هؤلاء المؤمنون نحو جميع الأمم المعروفة فى ذلك الوقت بغزوهم فى عقر دارهم ، واتصالهم اتصالا وثيقا .

لقد تغير العرب فى عهد الأمويين وأصبح لهم سلطان على نصف العالم المعروف فى ذلك الوقت .

وفى عهدهم بلغت الإمبراطورية العربية الإسلامية أقصى ما وصلت إليه فى الاتساع ، واتصلت بحكم اليونان اتصالا وثيقا ، ولقد ثارت الرغبة فى الأمير الأموى خالد بن يزيد بن معاوية لمعرفة حكم اليونان ومعرفة الكيمياء ، وطبقا لما جاء فى الفهرست (المجلد الثانى صفحة ٤٠١ من كتاب فون كرامر) .

جمع خالد الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا بمصر ، وأمرهم أن ينقلوا الكتب اليونانية والمصرية الخاصة بهذا الموضوع إلى اللغة العربية . ويقول فون كرامر فى الفهرست : أن هذه الترجمات (كانت أول مانقل فى الإسلام) من لغة إلى أخرى .

ويقترن بذكر هذا الأمير ذكر الكيماوى العربى جابر بن حيان ، وكثير من الكتب التى نسبت إليه فى العصور الوسطى إن لم يكن معظمها — ليس من تأليفه بل وضعها فى الأصل باحثون أوربيون أرادوا استغلال ما لاسمه من قيمة لكى يجعلوا لمؤلفاتهم وزنا ، ويضمنوا لها الذيوع والانتشار .

هذا يدل على مدى الثقة بكمياء جابر بن حيان .

لقد قرأت كثيراً عن العلوم عند العرب ورأى الأستاذ الكبير (الدكتور محمد كامل حسين) أن يقسم دور اليونان بالعهد الكلاسيكى أى عهد التنظيم الفكرى وهو فى نظره العهد الذى يتبين فيه العقل طريقه إلى التفكير المستقيم . وأنه يتلو هذا العهد عهد سكون يحسبه الناس خمولا أو انحطاطا وهو ليس كذلك بأية حال .

إنما هو عصر الإيمان بالعلم الكلاسيكى، إذ لا بد أن يتصل الناس بهذا النوع من التفكير الى أقصى غاية منه قبل أن يتبين لهم حدوده أو خطؤه .

ولا يمكن أن ينتقل العلم طفرة من الدور الكلاسيكى الى العلم الموضوعى التحليلى الحديث . بل لابد من استيعاب الفكر للعقلية الأولى حتى يصل الناس منها الى أقصى ما يمكن أن يبلغوه ، وقد حمل العرب عبء هـذا العهد الذى لابد منه لنمو الفكر البشرى وتطوره ، ومن سوء حظهم أن هـذا الدور ليس متأخراً وليس فيه من الإنتاج الإيجابى المبتكر ما يساعد على تقديره حق قدره عند العلماء المتأخرين ، ولست أوافقه على ذلك ، إذ أن العرب زادوا فعلا فى الطب وفى غيره من ألوان الفكر . ولقد تمردوا على أفكار جالينوس الذى كانوا يسمونه جالينوس الفاضل . بل لقد بين الدكتور محمد كامل حسين نفسه فى كتابه متنوعات ما امتاز به العرب عن غيرهم .

الفصل الثانى

أطباء عصر بنى أمية

خالد بن يزيد بن معاوية بن آثال — أبو الحكم — حكم الدمشقى — عيسى بن حكم الدمشقى ـ نياذوق ـ زينب طبيبة بنى أود وغيرهم .

ابن آثال

كان طبيباً متقدما من الأطباء المتميزين فى دمشق ، نصرانى المذهب ، ولما ملك معاوية بن أبى سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه ، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه ، والمحادثة معه ليلا ونهاراً ، وكان ابن آثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها ، وما منها سموم قواتل. وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً . ومات فى أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم . ومن ذلك : حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادى بن الكريم قال : حدثنا أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون عن أبى الحسن على بن أحمد بن الحسين بن عنويه الشافعى اليزدى عن أبى سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن أبى القاسم الصيرفى البغدادى عن أبى غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران النحوى الواسطى ، عن أبى الحسين على بن محمدين بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، عن أبى الفرج على بن الحسين الإصبهانى الكاتب فقال فى كتابه المعروف بالأغانى الكبير : أخبرنى عمى قال ، حدثنا أحمد بن الحرث الخزاز قال : حدثنا المدائنى عن شيخ من أهل الحجاز عن زيد بن رافع مولى المهاجرين بن خالد بن الوليد عن أبى ذئب عن أبى سهيل :

أن معاوية لما أراد أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه ورق جلده ، ودق عظمه ، وقد اقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .

فسكت وأضمرها ودس ابن آثال النصرانى الطبيب إليه ، فسقاه سما فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر الذى كان مع على رضى الله عنه بصفين ، وكان عبد الرحمن بن خالد مع معاوية . وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه هاشمى المذهب ، فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به عروة بن الزبير ، فقال له : ياخالد ، أتدع لابن آثال أوصال عمك بالشام ، وأنت بمكة مسبل إزارك تجره وتخطر فيه متخايلا ؟ فحمى خالد ودعا مولى له يقال له نافع فأعلمه الخبر ، وقال له : لابد من قتل ابن آثال . وكان نافع جلدا شهما فخرجا حتى قدما دمشق ، وكان ابن آثال يتعشى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطوانة ، وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج .

فقال خالد لنافع إياك أن تعرض له أنت ، فإنى أضربه ، ولكن احفظ ظهرى ، واكفنى من ورائى . فإن رابك شىء يريدنى من ورائى فشأنك . فلما حاذاه وثب إليه فقتله ، وثار إليه من كان معه ، فصاح بهم نافع فانفرجوا . ومضى خالد ونافع وتبعهما من كان معه ، فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا ، حتى دخل خالد ونافع زقاقا ففاتا الناس . وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر ، أنظروا الزقاق الذى دخل فيه ففتش عليه وأتى به فقال له : لا جزاك الله من زائر خيرا ، قتلت طبيبى ؟ فقال قتلت المأمور وبقى الآمر !

فقال له : عليك لعنة الله ، أما والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به . أمعك نافع ؟ قال لا . قال : بلى والله . وما اجترأت إلا به . ثم أمر بطلبه فوجد ،

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء .
تأليف : ابن أبى أصبعة — الجزء الثانى صفحة ٢٤٠

فأتى به فضرب مائة سوط ولم ينل خالداً بشيء أكثر من أن حبسه ، وألزم بنى مخزوم دية ابن آثال اثنى عشر ألف درهم . أدخل بيت المال منها ستة آلاف وأخذ ستة آلاف ، فلم يزل ذلك يجرى فى دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذى يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذى يدخل بيت المال . قال ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال فى السجن (الكامل) .

أما خطاى تقاربت | مشى المقيد فى الحصار
فيما أمشى فى الأباطح | يقتفى أثرى إزارى
دع ذا ولكن هل ترى | ناراً تشب بذى مرار؟
ما إن تشب لقرة | بالمصطلين ولا قتار
ما بال ليلك ليس ينـ | ـقص طوله طول النهار
أتقاصر الأزمان أم | غرض الأسير من الإسار

قال : فبلغت أبياته معاوية فأطلقه ، فرجع إلى مكة ، فلما قدمها اتى عروة بن الزبير فقال له : أما ابن آثال فقد قتله . وهذاك ابن جرموز نقى أوصال الزبير ؟ بالبصرة فاقتله إن كنت ثائرا ، فشكاه عروة إلى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارس بن هشام ، فأقسم عليه أن يمسك عنه ففعل .

(أقول) : كان ابن العوام مع عائشة يوم الجمل ، فقتله ابن جرموز ، ولذلك قال خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لأبيه يعيره بذلك ومما يحقق هذا أن عاتكة بنت زيد بن عمرو نفيل زوجة الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتله ابن جرموز :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة | يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته | لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
الله ربك إن قتلت لمسلما | وجبت عليك عقوبة المتعمد
إن الزبير لذو بلاء صادق | سمح سجيته كريم المشهد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه　　عنها طرادك يابن فقع القردد
فأذهب فما ظفرت يداك بمثله　　فيما مضى مما يروح ويغتدى

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى فى كتاب الأمثال : إن معاوية بن أبى سفيان كان خاف أن يميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاشتكى عبد الرحمن ، فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأحرقته . فعند ذلك قال معاوية: لا أجد إلا ما أقص عنك من تكره . قال : وقال معاوية أيضاً حين بلغه أن الأشتر سقى شربة عسل فيها سم فمات : إن لله جنوداً منها العسل . ونقلت من تاريخ أبى عبد الله محمد بن عمر الواقدى قال :

لما كان فى سنة ثمان وثلاثين بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الأشتر واليا على مصر بعد قتل محمد بن أبى بكر ، وبلغ معاوية مسيره فدس إلى دهقان بالعريش فقال : إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة ، فلاطف له الدهقان فسأل : أى الشراب أحب إليه ؟ فقيل العسل فقال : عندى عسل من عسل برقة ، وأتاه به فشربه فمات ، فبلغ ذلك معاوية فقال : لليدين والفم .

وفى تاريخ الطبرى أن الحسن بن على رضى الله عنهما مات مسموما فى أيام معاوية ، وكان عند معاوية كما قيل دهاء ، فدس إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، وكانت زوجة الحسن رضى الله عنه شربة وقال لها : إن قتلت الحسن زوجتك يزيد . فلما توفى الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله ، فقال لها فى الجواب : أنا أضن بيزيد ! وقال كثير يرثى الحسن رضى الله عنه (السريع) :

يا جعد أبكيه ولا تسأمى　　بكاء حق ليس بالباطل
إن تسترى الميت على مثله　　فى الناس من حاف ومن ناعل

وقال عوانة بن الحكم : لما كان قبل موت الحسن بن على عليهما السلام — كتب معاوية إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة أن أقبل المطى فيما بينى

وبينك بخبر الحسين بن على قال : فلم يلبث إلا يسيراً حتى كتب مروان بموته . وكان ابن عباس إذا دخل على معاوية أجلسه معه على سريره ، فأذن معاوية للناس ، فأخذوا مجالسهم ، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية أن يسلم حتى قال : يا بن عباس ، هل أتاك موت الحسن بن على ؟ قال : لا . قال معاوية : فإنه قد أتانا موته ! فاسترجع ابن عباس وقال : إن موته يامعاوية لا يزيد فى عمرك ، ولا يدخل معك فى قبرك ، وقد بلينا بأعظم ، فقدنا منه جده محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصابنا ولم يهلكنا بعده ؟ فقال له معاوية : أقعد يا بن عباس ، فقال : ما هذا بيوم قعود ، وأظهر معاوية الشماتة بموت الحسن رضى الله عنه فقال : ابن عباس فى ذلك (الرمل) :

أصبح اليوم ابن هند شامتا	ظاهر النخوة إن مات الحسن
رحمة الله عليه إنه	طال ما أسجى ابن هند وأذن
ولقد كان عليه عمره	عدل رضوى وثبير وحضن
وإذا أقبل حيا رافعا	صوته والصوب يعلى بالإحن
فارتع اليوم ابن هند آمنا	إنما يقمص بالعير السمن
واتق الله وأحدث توبة	إن ما كان كشىء لم يكن

تياذوق[1]

كان طبيباً فاضلا ، وله نوادر وألفاظ مستحسنة فى صناعة الطب، وعمرو كان فى أول دولة بنى أمية ومشهوراً عندهم بالطب . وصحب أيضا الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد عبد الملك بن مروان ، وخدمه بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ، ويثق به وكان له منه الجامكية الوافرة . ومن كلام تياذوق للحجاج : قال : لا تنكح إلا شابة ، ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ،

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٣٢

ولا تشرب الدواء إلا من علة ، ولا تأكل الفاكهة إلا فى أوان نضجها . وأجد مضغ الطعام ، وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام ، وإذا أكلت ليلا فلا تنم حتى تمشى ولو خمسين خطوة . فقال له بعض من حضر : إذ كان الأمر كما تقول فلم هلك بقراط ، ولم هلك جالينوس وغيرهما ، ولم يبق أحد منهم ؟ قال : يا بنى قد احتججت فاسمع : إن القوم دبروا أنفسهم بما يملكون وغلبهم مالا يملكون ، يعنى الموت ، وما يرد من خارج كالحر والبرد والوقوع والغرق والجراح والغم وما شابه ذلك . وأوصى تياذوق أيضاً الحجاج فقال : الحمام قبل أن يأخذ منك .وقال أيضاً للحجاج : أربعة تهدم العمر وربما قتلن . دخول الحمام على البطنة ، والمجاعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجاف ، وشرب الماء البارد على الريق ، ومامجامعة العجوز ببعيدة منهن . ووجد الحجاج فى رأسه صداعا فبعث إلى تياذوق وأحضره فقال : أغسل رجليك بماء حار وأدهنهما ، وخصىٌّ للحجاج قائم على رأسه فقال : والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة بالطب منك . شكى الأمير الصداع فى رأسه فتصف له دواء فى رجليه ! فقال له . أما إن علامة ماقلت فيك بينه : قال الخصى وماهى؟ قال : نزعت خصيتاك فذهب شعر لحيتك ، فضحك الحجاج ومن حضر .

وشكى الحجاج ضعفا فى معدته وقصورا فى الهضم إلى تياذوق فقال . يكون الأمير يحضر بين يديه الفستق الأحمر القشر البرانى ، ويكسره ويأكل من لبه ، فإن ذلك يقوى المعدة . فلما أمسى الحجاج بعث إلى حظاياه وقال: إن تياذوق وصف لى الفستق ، فبعثت إليه كل واحدة منهن صينية فيها قلوب فستق، فأكل من ذلك حتى امتلأ ، وأصابته بعقبة كادت تأتى على نفسه ، فشكى حاله إلى تياذوق وقال : وصفت لى شيئاً أضر بى ، وذكر له ما تناوله ، فقال له : إنما قلت لك أن تحضر عندك الفستق بقشره البرانى فتكسر الواحدة بعد الواحدة ، وتلوك قشرها البرانى وفيه العطرية والقبض ، فيكون بذلك تقوية المعدة . وأنت قدعملت غير ماقلت لك ، وداواه مما عرض له .

قيل ومن أخباره مع الحجاج أنه دخل عليه يوما ، فقال له الحجاج : أى شىء

دواء أكل الطين ؟ فقال : عزيمة مثلك أيها الأمير . فرمى الحجاج بالطين من يده ولم يمد إليه قط .

وقيل . إن بعض الملوك لما رأى نياذوق وقد شاخ وكبرت سنه ، وخشى أن يموت ولا يعتاض عنه ، لأنه كان أعلم الناس وأحذق الأمة فى وقته بالطب . فقال له : صف لى ما أعتمد عليه فأسوس به نفسى ، وأعمل به أيام حياتى ، فلست آمن أن يحدث عليك حدث الموت ، ولا أجد مثلك ؟ فقال نياذوق : أيها الملك بالخيرات أقول لك : عشرة أبواب إن عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك، وهذه عشر كلمات .

لا تأكل طعاماً وفى معدتك طعام ، ولا تأكل ماتضعف أسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ، ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين ، فإن أصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام ، وعليك دخول الحمام فى كل يومين مرة واحدة فإنه يخرج من جسدك مالا يصل إليه الدواء ، وأكثر الدم فى بدنك تحرص به نفسك ، وعليك فى كل فصل فيئة ، ولا تحبس البول وإن كنت راكبا ، وأعرض نفسك على الخلاء قبل نومك ، ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة فيكثر أو يقل ، ولا تجامع العجوز فإنه يورث الموت فجأة، فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه أن يكتب هذه الألفاظ بالذهب الأحمر ، ويضمه فى صندوق من ذهب مرصع ، وبقى ينظر إليه فى كل يوم ويعمل به ، فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذى لابد منه ولا محيص عنه .

وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب قال : قال الحجاج لابنه محمد . يابنى ، إن نياذوق الطبيب كان قد أوصانى فى تدبير الصحة بوصية كنت استعملها ، فلم أر إلا خيرا ، ولما حضرته الوفاة دخلت عليه أعوده فقال : ألزم ما كنت وصيتك به وما نسيت منها فلا تنس ، ولا تشربن دواء حتى تحتاج إليه ، ولا تأكلن طعاما وفى جوفك طعام ، وإذا اكلت فأمش أربعين خطوة ، وإذا امتلأت من الطعام

فنم على جنبك الأيسر ، ولا تأ كلن الفا كهة وهى مولية ، ولا تأ كلن من اللحم إلا فتياً ، ولا تنكحن عجوزاً ، وعليك بالسؤال ، ولا تتبعن اللحم اللحم ، فإن إدخال اللحم على اللحم يقتل الأسود فى الفلوات ، وقال أيضاً ابراهيم بن القاسم الكاتب فى كتاب أخبار الحجاج :

إن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير رحمه الله ، وكان من خيار التابعين ، وجرى بينهما كلام كثير ، وأمر به فذبح بين يديه ، وخرج منه دم كثير استكثره وهاله . فقال الحجاج لتياذوق طبيبه : ماهذا ؟ قال لاجتماع نفسه ، وأنه لم يجزع من الموت ، ولا هاب ما فعلته به . وغيره تقتله وهو مفترق النفس فيقل دمه لذلك . ومات تياذوق بعد ما أسن وكبر ؟ وكانت وفاته بواسط فى نحو سنة تسعين للهجرة . ولتياذوق من الكتب كناش كبير ألفه لابنه ، وكتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإذابتها وشىء من تفسير أسماء الأدوية .

زينب طبيبة بنى أود

كانت عارفة بالأعمال الطبية ، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات ، مشهورة بين العرب بذلك . قال أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى الكبير : أخبرنا محمد بن خلف المزربان قال : حدثنى حماد بن اسحق عن أبيه عن كناشة عن أبيه عن جده قال . أتيت امرأة من بنى أود لتكحلنى من رمد كان أصابنى فكحلتنى ثم قالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك ، فاضطجعت ، ثم تمثلت قول الشاعر (الطويل) :

أمخترى ريب المنون ولم أزر   طبيب بنى أود على النأى زينبا

فضحكت ثم قالت : أتدرى فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا ؛ قالت فى والله : قيل وأنا زينب التى عناها ، وأنا طبيبة بنى أود ، أفتدرى من الشاعر ؟ قلت : لا ، قالت : عمك أبو سماك الأسدى .

خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان
أبو هاشم القرشى الأموى[1]

كان من أعلم قريش بفنون العلم ، وله كلام فى صناعة الكيمياء والطب ، وكان نصيراً لهذين العلمين متقناً لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الكيمياء من مريانس الراهب الرومى ، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداها ما جرى له مع مريانس وصورة تعلمه منه والرموز التى أشار إليها وله فيها أشعار كثيرة ومقاطيع ، وله فى غير ذلك أشعار منها :

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
أحب بنى العوام من أجل حبها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وهى طويلة ولها قصة مشهورة مع عبد الله بن مروان ، كان له أخ يسمى عبد الله فجاءه يوما وقال : إن الوليد بن عبد الملك يعبث بى ويحتقرنى ، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده ، فقال : ياأمير المؤمنين ، ان الوليد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره ، وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » فقال خالد : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) فقال عبد الملك : أفى عبد الله يكلمنى ؟ والله لقد دخل على فما أقام لسانه لحنا ؛ فقال خالد : أفعلى الوليد يقول ؟ فقال عبد الملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان ؛ فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد ؛ فقال الوليد . اسكت ياخالد فوالله ما تعد فى العير ولا فى النفير ! فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل على الوليد وقال: ويحك ومن العير والنفير غيرى ؟ أبو سفيان صاحب العير جدى، وعتبة صاحب النفير جدى، ولكن لو قلت غُنَيمات وجُبَيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت ! قال شمس الدين بن خلكان : والعير عير قريش التى أقبل بها أبو سفيان من الشام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها

(١) معجم الأطباء (الدكتور أحمد عيسى بك ص ١٧٩)

هو والصحابة ليغنموها ، فبلغ الخبر أهل مكة فخرجوا ليدفعوا عن العير ، وكان المقوم على القوم عتبة بن ربيعة ، فلما وصلوا إلى المسلمين وكان وقعة بدر و كل واحد من أبى سفيان وعتبة جد خالد ، أما أبو سفيان فمن جهة أبيه وأما عتبة فلأن ابنته هند هى أم معاوية جد خالد . وقوله غنيات وجبيلات إشارة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبى العاص إلى الطائف وهو جد عبدالملك كان يرعى الغنم ويأوى إلى جبيلة وهى الكرمة ولم يزل ذلك حتى ولى عثمان الخلافة فرده ، و كان الحكم عمه ويقال : إن عثمان رضى الله عنه كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن له فى رده أن أفضى الأمر إليه ، وروى خالد عن أبيه وعن دحية الكلبى وروى الزهرى عنه ورجاء بن حيوة والعباس بن عبد الله بن عباس وغيرهم ، وروى له أبو داود قال شهاب الدين أبو شامة : كان يتعصب لأخوال أبيه كلب يعينهم على قيس فى حرب كانت بين قيس وغيلان وكلب وقال الزبير بن بكار فولد يزيد بن معاوية ـ معاوية وخالدا وأبا سفيان وأمهم أم هاشم بنت هاشم بن عتبة بن ربيعة يعنى أبنة خالة ابيه ، وقال عمى مصعب : زعموا أنه هو الذى وضع ذكر السفيانى وكسره وأراد أن يكون للناس فيهم مطمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم وكانت أمه تكنى به ، وقال محمد بن جرير . وكان يقال : إنه أصاب علم الكيمياء . قال الشيخ شمس الدين : وهذا لم يصح ، وداره بدمشق دار الحجارة باب الدرج شرق المسجد ، وكان أخواه معاوية وعبد الرحمن وهو من صالحى القوم ، وكان خالد يصوم الأعياد كلها والجمعة والسبت والأحد ، وكان يقال . ثلاثة أبيات من

معجم الأخبار الدكتور أحمد عيسى بك ص : ١٧٩

قريش توالت خمسة خمسة فى الشرف ، كل منهم أشرف أهل زمانه : خالد بن يزيد بن أبى سفيان بن حرب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، وعمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف ، وتوفى خالد سنة تسعين أو ما دونها ، فشهده الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وصلى عليه ، وقال ليلق بنى أمية الأردية على خالد فلن يتحسروا على مثله .

قال الزبير بن بكار : وكان خالد وأخواه عبد الله وعبد الرحمن من صالحى القوم . جاءه رجل فقال له قدقلت فيك بيتين ، قال . أنشدهما ، قال . على حكمى، قال . نعم فأنشده .

سألت الندى والجود حران أنتما فقالا بلى إنا له لعبيد
فقلت فمن مولا كما فتطاولا على وقالا خالد بن يزيد

فأعطاه مائة ألف درهم .

جرى بين خالد وبين مروان بن الحكم كلام ، فقال لمروان . أين أنت منى ؟ فقال بين رجلى أمك الرطبة ، فدخل على أمه فاختته بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فقال . هذا عملك بى والله لأقتلنك أو لأقتلن نفسى ! قال مروان . كذا قالت أما والله لا يقولها لك ثانية . فلما نام مروان ألقت على وجهه وسادة وجلست عليها حتى مات وعلم عبد الملك خبرها فهم بقتلها ، فقيل له . أما إنه شر عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة ؛ فكف عنها وحضر خالد مع مروان فأبلى بلاء حسنا حتى أنكأ فى أهل الحجاز فقال رجل منهم .

ها إن هم خالد ماهمه إن سلب الملك ... أمه

فجعل فتيان منهم يرتجزن بها فلم يخرج خالد للقتال بعد ذلك ، وكان خالد

شريف المناكح ، تزوج أم كلثوم بنت عبد الله جعفر بن أبي طالب ، وآمنة بنت سعد بن العاص ، ورملة بنت الزبير بن العوام، مات سنة ٨٥ هـ (الوافي بالوفيات للصفدي ج ٤ قسم ١ ص ٢٠٥ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٠٣) .

قال في شذرات الذهب : كانت له معرفة بالطب والكيمياء وفنون من العلم ، له رسائل حسنة أخذ الصناعة من راهب رومي ومات سنة ٨٥ هـ .

البَابُ الرابع

الطب فى العهد العباسى

الباب الرابع :

الفصل الأول

ازدهار الحضارة الإسلامية

لقد ازدهرت الحضارة الإسلامية بذهن عربى وإسلامى يتميز بالقوة والصفاء والحدة ، هذا الذهن الدائم اليقظة فى محيطه الخاص جاءت الوحدانية البسيطة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان لها فى نفسه سحر غريب رفعه من الأرض إلى السماء ، وأصبحت عبادة الله أكبر صيحة بالغة الأثر ، لا فى حياة العربى فحسب بل فى حياة الإنسانية جمعاء .

وكان القرآن هو الحافز الأكبر لرفعتهم ورفعة الإسلام .

وجاء الأمويون واتخذوا دمشق عاصمة لهم ، وكانوا حكاما قادرين متسامحين ، وضربت النقود بالعربية ، واستخدمت اللغة العربية فى أعمال الدولة شيئاً فشيئاً حتى أتت سنة ستين بعد الهجرة فأصبحت لغة عالمية .

وحين أتى القرن الثانى للهجرة ، وانتشر الإسلام فى جميع العالم المعروف فى ذلك الوقت .

وأصبح القرآن العربى القوى الأثر يتلى فى كل مسجد من الهند والصين شمالى إفريقية إلى الأندلس وإلى جنوبى أوربا .

وربطت اللغة العربية بين جميع شعوب آسيا وإفريقية وإسبانيا .

ولقد أنشأ العباسيون بغداد فى عهد المنصور ، وقد أدى انتقال العامة إلى بغداد إلى أثر بعيد المدى .

وقد وصلت الحضارة الإسلامية فى عهد هرون الرشيد إلى أوجها .

وكان المأمون حر الرأى واسع الأفق فى تفكيره . فزاد فى العمل على تنشيط العرب المشتغلين بالعلوم الدينية وغيرها .

ولم تكن دار الحكمة فى بغداد التى أقامها المأمون بمكتبتها ومرصدها الفلكى إلا واحدة من الأبنية الفخمة الكثيرة التى أقامها الخلفاء العباسيون فى عاصمة ملكهم وفى ضواحيها المترامية الأطراف ، وقد استمرت رفعة بغداد مع الأسف الشديد قرناً واحداً من الزمان أصبحت بعده فريسة للمرتزقة من جنود الأتراك ، لكن حضارتها أصبحت الباعث المحرك لجميع العالم الإسلامى .

وبرغم اجتذابها التجار من جميع البقاع فإنها أصبحت مدة طويلة من الزمان مركزاً للثقافة الإسلامية العربية ، ولم يحدث فى تاريخ المدنية حركة أكثر روعة من ذلك [1] الشغف الفجائى بالثقافة الذى حدث فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، فكان كل مسلم من الخليفة إلى الصانع كأنما قد اعتراه فجأة شوق إلى العلم ، وظمأ إلى الشعر ، وكان ذلك خير ماقدمه الإسلام فى جميع الجهات .

أما المساجد وهى التى كانت وما زال بعضها جامعات الإسلام فإنها عنيت بالطلبة الذين ملأتهم الرغبة فى العلم ، وقد جاءوا للاستماع إلى محاضرات العلماء فى علوم الدين والشريعة والفلسفة والطب والرياضة ، وقد جاء العلماء أنفسهم من جميع أرجاء العالم الذى كان يتكلم اللغة العربية ، وكانوا يلقون محاضراتهم بالطريقة التى تروقهم ، وفى الوقت الذى كان يناسبهم من غير أن تكون لهم شهادات دراسية ودون أن يتقاضوا مرتبات أو يكونوا تحت إشراف دراسى منظم ، وقد تيقن ذوو الكفاية من هؤلاء العلماء إقبال الطلاب على حلقاتهم والاعتراف بفضلهم ، كما كانوا لايتناولون غير أجر ضئيل يؤدى إليهم طواعية واختيارا ، وكان يرحب بكل طالب مهما كانت جنسيته .

---

(١) تاريخ العالم الجزء الرابع ٦٠٧ نشرة جون هامرتدن .

وكان القرآن قبل كل شيء أساس الدراسات جميعا ، فكنت تجد الدقة فى دراسة اللغة والنحو وفقه اللغة والتفسير ، وكان تنوع الأساتذة الذين جاءوا من مختلف البلاد شاحذاً للقرائح ، كما أشعلت العقول الجديدة بآرائها المبتكرة أضواء جديدة ، فكانت كالفتيل الذى يشتعل من الشرر المنبعث من الزناد .

فعالم من أقصى سمرقند أو جند يسابور يعقبه فى التعليم آخر من إشبيليه أو قرطبة ، لأنهم جميعاً كانت تجمعهم اللغة العربية ، ويجمعهم نفس الهدف ، وهو خدمة الإنسانية ، وكان المسلمون يشعرون وهم فى مسجد فاس كأنهم فى وطنهم وبين أهلهم .

ولقد قام هؤلاء العلماء الأفذاذ من أمثال ابن رشد بعرض أفكار ساطعة عن الفلسفة الإسلامية أصبحت مناراً للنهضة الأوربية ، لقد كانت اللغة العربية هى المجرى الوحيد الذى سارت فيه كل الثقافات القديمة من إفريقية وفارسية ، وكان يصب فى هذا المجرى روافد من مصادر مصرية وفارسية وهندية [١] .

وكانت اللغة العربية هى القوة الموحدة للغة واحدة وديانة واحدة ، وكان فضلها الكبير على العالم يرتكز فيما قدمته له من خدمة جليلة فى حفظ الحضارة القديمة العظيمة ونشرها فى وقت كانت أوربا تتخبط فى ظلام الجهل والأمية .

إن صحو اللغة العربية وحماسة علمائها هما اللذان مهدا الطريق لحركة إحياء العلوم .

---

(١) تاريخ العالم المجلد الرابع ٦٠٨ استانلى بول .

تسامح الاسلام والمسلمين مع أهل الذمة

لابد من وقفة هنا لنظهر مقدار تسامح الإسلام والمسلمين مع أهل الذمة من المسيحيين واليهود ، إذ سمحوا لهم بعلاجهم وعلاج أبنائهم ، بل وفتحوا المدارس الطبية فى بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة . وسمحوا لهم بالعمل فيها والوصول إلى منصب كبير الأطباء أو ساعور الأطباء كما كانوا يسمونه .

وليس أدل على ذلك من استخدام أطباء جند يسابور إلى بغداد لمعالجة الخليفة المنصور العباسى وعلى رأسهم جورجيس ابن بختشوع ، وحين أراد أن يعود إلى بلده ترك له عيسى بن صهار بخت ، ولم يقبل أن يحل محله ابنه جبرائيل قائلا : إن المدرسة الطبية فى جند يسابور لا تستغنى عنه ، وقد اشتهر فى هذه الفترة أطباء من النساطرة منهم يحي بن ماسرجويه وولداه يحيى ويوحنا ويسمى الأخير يوحنا ابن ماسويه ، ولقد قام بترجمة كتب أبقراط وجالينوس بدقة .

وظهر كذلك حنين بن إسحاق العبادى من نصارى الحيرة .

واشتهر فى ذلك الوقت من المسلمين على الطبرى وكان يهودياً وأسلم ، والكندى ، وقد أردت أن أدلل بذلك كله على أن الدولة الإسلامية فى أوجها تركت لكل ذمى أن يفعل ويدرس ويقرأ ويعالج بالطريقة التى يراها ، ولم يكن هناك حجر على أى إنسان فى دينه وفى علمه .

وأود هنا أن أقارن بين الذى كان يفعله آباؤنا الأوائل وكان يفعله الإنجليز فى جنوبى السودان : فلقد تركوا الأهالى عرايا ومن لبس منهم لباسا جلد حتى يصبح كالقرد فى الغابة حتى سلاطينهم لم يخرجوهم عن هذه القاعدة ، فلقد مر أحد المفتشين الإنجليز بجوبا ذات يوم ورأى السلطان يلبس مايغطى عورته فخلعه من السلطنة وهى رياسة القبيلة وجلده ، وكانوا يشجعون ، بل ويصرون على أن الجنوبى يغطى جلده بروث البقر . وحين ذهب الاستعمار الإنجليزى ابتدأ

السودان فى تغيير هذه الأوضاع وسط ظروف بالغة القسوة بسماحة الإسلام .

والإسلام يبنى العلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات على التسامح وأن يكون لكل فرد فى الأمة الحق فى أن يعتقد أى دين يشاء ، ويؤدى شعائر دينه كما يشاء ، ويغترف من مناهل العلم كما يغترف المسلمون سواء بسواء ، ولقد اعترف كثير من المستشرقين بأن المسلمين عاشوا مع أهل الكتاب «اليهود والمسيحيين» فى مجتمع واحد تظللهم رابطة المحبة والمودة .

ولقد قال المستشرق (جولد تسهر) :

« إن مايشاهد اليوم من تسامح الحكومات الإسلامية يرجع إلى ما كان فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى من مبادىء الحرية الدينية » .

واعترف ارنولد بتسامح العرب المسلمين مع أهل الذمة (مسيحيين ويهودا) رقارن بين هذا التسامح وما أقدم عليه الأوربيون من اضطهاد للمسلمين .

لقد أنصف الإسلام البشر كافة ، ولقد قدر كثير من علماء اليهود الإسلام وروحه الصادقة ، ومن هؤلاء عمانويل دويش[١] أحد علماء اليهود فلقد قال عن المسلمين :

« حملوا بفضل القرآن قبس العرفان إلى أوربا ، وبالحق أن المسلمين علموا الشرقيين والغربيين الفلسفة والطب والفلك والشعر . وأحيوا تراث اليونان وعلومهم الميتة . لقد كانت الدنيا محاطة ببحر من ظلمات الجهل فأغرق المسلمون كل أرجائها فى النور ، فهم بهذا الاعتبار واضعوا أساس العلم الحديث » .

وسأنقل عن كتاب ماكس ديموث عن « إله اليهود وتاريخهم » صفحة ١٨٤ المطبوع بوساطة المكتبة الأمريكية الجديدة ، إذ جاء فيه عن اليهود فى الإمبراطورية الإسلامية الفقرة الرابعة :

---

(١) العرب واليهود : الدكتور على حسنى الخربوطلى — صفحة ٨٦

التاريخ الإسلامى من ٧٠٠ — ١٠٠٠ ميلادية .

« إن الدين الإسلامى انتشر من بحر قزوين إلى شمالى إفريقية وآسيا ، ووقف عند جنوبى فرنسا بمقاومة شارل مارتل ، ويعتبر هـذا الوقت هو العصر الذهبى للاسلام ، ثم تمزقت الامبراطورية الإسلامية إلى سلاطين وخلفاء » .

وأمام ذلك فى نفس الصفحة نجـد مايلى :

« عصر اليهود الذهبى — عصر التسامح العظيم ارتفاع اليهود إلى أكبر مراكز سامية — أصبح اليهود عالمين — بدأت الترجمة من اليونانية »

وجاء فى الفقرة الخامسة :

« إن نهاية الإمبراطورية الإسلامية كانت نهاية العصر الذهبى لليهود »

وجاء فى صفحة ١٩١ :

« إن المسيحيين لم يقدموا عظماء من الرجال أو الثقافة فى الدولة الإسلامية ولـكن اليهود أنتجوا فى العهد الذهبى للإسلام أسماء عظيمة فى الفلسفة والطب والعلوم والرياضيات »

الباب الرابع :

الفصل الثانى

تاريخ الطب الاسلامى فى العصر العباسى

اشتهر العصر العباسى بدخول الآثار الفكرية اليونانية وترجمة الطب الإغريقى والسوريانى إلى العربية وقام عدد غفير من الأطباء بالترجمة .

وحالة الطب بين الحارث بن كلدة والعباسيين كانت باهتة ، واقترب الطب فى البلاد الإسلامية من الطب اليونانى كمدرسة جند يسابور فى فارس التى نزح إليها النساطرة المسيحيون .

وكان هناك صلة وثيقة بينها وبين بغداد .

وظهر الرازى وابن سينا فى ذلك الوقت .

وظهر الرازى كأحسن الأطباء الإكلينيكيين ، وألف كتاب أسرار الحكمة الذى يعتبر المرجع الإكلينيكى لأوربا ؛ وظهر كتاب القانون فى الطب لابن سينا الذى يعتبر الكتاب المعتمد فى مدارس أوربا الطبية لمدة خمسمائة عام .

وأسس المأمون كلية للترجمة ودار الحكمة فى بغداد ، وفى هذا الوقت ظهرت دكاكين الصيدلة أو مايسمى « بالأجزخانات » اليوم وظهر علم العقاقير .

ووضع ٩٣١ سؤالا للإجابة عنها ليجتاز الطالب الامتحان ويصبح طبيبا .

وبنى هارون الرشيد أول مستشفى فى بغداد ، وتعتبر بذلك أول مستشفى إسلامى فى العالم كله . . وكان الأطباء يقسمون إلى ماهو عليه الآن ، فكان منهم إخصائيون للجراحة ، والعظام ، والعيون ، ولأمراض النساء والولادة والأمراض الباطنية .

الفصل الثالث

أطباء العهد العباسى والأطباء النقله

ظهر فى عهد العباسيين

جورجيوس بن جبرائيل — بختيشوع بن جورجيس — جبرائيل بن بختيشوع — بختيشوع بن جبرائيل — جبرائيل بن عبد الله — عبد الله بن جبرائيل — خضب — عيسى المعروف بأبى قريش للجلاج — عبدالله الطيفورى — زكريا بن الطيفورى — إسرائيل بن زكريا الطيفوى — يزيد بن زيد — عيدوس بن زيد — سهل الكسج — سابور بن سهل — إسرائيل بن سهل — موسى بن إسرائيل الكوفى — ماسرجويه متطبب البصرة — سلمويه بن نيان متطبب المعتصم — أيوب المعروف بالأبرش ماسويه أبو يوحنا — يوحنا بن ما سويه وغيرهم .

جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس (١)

كان مشهوراً بالفضل جيد التصرف فى المداواة ، عالى الهمة سعيد الجد حظيا عند الخلفاء ، رفيع المنزلة عندهم ، يكثرون الإحسان إليه ، وحصل من جهتهم من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء .

قال فثيون الترجمان : لما كان فى سنة خمس وسبعين ومائة ، مرض جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك ، فتقدم الرشيد إلى بختيشوع أن يتولى خدمته ومعالجته . ولما كان فى بعض الأيام قال له جعفر : أريد أن تختار لى طبيبا ماهرا أكرمه

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعة .

وأحسن إليه . قال له بختيشوع : ابنى جبرائيل أمهر منى ، وليس فى الأطباء من يشاكله . فقال له أحضرنيه . ولما أحضره عالجه فى مدة ثلاثة أيام وبرأ ، فأحبه جعفر مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب ، وفى تلك الأيام تمطت حظية الرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان ، ولا ينفع ذلك شيئا .

فقال الرشيد لجعفر بن يحيى : قد بقيت هذه الصبية بعلتها ، قال له جعفر : لى طبيب ماهر ، وهو ابن بختيشوع ، تدعوه وتخاطبه فى معنى هذا المرض ، فلعل عنده حيلة فى علاجه .

فأمر بإحضاره ولما حضر قال له الرشيد : ما اسمك ، قال جبرائيل . قال له : أى شىء تعرف من الطب ؟ فقال: أبرد الحار وأسخن البارد ؛ وأرطب اليابس وأيبس الرطب الخارج عن الطبع . فضحك الخليفة وقال : هذا غاية ما يحتاج إليه فى صناعة الطب . ثم شرح له حال الصبية ، فقال له جبرائيل : إن لم يسخط على أمير المؤمنين فلها عندى حيلة . فقال له وماهى ؟ قال تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجمع حتى أعمل ما أريده ، وتمهل على ولا تعجل بالسخط ؛ فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت ، وحين رآها جبرائيل عدا إليها ونكس رأسه وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها ، فانزعجت الجارية ، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها ، وبسطت يديها إلى أسفل ، وأمسكت ذيلها . فقال جبرائيل : قد برأت ياأمير المؤمنين . فقال الرشيد للجارية ابسطى يديك يمنة ويسرة ؛ ففعلت ذلك ، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه . وأمر الرشيد فى الوقت لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم ، وأحبه مثل نفسه ، وجعله رئيسا على جميع الأطباء .

ولما سئل جبرائيل عن سبب العلة ، قال : هذه الجارية انصب إلى أعضائها وقت المجامعة خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ، ولأجل أن تكون حركة

الجماع بغتة جمدت الفضلة فى بطون جميع الأعصاب ، وما كان يحلها إلا حركة مثلها . فاحتلت حتى انبسطت الحرارة، وانحلت الفضلة .

قال فثيون : وكان محل جبرائيل يقوى فى كل وقت ، حتى إن الرشيد قال لأصحابه : كل من كانت له إلى حاجة فليخاطب بها جبرائيل ، لأنى أفعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى ، فكان القواد يقصدونه فى كل أمورهم وحاله تتزايد . ومنذ يوم خدم الرشيد إلى أن انقضت خمس عشرة سنة لم يعرض الرشيد فحظى عنده ، وفى آخر أيام الرشيد بطوس مرض المرض الذى توفى به . ولما قوى عليه المرض قال لجبرائيل : لم لا تبرئنى ؟ فقال له : قد كنت أنهاك دائما عن التخليط ، وأقول لك قديما : أن تخفف من الجماع فلا تسمع منى ، والآن سألتك أن ترجع إلى بلدك ، فإنه أوفق لمزاجك فلم تقبل ، وهذا مرض شديد ، وأرجو أن يمن الله بعافيتك ؛ فأمر بحبسه .

وقيل له : إن بفارس أسقفا يفهم الطب ، فوجه من يحضره إليه ، ولما حضر ورآه قال له : الذى عالجك لم يكن يفهم الطب ، فزاد ذلك فى إبعاد جبرائيل . وكان الفضل بن الربيع يحب جبرائيل ، ورأى أن الأسقف كذاب يريد إقامة السوق ، فأحسن فيما بينه وبين جبرائيل ، وكان الأسقف يعالج الرشيد ومرضه يزيد ، وهو يقول له : أنت قريب من الصحة . ثم قال له : هذا المرض كله من خطأ جبرائيل فتقدم الرشيد بقتله فلم يقبل منه الفضل بن الربيع ، لأنه كان يئس من حياته ، فاستبقى جبرائيل . ولما كان بعد أيام يسيرة مات الرشيد ، ولحق الفضل بن الربيع فى تلك الأيام قولنج صعب أيس الأطباء منه . فعالجه جبرائيل بألطف علاج وأحسنه ، فبرأ الفضل وازدادت محبته له وإعجابه .

قال فثيون : ولما تولى محمد الأمين وافى إليه جبرائيل فقبله أحسن قبول وأكرمه ، ووهب له أموالا جليلة أكثر مما كان أبوه يهب له . وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه ، فلما كان من الأمين ما كان ، وملك الأمر المأمون كتب إلى الحسن بن سهل وهو يخلفه بالحضرة بأن يقبض على جبرائيل ويحبسه لأنه ترك قصره بعد موت أبيه الرشيد ، ومضى إلى أخيه الأمين . ففعل الحسن

بن سهل هذا . ولما كان فى سنة اثنتين ومائتين مرض الحسن بن سهل مرضاً شديداً ، وعالجه الأطباء فلم ينفع ذلك ، فأخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرأ فى أيام يسيرة ، فوهب له سراً مالا وافراً ، وكتب إلى المأمون يعرفه خبر عاهته ، وكيف برأ على يد جبرائيل ، ويسأله فى أمره ، فأجابه بالصفح عنه .

قال فثيون : ولما دخل المأمون الحضرة فى سنة خمسة ومائتين أمر بأن يجلس جبرائيل فى منزله ولا يخدم ، ووجه من أحضر ميخائيل المتطبب ، وهو صهر جبرائيل ، وجعله مكانه وأكرمه إكراماً وافراً مكايدة لجبرائيل.

قال ولما كان فى سنة عشر ومائتين مرض المأمون مرضاً صعباً ، وكان وجوه الأطباء يعالجونه ولا يصلح ، فقال لميخائيل : إن الأدوية التى تعطيني تزيدنى شراً ، فاجمع الأطباء وشاورهم فى أمرى . فقال له أخوه أبو عيسى ياأمير المؤمنين نحضر جبرائيل فإنه يعرف مزاجنا منذ الصبا ، فتغافل عن كلامه ، وأحضر أبو أسحق أخاه يوحنا بن ماسوية ، فثلبه ميخائيل طبيبه ووقع فيه وطعن عليه، فلما ضعفت قوة المأمون عن أخذ الأدوية أذكروه بجبرائيل فأمر بإحضاره ، ولما حضر غير تدبيره كله ، فاستفاق بعد يوم ، وبعد ثلاثة أيام صلح ، فسر به المأمون سروراً عظيماً .

ولما كان بعد أيام يسيرة صلح صلاحاً تاماً ، وأذن له جبرائيل فى الأكل والشرب ففعل ذلك . وقال له عيسى أخوه وهو جالس معه على الشرب : مثل هذا الرجل الذى لم يكن مثله ولا يكون — سبيله أن يكرم ؟ فأمر له المأمون بألف ألف درهم وبألف كرحنطة،ورد عليه سائر ماقبض منه من الأملاك والضياع. وصار إذا خاطبه كناه بأبى عيسى جبرائيل . وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه . وانتهى به الأمر فى الجلالة إلى أن كان كل من تقلد عملا لا يخرج إلى عمله إلا بعد أن يلقى جبرائيل ويكرمه . وكان عند المأمون مثل أبيه . ونقص محل ميخائيل الطبيب صهر جبرائيل وانحط .

قال يوسف بن إبراهيم: دخلت على جبرائيل فى داره التى بالميدان فى يوم من تموز . وبين يديه المائدة وعليها فراخ طيور مسرولة كبار . وقد عملت كردناجا بفلفل . وهو يأكل منها . وطالبنى بأن آكل معه . فقلت له : كيف آكل منها فى مثل هذا الوقت من السنة وسنى سن الشباب ؟ فقال لى : ما الحمية عندك ؟ فقلت تجنب الأغذية الرديئة .

فقال لى : غلطت ليس ما ذكرت حمية ثم قال : لا أعرف أحداً عظم قدره أم صغر يصل إلى الإمساك عن غذاء من الأغذية كل دهره إلا أن يكون يبغضه ، ولا تتوق نفسه إليه لأن الإنسان قد يمسك عن أكل مشىء برهة من دهره ، ثم يضطره إلى أكله عدم إدام سواء لعلة من العلل أو مساعدة لعليل يكون عنده : أو صديق يحلف عليه ، أو شهوة تتجدد له ، فتى أكله وقد أمسك عن أكله منه مدة طويلة — لم تقبله طبيعته ونفرت منه ، وأحدث ذلك فى بدن آكله مرضاً كثيراً وربما أتى على نفسه . والأصلح للأبدان تمرينها على أكل الأغذية الرديئة ، حتى تألفها . وأن يأكل منها فى كل يوم شيئاً واحداً ، ولا يجمع أكل شيئين رديئين فى يوم واحد ، وإذا أكل من بعض هذه الأشياء فى يوم لم يعاود أكله فى غد ذلك اليوم .

فإن الأبدان إذا مرنت على أكل هذه الأشياء ، ثم اضطر الإنسان إلى الإكثار من أكل بعضها لم تنفر الطبيعة منه ، فقد رأينا الأدوية المسهلة إذا أدمنها مدمن وآلفها بدنه قل فعلها ولم تسهل . وهؤلاء أهل الأندلس إذا أراد أحدهم إسهال طبيعته أخذ من السقمونيا وزن ثلاثة دراهم ، حتى تلين طبيعته مقدار ما يلينها نصف درهم فى بلدنا ، وإذا كانت الأبدان تألف الأدوية حتى تمنعها من فعلها فهى للأغذية وإن كانت رديئة أشد إلفا . قال يوسف : فحدث بهذا الحديث بختيشوع بن جبرائيل فسألنى إملاءه عليه ، وكتبه عنى بخطه .

قال يوسف بن إبراهيم : حدثنى سليمان الخادم الخراسانى مولى الرشيد أنه كان واقفاً على رأس الرشيد بالحيرة يوماً وهو يتغذى ، إذ دخل عليه عون العبادى

الجوهرى وهو حامل صفحة فيها سمكة منقوعة بالسمن ، فوضعها بين يديه ومعها عشى قد اتخذه لها فحاول الرشيد أكل شيء منها فمنعه من ذلك جبرائيل وغمز صاحب المائدة بعزلها له . وفطن الرشيد ، فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده ، خرج جبرائيل عن حضرته . قال سليمان : فأمرنى الرشيد باتباعه وإخفاء شخصى عنه . ، وأن أتفقد ما يعمله وأرجع إليه بخبره ، ففعلت ما أمرنى به ، وأحسب أن أمرى لم يستتر عن جبرائيل لما تبينت من تحرزه . فصار إلى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأحضر له وفيه السمكة ودعا بثلاثة أقداح من فضة ، فجعل فى واحد قطعة منها ، وصب عليه خمراً من خمر طيزناباذ بغير ماء ، وقال : هذا أكل جبرائيل · وجعل فى قدح آخر قطعة وصب عليها ماء بثلج ، وقال : هذا أكل أمير المؤمنين إن لم يخلط السمك بغيره . وجعل فى القدح الثالث قطعة من السمك ومعها قطع من اللحم من ألوان مختلفة ، ومن شواء وحلواء وفراريج وبقول ، وصب عليه ماء بثلج وقال . هـــذا طعام أمير المؤمنين إن خلط السمك بغيره .

ورفع ثلاثة الأقداح إلى صاحب المائدة وقال : احتفظ بها إلى أن ينتبه أمير المؤمنين من قائلته . قال سليمان الخادم : ثم أقبل جبرائيل على السمكة فأكل منها حتى تضلع ، وكان كلما عطش دعا بقدح من الخمر الصرف فشربه ثم نام . فلما انتبه الرشيد من نومه دعانى فسألنى عما عندى من خبر جبرائيل ، وهل أكل من السمكة شيئاً أم لم يأكل ؟ فأخبرته بالخبر ، فأمر بإحضار ثلاثة الأقداح ، فوجد الذى صب عليه الماء بالثلج قدريا وصار على أكثر من الضعف مما كان ، ووجد القدح الذى فيه السمك واللحم قد تغيرت رائحته فأمرنى الرشيد بحمل خمسة آلاف دينار إلى جبرائيل وقال : من يلومنى على محبة هذا الرجل الذى يدبرنى هذا التدبير ، فأوصلت إليه المال .

وقال اسحق بن على الرهاوى ، فى كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة أن يوحنا بن ماسويه أخبره أن الرشيد قال لجبرائيل بن بختيشوع وهو حاج بمكة

يا جبرائيل : علمت مرتبتك عندى ؟ قال ياسيدى : وكيف لا أعلم ؟ قال له : دعوت لك والله فى الموقف دعاء كثيراً ، ثم التفت إلى بنى هاشم فقال : أنكرتم قولى له ؟ فقالوا ياسيدنا ذمى : فقال نعم ولكن صلاح بدنى وقوامه به ، وصلاح المسلمين بى ، فصلاحهم بصلاحه وبقائه . فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين .

ونقلت من بعض التواريخ قال جبرائيل بن بختيشوع المتطبب :

اشتريت ضيعة بسبعمائة ألف درهم ، فنقدت بعض الثمن ، وتعذر على بعضه فدخلت على يحى بن خالد وعنده ولده ، وأنا أفكر فقال : مالى أراك مفكراً ؟ فقلت اشتريت ضيعة بسبعمائة ألف ، فنقدت بعض الثمن وتعذر على بعضه قال : فدعا بالدواء وكتب : يعطى جبرائيل سبعمائة ألف درهم ، ثم دفع إلى كل واحد من ولده ، فوقع فيه ثلثمائة ألف . قال : فقلت . جعلت فداك ، قد أديت عامة الثمن . وإنما بقى أقله . قال : أصرف ذلك فى ما ينوبك ثم صرت إلى دارأمير المؤمنين فلما رآنى قال : ما بطؤبك ؟ قلت يا أمير المؤمنين : كنت عند أبيك وإخوتك ففعلوا بى كذا وكذا . وإنما ذلك لخدمتى لك ؛ قال فما حالى أنا ؟ ثم دعا بدابته فركب إلى يحيي فقال : يا أبت خبرنى جبرائيل بما كان . فما حالى أنا من بين ولدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين مر بما شئت يحمل إليه . فأمر لى بخمسمائة ألف ؟

قال يوسف بن إبراهيم الحاسب المعروف بابن الداية : كان لأم جعفر بنت أبى الفضل فى قصر عيسى بن على الذى كانت تسكنه — مجلس لا يجلس فيه إلا الحساب والمتطببون ، وكانت لا تشتكى علة إلى متطبب حتى يحشر جميع أهل الصناعتين ، ولا يكون مقامهم فى ذلك المجلس إلى وقت جلوسها ، فكانت تجلس لهم فى أحد موضعين ، إما عند الشباك الذى على الدكان الكبير المحاذى للشباك وللباب الأول من أبواب الدار ، أو عند الباب الصغير المحاذى لمسجد الدار ، فكان الحساب والمتطببون يجلسون من خارج الموضع الذى تجلس فيه ، ثم تشتكى ما تجد فيتناظر المتطببون فيما بينهم حتى يجتمعوا على العلة والعلاج ، فإن

كان بينهم اختلاف دخل الحساب بينهم ، وقالوا بتصديق المصيب عندهم . ثم تسأل الحساب عن اختيار وقت ، لذلك العلاج فإن اجتمعوا على وقت وإلا نظر المتطببون فيما بين الحساب وحكموا لإلزامهم القياس ، فاعتلت عند اجتماعها على الحج آخر حجة حجتها علة أجمع متطببوها على إخراج الدم من ساقيها بالحجامة واختار الحساب لها يوماً تحتجم فيه ، وكان ذلك فى شهر رمضان فلم يمكن أن تكون الحجامة إلا فى آخر النهار .

فكان ممن يختلف إليها من الحساب — الحسن بن محمد الطوسى التميمى المعروف بالأبح ، وعمر بن الفرخان الطرى ، وشعيب اليهوى . قال يوسف بن إبراهيم وكنت متى عرضت للأبح علة أو عاقه عن حضور دار أم جعفر عائق حضرت عنه ، فحضرت ذلك المجلس فى الوقت الذى وقع الاختيار على حجامة أم جعفر فيه ، فوافيت ابناً لداءود ابن سرابيون حدثاً يشبه أن يكون ابن أقل من عشرين سنة ، قد أمرت أم جعفر بإحضاره مع المتطببين ليتأدب بحضور ذلك المجلس ، وقد تقدمت إلى جميع من يطيف بها من المتطببين فى تمليمه وتوفيقه عناية به لمكان أبيه من خدمتها ، فوافيته وهو يلاحى متطبباً راهباً حضر دارها فى ذلك اليوم من أهل الأهواز فى شرب الماء للمنتبه من نومه ليلا ، فقال ابن داءود : ما الله خلق بأحمق ممن يشرب ماء بعد انتباهه من نومه ! ووافى جبرائيل عندما قال الغلام هذا القول باب البيت ، فلم يدخل المجلس إلا وهو يقول : أحمق والله منه من تتضرم نار على كبده فلم يطفئها .

ثم دخل فقال : من صاحب الكلام الذى سمعته ؟ فقيل له ابن داءود ، فعنفه على ذلك وقال له : كانت لأبيك مرتبة جليلة فى هذه الصناعة وتتكلم بمثل ما سمعته منك ؟ فقال له الغلام : فكأنك أعزك الله تطلق شراب الماء بالليل عند الانتباه من النوم فقال جبرائيل : أما المحرور الجاف المعدة ، ومن تعشى وأكل طعاما مالحاً فأطلقه له ، وأنا أمنع منه الرطبي المعد ، وأصحاب البلغم المالح لأن فى منعهم من ذلك شفاء من رطوبة معدهم ، وأكل بعض البلغم المالح بعضاً ، فسكت

عنه جميع من حضر ذلك المجلس غيرى ، فقلت يا أبا عيسى : قد بقيت واحدة قال : وما هى ؟ قلت أن يكون العطشان يفهم من الطب مثل فهمك فيفهم عطشه من مرار أو من بلغم مالح ؟ فضحك جبرائيل ثم قال لى : متى عطشت ليلا فأبرز رجلك من لحافك . وتناوم قليلا فإن تزيد عطشك فهو من حرارة . أو من طعام يحتاج إلى شرب الماء عليه فاشرب » وأى نقص من عطشك شىء فامسك عن شرب المـاء فإنه من بلغم مالح .

قال يوسف بن إبراهيم : وسأل إسحق إبراهيم بن المهدى جبرائيل عن علة الورشـكين . فقال : هو اسم ركبه الفرس من الـكسر والصدر . واسم الصدر بالفارسية الفصيحة ور . والعامة تسميه بر واسم الـكسر إشـكين . فأذا أجمت اللفظتين كانتا ورشـكين . أى هذه العلة من العلل التى يجب أن يكسر عليهـا الصدر وهى علة لا تستحكم بإنسان فيـكاد ينهض منها . وإن من نهض منها لم يؤمن عليه النكسة سنة إلا أن يخرج منه استفراغ دم كثير تقذفه الطبيعة من الأنف أو من أسفل . فى وقت العلة أو بعدها قبل السنـــــة . فتى حدث ذلك سلم منه .

فقال أبو اسحق كالمتعجب سنة ! قال : نعم . جعلنى الله فداك وعلة أخرى يستخف بها الناس وهى الحصبة . فإنى ما أمنت على من أصابته من النـكسة سنة . إلا أن يصيبه بعقبها استطلاق بطن يكاد يأتى على نفسه أو يخرج به خراج كثير . فإذا أصابه أحد هذين أمنت عليه .

قال يوسف : ويدخل جبرائيل على أبى إسحق يوما يعقب علة كان فيها ، وقد أذن له فى أكل اللحم الغليظ ، فحين جلس وضعت بين يديه كشكية رطبة ، فأمر برفعها ، فسألته عن السبب ؟ فقال : ما أطلقت لخليفة قط حُـمَّ يوماً واحدا أكل الـكشك سنة كاملة . قال أبو إسحق أى الـكشكين أردت الذى بلبن أم الذى بغير لبن ؟ قال بغير لبن لا أطلق له أكله سنة ، وعلى قياس هذا مايوجبه الطب . فليس ينبغى أن يطلق له أكل الـكشك المعمول بلبن إلا بعد استكمال ثلاث سنين .

حدث ميمون بن هرون قال : حدثنى سعيد بن إسحق النصرانى قال: قال لى جبرائيل بن بختيشوع : كنت مع الرشيد بالرقة ومعه المأمون ومحمدالأمين ولداه وكان رجلا بادنا كثير الأكل والشرب ، فأكل فى بعض الأيام أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشى عليه ، وأخرج فقوى عليه الغشى حتى لم يشك فى موته ، وأرسل إلى فحضرت ، وجسست عرقه فوجدته نبضاً خفيفاً . وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء فقلت لهم يموت ، والصواب أن يحجم الساعة .

فأجاب المأمون وأحضر الحجام ، وتقدمت بإقماده ، فلما وضع المحاجم عليه ومصها ، رأيت الموضع قد احمر ، فطابت نفسى وعلمت أنه حى . فقلت للحجام . اشرط فشرط ، فخرج الدم فسجدت شكراً لله . وجعل كلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه إلى أن تكلم . وقال أين أنا ؟ فطيبنا نفسه وغديناه بصدر دجاج وسقيناه شرابا ، وما زلنا نشمه الروائح الطيبة ، ونجعل فى أنفه الطيب حتى تراجعت قوته ، وأدخل الناس إليه ، ثم وهب الله له عافيته فلما كان بعد أيام دعا صاحب حرسه ، فسأله عن غلته فى السنة فعرفه أنها ثلثمائة ألف درهم ، وسأل حاجبه عن غلته فعرفه أنها ألف ألف درهم . فقال: ما أنصفناك حيث غلات هؤلاء يحرسوننى من الناس على ما ذكروا ، وأنت تحرسنى من الأمراض والأسقام ، وتكون غلتك ما ذكرته ، وأمر بإقطاعى من غلته ألف ألف درهم . فقلت له ياسيدى ، ما لى حاجة إلى الإقطاع ، ولكن تهب لى ما أشترى به ضياعا ففعل ذلك فابتعت بهباته ضياعا غلتها ألف ألف درهم ، فجميع ضياعى أملاك لا إقطاع .

قال يوسف بن إبراهيم : حدثنى أبو إسحق إبراهيم بن المهدى أن جبرائيل لجأ إليه حين انتهبت العوام داره فى خلافة محمد الأمين، فأسكنه معه فى داره وحماه ممن كان يحاول قتله . قال أبو إسحق : فكنت أرى من هلع جبرائيل وكثرة أسفه على ماتلف من ماله . ، وسدة اغتمامه ، مالم أتوهم أن أحداً بلغ به الوجد بماله مثل الذى بلغ بجبرائيل .

قال أبو إسحق : فلما ثارت المبيضة فظهرت العلوية بالبصرة والأهواز أتانى

وهو مسرور كأنه قد وصل بمائة ألف دينـار فقلت له : أرى أبا عيسى مسروراً فقال : إنى والله لمسرور عين السرور . فسألته عن سبب سروره فقال : إنه حاز العلوية ضياعا . وضربوا عليها النار ، فقلت له :ما أعجب أمرك ؟ انتهبت لك العوام جزءاً من مالك ، فخرجت نفسك من الجزع إلى ماخرجت إليه ، وتحوز العلوية جميع ماتملك فيظهر منك السرور مثل الذى ظهر . فقال : جزعى بمـا ركبنى به العوام ، لأنى أوتيت فى منامى وسلبت فى عزى ، وأسلمنى من يجب عليه حمايتى. ولم يتعاظمنى ما كان من العلوية ، لأنه من أكبر المحال عيش مثلى فى دولتين بنعمة واحدة ولو لم تفعل العلوية فى ضياعى ما فعلوا . وقد كان يجب عليهم مع علمهم بصحة طوبتى لموالى الذين أنعم الله علىّ بنعمتهم التى ملـكونيها ، أن يتقدموا فى حفظ وكلائى ، والوصاه بضياعى ومزارعى وأن يقولوا لم يزل جبرائيل مائلا إلينا فى أيام دولة أصحابه ومتفضلا علينا فى أمواله ، ويؤدى الينا أخبار سادته ، فـكان الخبر متى تأدى بذلك إلى السلطان قتلنى ، فسرورى بحيازة ضياعى وسلامة نفسى بما كان هؤلاء الجهال ملـكوه منها فلم يهتدوا إليه .

قال يوسف : حدثنى فرح الخادم المعروف بأبى خراسان . مولى صالح بن الرشيد ووصيه قال: كان مولاى صالح بن الرشيد على البصرة ، وكان عامله عليها (أبوالرازى) فلما أحدث جبرائيل بن بختيشوع عمارة داره التى فى الميـدان سأل مولاى ان يهدى له خمسمائة ساجة ؛ وكانت الساجة بثلاثة عشر دينارا ، فاستكثر مولاه المال . وقال له أما خمسمائة فلا ، ولـكنى أكتب إلى ابن الرازى فى حمل مائتى ساجة إليك ، فقال جبرائيل : فليست بى حاجة إليها .

قال فرخ فقلت لسيدى : أرى جبرائيل سيدبر عليك تدبيراً بغيضـاً . فقال جبرائيل: أهون على من كان هيناً ، لأنى لا أشرب له دواء ولا أقبل له علاجا .

ثم استزار مولاى أمير المؤمنين المأمون ، فلما استوى المجلس بالمأمون ، قال له جبرائيل: أرى وجهك متغيرا ثم قام إليه فجس عرقه وقال له : يشرب أمير المؤمنين

شربة سكنجبين ويؤخر الغذاء حتى يفهم الخبر ، ففعل المأمون ما أشار به ، وأقبل يجس عرقه فى الوقت بعد الوقت ، ثم لم يشعر بشىء حتى دخل غلمان جبرائيل ومعهم رغيف واحد ومعه ألوان قد اتخذت من قرع وما أشبه ذلك . فقال له ، إنى أكره لأمير المؤمنين أن يأكل فى يومه هذا شيئاً من لحوم الحيوان ، فليأكل من هذه الألوان ، فأكل منها ونام . فلما انتبه من قائلته ، قال له يا أمير المؤمنين رائحة النبيذ تزيد فى الحرارة ، والرأى لك الانصراف ، فانصرف المأمون وتلفت نفقة مولاى كلها . فقال لى مولاى يا أباخراسان. التمييز بين مائتى ساجة وخمسمائة ساحة ، واستزارة الخليفة لا يجتمعان .

قال يوسف . وحدثنى جورجس بن ميخائيل عن خاله جبرائيل ، وكان جبرائيل له مكرما لكثرة علمه ، لأنى لم أر فى أهل البيت بعد جبرائيل أعلم منه على عجب كان فيه شديد ، وسخف كثير . إن جبرائيل أخبره أنه أنكر من الرشيد قلة الرز للطعام ، وأنه لم يكن يرى فى مائه ولا فى مجسة عرقه ما يدل على علة توجب قلة الطعام ، فكان يقول للرشيد يا أمير المؤمنين بدنك صحيح سليم بحمد الله من العلل ، وما أعرف لتركك استيفاء الغذاء معنى . فقال لى لما أكثرت عليه من القول فى هذا الباب قد استوخمت مدينة السلام ، وأنا أكره الابتعاد عنها فى هذه الأيام ؟ أفتعرف مكاناً بالقرب منها صحيح الهواء ؟

فقلت له الحيرة يا أمير المؤمنين ، فقال قد نزلنا الحيرة مرارا ، وهى أيضاً بعيدة . فقلت يا أمير المؤمنين . فالأنبار طيبة وأما ظهرها فأصح هواء من الحيرة ، فخرج إليها فلم يزد فى طعامه شيئا ، بل نقص وصام يوم الخميس قبل قتله جعفرا بيومين وليلة ، وأحضر جعفراً عشاءه ، وكان أيضاً صائماً ، فلم يصب الرشيد من الطعام الكثير شيئا . فقال له جعفر . يا أمير المؤمنين لو استزدت من الطعام افقال . لو أردت ذلك لقدرت عليه إلا أن احببت أن أبيت خفيف المعدة لأصبح وأنا أشتهى الطعام، وأتغدى مع الحريم ثم بكر بالركوب غداة يوم

الجمعة . وركب معه جعفر بن يحيي ، فرأيته وقد أدخل يده فى كم جعفر حتى بلغ بدنه فضمه إليه ، وعانقه وقبل بين عينيه ، وسار ويده فى يد جعفر أكثر من ألف ذراع .

ثم رجع إلى مضربه وقال . بحياتى أما اصطبحت فى يومك هذا وجعلته يوم سرور فإنى مشغول بأهلى . ثم قال لى . يا جبرائيل أنا أتغذى مع حرمى ، فكن مع أخى تسر بسروره ، فسرت مع جعفر وأحضر طعامه فتغدينا ، وأحضر أبا زكار المغنى ، ولم يحضر مجلسه غيرنا ، ورأيت الخادم بعد الخادم يدخل إلينا فيساره ، فيتنفس عند مسارتهم إياه ويقول . ويحك يا أبا عيسى لم يطعم أمير المؤمنين بعد ، وأنا والله خائف أن تكون به علة تمنعه من الأكل ويأمر كلما أراد أن يشرب قدحاً أبا زكار أن يغنيه .

إن بنى المنذر حين انقضوا	بحيث شاد البيعة الراهب
أضحوا ولا يرهبهم راهب	حقا ولا يرجوهم راغب
كانت من الخز لبوساتهم	لم يجلب الصوف لهم جالب
كأنما جئتهم لعبة	سار إلى لبن بها راكب

فيغنيه أبوزكار هذا الصوت ، ولا يقترح عليه غيره. فلم تزل هذه حالنا إلى أن صليت . ثم دخل إلينا أبوها هاشم مسرور الكبير ، ومعه خليفة هرثمة ابن أعين ومعه جماعة كثيرة من الجند . فد يده خليفةهرثمة إلى يد جعفر ، ثم قال له : قم يافاسق ! قال جبرائيل ، ولم أكلم ولم يؤمرفى بأمر . وصرت إلى منزلى من ساعتى وأنا لا أعقل ، فما أقمت فيه إلا أقل من مقدار نصف ساعة . حتى صار إلى رسول الرشيد يأمرنى بالمسير إليه ، فدخلت إليه ورأس جعفرفى طشت بين يديه ، فقال لى يا جبرائيل : أليس كنت تسألنى عن السبب فى قلة الطعام ؟ فقلت : بلى يا أمير المؤمنين فقال : الفكر فيما ترى أصارتنى إلى ما كنت فيه وأنا اليوم ياجبرائيل عند نفسى كالناقة قدم غذائى حتى ترى من الزيادة على ما كنت تراه

عجبا ، وإنما كنت أقل شيء بعد الشيء لئلا يثقل الطعام على فيمرضني ، ثم دعا بطعامه في ذلك الوقت فأكل أكلا صالحاً من ليلته .

قال يوسف : حدثني إبراهيم بن المهدى أنه تخلف عن مجلس محمد الأمين أمير المؤمنين أيام خلافته عشية من العشايا لرداء كان أخذه ، وأن جبرائيل بن بختيشوع باكره غداة اليوم الثاني ، وأبلغه سلام الأمين ، وسأله عن حاله كيف كانت في دوائه ؟ ثم دنا منه فقال له أمير المؤمنين في تجهيز على بن عيسى بن ماهان إلى خراسان ليأتيه بالمأمون أسيراً في قيد من فضة ، وجبرائيل بريء من دين النصرانية إن لم يغلب المأمون محمدا ويقتله ، ويحوز ملكه! فقلت له: ويحك! ولم قلت هذا القول ؟ وكيف قلت ؟ قال : لأن هذا الخليفة الموسوس سكر في هذه الليلة ، فدعا أبا عصمة الشيعي صاحب حرسه ، وأمر بسواده فنزع عنه وألبسه ثيابي وزنادي وقلنسوتي ، وألبسني أقبيته وسواده وسيفه ومنطقته ، وأجلسني في مجلس صاحب الحرس إلى وقت طلوع الفجر ، وأجلسه في مجلسي ، وقال لكل واحد مني ومن أبي عصمة ، قد قلدتك ما كان يتقلده صاحبك ! فقلت: إن الله مغير ما به من نعمة لتغييره ما بنفسه منها .

قال يوسف بن إبراهيم : وسمعت جبرائيل بن بختيشوع يحدث أبا إسحق إبراهيم بن المهدى أنه كان عند العباس بن محمد إذ دخل عليه شاعر امتدحه ، فلم يزل جبرائيل يسمع منه إلى أن صار إلى هذا البيت وهو .

لو قيل للعباس يابن محمد   قل لا وأنت مخلد ماقالها

قال جبرائيل : فلما سمعت هذا البيت لم أصبر لعلمي أن العباس أبخل أهل زمانه . فقلت للشاعر : ياهذا أحسبك تقول بالإبدال، فأردت أن تقول نعم فقلت لا ! فتبسم العباس ثم قال لي : أغرب قبح الله وجهك !

أقول هذا الشاعر الذي يشار إليه هو ربيعة الرقي . قال يوسف : وحدث جبرائيل أبا إسحق في هذا المجلس أنه دخل على العباس بعد فطر النصارى بيوم وفي

رأسه فضلة من نبيذه بالأمس، وذلك قبل أن يخدم جبرائيل الرشيد ، فقال جبرائيل للعباس : كيف أصبح الأمير أعزه الله ؟ فقال العباس : أصبحت كما تحب ، فقال له جبرائيل : والله ما أصبح الأمير على ما أحب ، ولا على ما يحب الله ، ولا على ما يحب الشيطان ، فغضب العباس من قوله ، ثم قال له : ما هـذا الكلام قبحك الله ؟ قال جبرائيل : فقلت على البرهان ، فقال العباس : لتـأتيني به وإلا أحسنت أدبك ، ولم تدخل لى دارا ؛ فقال جبرائيل ، الذى كنت أحب أن تكون أمير المؤمنين فأنت كذلك ؟

قال العباس . لا ، قال جبرائيل ، والذى يحب الله من عباده الطاعة له فيما أمرهم به ، ونهاهم عنه ، فأنت أيها الملك كذلك ؟ فقال العباس . لا ، فاستغفر الله قال جبرائيل، والذى يحب الشيطان من العباد أن يكفروا بالله ويجحدوا ربوبيته فأنت كذلك أيها الأمير؟ فقال له العباس. لا ولا تعد إلى مثل هذا القول بعد يومك هذا.

قال فثيون الترجمان . ولما عزم المأمون على الخروج إلى بلد الروم فى سنة ثلاث عشرة ومائتين مرض جبرائيل مرضاً شديداً قوياً ، فلما رآه المأمون ضعيفاً التمس منه إنقاذ بختيشوع ابنه معه إلى بلد الروم ، فأحضره وكان مثل أبيـه فى الفهم والعقل والمروءة ، ولما خاطبه المأمون وسمع حسن جوابه فرح به فرحاً شديداً ، وأكرمه غاية الإكرام ورفع منزلته ، وأخرجه معه إلى بلد الروم . ولمـا خرج

المأمون طال مرض جبرائيل إلى أن بلغ الموت ، وعمل وصيته إلى المأمون ودفعها إلى ميخائيل صهره ومات ، فمضى فى تجميل موته ما لم يمض لأمثاله بحسب استحقاقه بأفعاله الحسنة وخيره ، ودفن فى دير مارسرجس بالمدائن وإنما عاد ابنه بختيشوع من بلد الروم جمع للدير رهبانا وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه .

وقال فثيون الترجمان : إن جنس جورجس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصهم الله به من شرف النفوس ونبل الهمم ، ومن البر والمعروف، والإفضال والصدقات ، وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين ، والأخذ بأيدى المنـكوبين على ما يتجاوز الحد فى الصفة والشرح .

وجبرائيل بن بختيشوع هو الذى يمديه أبونواس فى قوله:

سألت أخى أبا عيسى ــ وجبريل له عقل
فقلت الراح تعجبنى ــ فقال كثيرها قتل
فقلت له فقدر لى ــ فقال وقوله فصل
وجدت طبائع الإنسان ــ أربعة هى الأصل
فأربعة لأربعة ــ لكل طبيعة رطل

وذكر أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى فى كتاب الجرد فى الأغانى هذه الأبيات :

ألا قل للذى ليس ــ على الإسلام والملة
لجبرائيل أبى عيسى ــ أخى الأنذال والسفلة
أفى طبك يا جبريل ــ ما يشفى ذوى العلة
غزال قد سبى عقلى ــ بلا جرم ولا زلة

قال أبو الفرج والشعر للمأمون فى جبرائيل بن بختيشوع المتطبب . والغناء لميتم خفيف . ومن كلام جبرائيل بن بختيشوع قال : أربعة تهدم العمر :

إدخال الطعام على الطعام قبل الهضم . والشرب على الريق . ونكاح العجوز . والتمتع فى الحمام .

ولجبرائيل بن بختيشوع من الكتب : رسالة إلى المأمون فى المطعم والمشرب وكتاب المدخل إلى صناعة المنطق . وكتاب فى المياه . رسالة مختصرة فى الطب وكناشة وكتاب فى صنعة البخور ألفه لعبدالله المأمون .

طبقات الأطباء النقله الذين نقلوا كتب الطب وغيره

من اللسان اليونانى إلى اللسان العربى وذكر الذين نقلوا لهم

جورجس . وهو من أول من ابتدأ فى نقل الكتب الطبيه إلى اللسان العربى عندما استدعاه المنصور، وكان كثير الإحسان إليه ، وقد ذكرت أخبار جورجس فيما تقدم .

حنين ابن إسحق . كان عالما باللغات الأربع غريبها ومستعملها . العربية والسريانية ؛ واليونانية والفارسية ، ونقله فى غاية من الجودة .

إسحق بن حنين : كان أيضاً عالما باللغات التى يعرفها أبوه ، وهو يلحق به فى النقل . وكان إسحق عذب العبارة فصيح الكلام ، وكان حنين مع ذلك أكثر تصنيفا ونقلا ، وقد تقدم ذكر إسحق وأبيه .

حبيش الأصم : وهو ابن أخت حنين بن إسحق وتلميذه ؛ ناقل مجود يلحق بحنين وإسحق .

عيسى بن يحيي بن إبراهيم . كان أيضاً تلميذاً لحنين بن إسحق . وكان فاضلا أثنى عليه حنين ورضى نقله ، وقلده فيه وله مصنفات .

قسطا بن لوقا البعلبكى . كان ناقلا خبيراً باللغات فاضلا فى العلوم الحكمية وغيرها ، وسيأتى ذكره وأخباره فيما بعد إن شاء الله .

أيوب المعروف بالأبرش : كان قليل النقل متوسطه ، وما نقله فى آخر عمره يضاهى نقل حنين .

عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة.

ماسرجيس : كان ناقلا من السريانى إلى العربى ، ومشهوراً بالطب ، وله من الكتب كتاب قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها ، كتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها .

عيسى بن ماسرجيس . كان يلحق بأبيه ، وله من الكتب كتاب الألوان وكتاب الروائح والطعوم .

شهدى الكرخى : من أهل الكرخ ، وكان قريب الحال فى الترجمة .

ابن شهدى الكرخى : كان مثل أبيه فى النقل ، ثم إنه فى آخر عمره فاق أباه ولم يزل متوسطا ، وكان ينقل من السريانى إلى العربى ، ومن نقله كتاب الأجنة لأبقراط .

الحجاج بن مطر : نقل للمأمون ، ومن نقله كتاب إقليدس ، ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحرانى بن ناعمة ؛ اسمه عبد المسيح بن عبد الله الحمصى الناعمى ، كان متوسط النقل ، وهو إلى الجودة أميل .

زوربا بن ماحوه الناعمى الحمصى : كان قريب النقل ، وماهو فى درجة من قبله .

هلال بن أبى هلال الحمصى : كان صحيح النقل ولم يكن عنده فصاحة ولا بلاغة ، فى اللفظ .

فتيون الترجمان : وجدت نقله كثير اللحن ، ولم يكن يعرف علم العربية أصلا .

أبو نصر بن نارى بن أيوب : كان قليل النقل . ولم يعتد بنقله كثيره من النقلة .

بسيل المطران : نقل كتباً كثيرة وكان نقله أميل إلى الجودة .

اصطفن بن بسيل : كان يقارب حنين بن إسحق فى النقل . إلا أن عبارة حنين أفصح وأحلى .

موسى بن خالد الترجمان ـ وجدت من نقـله كتبا كثيرة من الستة عشر لجالينوس وغيرها وكان لا يصل إلى درجة حنين أو يقرب منها .

اسطات ـ كان من النقلة المتوسطين .

جيرون بن رابطة ـ ليس له شهرة بجودة النقل .

تادرس المقل ـ وجدت له نقلا فى الـكتب الحكمية لا بأس به .

سرجس الرأس: من مدينة رأس العين، نقل كتباً كثيرة، وكان متوسطا فى النقل وكان حنين يصلح نقله ، فما وجد بإصلاح حنين فهو الجيد ، وما وجد غير غير مصلح فهو وسط .

أيوب الرخاوى : ليس أيوب الأبرش المذكور أولا ناقل جيد عالم باللغات إلا أنه بالسريانية خير منه بالعربية .

يوسف الناقل

هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطيب الناقل ، ويلقب بالناعس ، وهو تلميذ عيسى بن سهر بخت ، وكان يوسف الناقل من خوزستان ،وكانت فى عبارته لـكنه ، وليس نقله بكثير الجودة .

إبراهيم بن الصلت : كان متوسطا فى النقل يلحق بسرجس الرأس .

ثابت الناقل : كان أيضا متوسطا فى النقل إلا أنه يفضل إبراهيم بن الصلت، وكان مقلا من النقل ومن نقله كتاب الـكيموسين لجالينوس .

أبو يوسف الـكاتب : كان أيضا متوسطا فى النقل ، ونقل عدة كتب من كتب أبقراط .

يوحنا بن بختيشوع : نقل كتبا كثيرة إلى السريانية، فأما إلى العربى فما عرف عما نقله شيئا .

البطريق

كان فى أيام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة، وله نقل كثير جيد ،إلا أنه دون نقل حنين بن إسحق، وقد وجدت بنقله كتبا كثيرة فى الطب من كتب أبقراط وجالينوس .

يحيى بن البطريق

كان فى جملة الحسن بن سهل،وكان لايعرف العربية حق معرفتهاولا اليونانية، وإنما كان لطينيا يعرف لغة الروم وكتابتها ، وهى الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة .

قسطا الرهاوى

كان إذا كثرت على حنين الكتب ، وضاق عليه الوقت — استعان به فى فى نقلها ، ثم يصلحها بعد ذلك .

منصور بن باناس

طبقته فى النقل مثل قسطا الرهاوى ، وكان بالسريانية أقوى منه بالعربية .

عبد يشوع بن بهريز

مطران الموصل ، كان صديقا لجبرائيل بن بختيشوع ، وناقلا له .

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقى

أحد النقلة المجيدين ، وكان منقطعا إلى على بن عيسى .

أبو إسحق إبراهيم بن بكس

كان من الأطباء المشهورين ، وترجم كتبا كثيرة إلى لغة العرب ، ونقله أيضا مرغوب فيه .

أبو الحسن على بن إبراهيم بن بكس

كان طبيبا مشهورا ، وكان مثل أبيه فى النقل .

فأما الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم من غير الخلفاء فنهم

شيرشوع بن قطوب

من أهل جند يسابور ، وكان لا يزال يبر النقله ويهدى إليهم ، ويتقرب إلى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال ، وكان يجيد السريانى أكثر من العربى وهو أحد الخوز .

على بن يحيى المعروف بابن المنجم : أحد كتاب المأمون ، وكان قديما له ، ومال إلى الطب فنقلوا له منه كتبا كثيرة .

وتادرس الأسقف : كان أسقفا فى الكوخ ببغداد ، وكان حريصا على طلب الكتب متقربا إلى قلوب نقلتها ، فحصل منها شيئا كثيرا ، وصنف له قوم من الأطباء النصارى كتبا لها قدر وجعلوها باسمه .

ومحمد بن موسى بن عبد الملك : نقلت له كتب طبيه كان من جملة العلماء الفضلاء يلخص الكتب ، ويتبين جيد الكلام فيها من رديئه .

وعيسى بن يونس الكاتب الحاسب : من جملة الفضلاء بالعراق ، وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

وعلى المعروف بالفيوم : اشتهر باسم المدينة التى كان عاملها ، وكانت النقلة يحصلون من جانبية ويمتازون من فضله .

وأحمد بن محمد المعروف بابن المدبر : الكاتب وكان يصل النقلة من ماله وأفضاله شيء كثير جدا .

وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب . وكان حريصا على نقل كتب اليونانيين إلى لغة العرب ومشتملا على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة .

وعبد الله بن إسحق . وكان أيضا حريصا على نقل الكتب وتحصيلها .

ومحمد بن عبد الملك الزيات . وكان يقارب عطاؤه النقلة والنساخ فى كل شهر ألفى دينار ، ونقلت باسمه كتب عدة .

وكان أيضا ممن نقلت الكتب ، اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الاطباء ، مثل يوحنا بن ماسوية ، وجبرائيل بن وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ، وداورود بن سرابيون وسلوبه بن بنان ، واليسع وإسرائيل بن زكريا بن الطيفورى ، وحبيش بن الحسن .

الباب الخامس

أطباء القمة المسلمون

فى

العصر الزاهر

الفصل الأول

ماذا جدد أطباء القمة المسلمون فى العصر الإسلامى الزاهر وما أمتازوا به؟

أظهرت فى هذا العصر أطباء القمة .

وماذا عمل كل طبيب وكتبت ما قدموا للطب من جديد ، ولم يغمطوا فضل الإغريق عليهم ، بل كان الرازى أميناً فى نقله عنهم ، ولكنه زاد فى معرفة التشخيص ومعرفة الفرق بين الجدرى والحصبة .

وكتاب الحاوى يعتبر دائرة معارف طبية ، ولقد أخذه من مصادر مختلفة .

ويعتبر الرازى أنه جمع بين أثنين فى شخصه: جالينوس فى نظرياته ، وأفكار أبقراط فى بساطة تجاربه ، وكتاب الرازى التاسع يعتبر المرجع الأوربى لقرون ما بعد النهضة الأوربية .

أما ابن سينا فهو عنوان الفكر العربى الإسلامى ، ويقال : إنه أول من أثبت تحضير حمض الكبريتيك والكحول . ومن يقرأ سيرته يدهش كيف ألف كتبه الكثيرة التى يقال إنها نحو ١٠٠ كتاب فى قول ، و٢٧٦ كتاباً فى قول آخر ، وهو يتنقل فى أسفاره المتعددة من بلد إلى آخر .

ولقد حاول فى كتابه القانون أن يصوغ الطب فى عصره بطريقته ، ولم ينس الحقائق المعروفة عن جالينوس وأرسطوطاليس ، وفتح الأبواب لكثير من طرق المعرفة .

وقد وجد العلماء الذين أتوا بعده فى كتاب القانون للطب حسن التبويب

والدقة العلمية بالإضافة إلى خبرته وتجاربه ، وقد تناول فيه معظم علوم الطب كوظائف الأعضاء وعلم الأمراض ومعالجتها والصحة العامة وعلم الأدوية ، وطبع كتاب القانون إلى اللغة اللاتينيه واللغات الأوربية خمس عشرة مرة .

وكان الأساس لتعليم الطب الأوربى حتى القرن السابع عشر . وكان الأساس للطب العالمى الحديث كله ، ولقد وضعت الفلسفة ببساطة فى بحثى كى نلم بفلسفة ابن سينا لأنه كان يعتبر الفيلسوف الطبيب، ويعتبر كذلك ابن سينا مثلا يحتذى فى الطب والفلسفة والعلم والحكمة :

أما أبو القاسم الزهاوى :

فقد رسم ووصف الآلات الجراحية فى كتاب يعتبر المرجع الوحيد القديم للجراحة الحديثة وثلاث كتب :

الأول : عن الكى .

الثانى : شق المثانة — إزالة الحصوة — البتر من أجل الغرغرينا .

الثالث : عن الكسور والخلع .

وكان أول من تكلم من تشوه الفم وعن وضع الولادة المعروفة بأسم(ولشر)

أما ابن النفيس :

فهو العالم الذى أرتفع بالطب فى البلاد الإسلامية إلى القمة فهو الذى أكتشف الدورة الدموية التى كانت تنسب خطأ إلى « هارفى » الإنجليزى ، ومازالوا فى كتبهم حتى اليوم يصممون على ذلك ، ولقد نقلت عن جالينوس رأيه فى الحركة الدموية وهو يتلخص فيما يلى :

كان جالينوس يعتقد أن الكيلوس (وهو مستحلب الطعام المهضوم) يصل إلى الكبد عن طريق الوريد البابى ويحوله إلى دم وريدى ويشربه بالروح الطبيعية.

ويصل إلى الجانب الأيمن من القلب وحدد له جالينوس مصيرين مختلفين :

١ — الجزء الأكبر يبقى فى البطين الأيمن ليتخلص بما فيه من شوائب

يحملها الشريان الرئوى إلى الرئة حيث تخرج مع الزفير . ويعود إلى الجهاز الوريدى العام.

٢ — جزء صغير يمر بين البطين الأيمن والأيسر نقطة نقطة حيث يتلاقى بالنفس أو الهواء الذى تحمله القصبة الهوائية والشريان الشبيه بالوريدى وتتحول إلى روح الحياة التى توزعها الشرايين إلى الأعضاء ، ومنها الدماغ ويصبح الروح الحيوانية .

ولقد بينت خطأه فى الهامش .

وبينت أن الدكتور محيى الدين التطاوى استطاع وهو يتقدم لشهادة الدكتوراه فى ألمانيا أن يثبت أن ابن النفس هو الذى أكتشف الدورة الدموية قبل هارفى بمئات السنين ، ولم يصدقه الألمان ولجئوا إلى الدكتور مايرهوف طبيب العيون فى القاهرة ، وكان مستشرقا فأكد بعد بحث طويل صدق ما اكتشفه الدكتور التطاوى ، وبالرغم من ذلك يصر الأجانب على عدم نسبة الفضل إلينا ؛ ولذلك وجب علينا أن نثبت خطأهم ونستطيع أن نتصور الدورة الدموية كما كان يتصورها ابن النفيس مستندين فى ذلك إلى فقرات وردت فى شرح تشريح القانون .

فقد كان يرى أن الدم يأتى غليظاً من الكبد إلى التجويف الأيمن حيث يلطف ثم يمر فى الوريد الشريانى (الشريانى الرئوى) وهو وعاء ينقسم قسمين : قسم رقيق يصفى من مسام الشريان الرئوى وهو وعاء غير قابض يتحرك بحركة الرئة حركة معتدلة هى سبب غلظ جداره، ثم يصل إلى الرئة حيث ينقسم قسمين : قسم رقيق يصفى من مسام الشريان الرئوى وقسم غليظ يتبقى فى الرئة لتغذيتها . أما القسم الرقيق فإنه يختلط بالهواء القادم إلى الرئة عن طريق القصبة الهوائية ويدخل الشريان الوريدى (الوريد الرئوى) عبر جداره النحيف .

ثم يصل الدم الرقيق المخلوط بالهواء إلى التجويف الأيسر حيث تتكون الروح التى تخرج منه إلى الأورطة والشرايين والأنسجة .

أما غذاء القلب فيكون عن طريق أوعية خاصة تمر فى صميم عضلة القلب .

ولقد خالف ابن النفيس ابن سينا فى عدد تجاويف القلب وقال : (قوله فيه ثلاث بطون « هذا كلام لا يصح » فإن القلب له بطنان فقط ، والتشريح يكذب ذلك مما يدل على مباشرة ابن النفيس للتشريح بالرغم من تصريحه أنه لا يباشر التشريح حرصاً على عدم إثارة رجال الدين .

وخالف جالينوس فى وصفه الذى وصفه بالتطويل فى حياته الذى وصفه سلفاً .

وإذا كان الطب قد وصل إلى ذروته فى أول هذه الحقبة من تاريخ الطب العربى [١] .

وكانت المرحلة الثانية فى تطوره وهى مرحلة الأزدهار والأثمار تجلت فى أثنائها فإنى أود أن أضيف إليها مرحلة ثالثة امتلأت بالثورة الفكرية والتمرد على سيطرة الأقدمين ، وهذه مرحلة حتمية فى أى تطور يستحيل الوصول إلى النضج الكامل والأصالة الحقيقة دون المرور بها .

أنظر مثلا إلى عملاق الطب الرازى ، فقد عثر العالم المحقق الدكتور البيرزكى إسكندر على مخطوط (كتاب الشكوك على جالينوس) ، وهو كتاب سوف يهز عند نشره أسس تاريخ العلوم على حسب ما يقول مكتشفه يخالف فيه الرازى آراء جالينوس فى الإبصار وينقد كتابه فى البرهان الذى فقد فى الأصل اليونانى إلا أن هذا التحرر فى القيود التقليدية أبداه سافرا : فى هدوء وتهذيب ابن النفيس بطل قصتنا، وفى عنف عبد اللطيف البغدادى الذى قال حوالى سنة ٥٩٦ هجرية ١٢٠٠ ميلادية فى مؤلفه (الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) والحس أقوى دليلا فى السمع فإن جالينوس وإن كان فى الدرجة العليا من التحرى والتحفظ فيما يباشره ويحكيه — إن الحس أصدق منه : فمن ذلك عظم الفك الأسفل ؛ فإن الكل قد أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك ، وقولنا الكل إنما يعنى به هاهنا جالينوس وحده فإنه هو الذى يباشر التشريح بنفسه وجعله رأيه وصنف فيه عدة كتب معظمها لدينا ، والباقى لم يخرج إلى لسان العرب .

(١) ابن النفيس الدكتور بول غليونجى صفحة ٦٢

والذى شاهدناه من حال هذا العضو أنه عظم واحد وليس فيه مفصل أصلا ، واعتبرناه ماشاء الله من المرات فى أشخاص كثيرة على ألنى جمجمة بأصناف من الاعتبارات ، فلم نجده إلا عظما واحد من كل وجه ، ثم إننا استعنا بجماعة أعتبروه بحضرتنا وغيبتنا ، فلم يزيدوا على ماشاهدوه منه وحكيناه ، وكذلك فى أشياء أخرى غير هذه ووضعنا مقاله فى ذلك تحكى فيما شاهدنا وما علمناه من كتب جالينوس .

ثم إنى اعتبرت هذا العظم أيضا بمدافن بوصير القديمة القدم ذكرها. فوجدت على ماحكيت له لامفصل ولادرز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة إذا تقادم عليها الزمان أن تظهر وتتفرق ، وهذا الفك الأسفل لايوجد فى جميع أحواله إلا قطعة واحدة .

أما العجز مع العجب فقد ذكر جالينوس أنه مؤلف من ستة أعظم، ووجدته أنا عظماً واحداً ، واعتبرته بكل وجه فى الاعتبار، فوجدته عظما واحداً، ثم إنى اعتبرته فى جثة أخرى فوجدته ستة أعظم كما قال جالينوس ، وكذلك وجدته فى سائر الجثث على ماقال إلا فى جثتين فقط فإنى وجدته فيهما عظما واحـدا ، وهو فى الجميع موثق المفاصل ، ولست واثقا بذلك كما أنا واثق باتحاد عظم الفك الأسفل .

غير أن هذه المظاهر التى تنم على الشروع فى التحرير النهائى من طغيان الأقدمين الفكرى قد زالت تماماً بعد هذين العالمين الفذين .

وقد عاصر الفتور الفكرى الذى تبع هذه الحقبة مرحلة سوداء فى تاريخ العرب شن أعداؤهم فى خلالها هجمات عنيفة ضد الإمبراطورية العربية واحتلوا أجزاء كبيرة من أرضها وحولوا تجارتها إلى طرق أخرى .

إمتياز الأطباء المسلمين عن غيرهم :

١ — ومما أمتاز به العرب عن كل من سبقهم إنشاؤهم للبيمارستانات الـكثيرة، ومن أشهرها بيمارستان قلاون فى مصر والعضدى فى بغدادو بيمارستان الرى والشورى [١] وكانت هذه البيمارستانات منظمة جدا، وكانت العناية بالمرضى أمرا معروفا ، وقد تولى الرازى بيمارستان الرى فى أول عهده ، وكان فيه تلاميذه وتلاميذ تلاميذه ، وكان المريض إذا جاء البيمارستان عرض نفسه على تلاميذ التلاميذ فإن لم يستطيعوا علاجه عرضوا أمره على تلاميذه ، فإن لم يتبينوا علاجه عرضوه على الرازى ، وكانوا يـكتبون حـكايات المرضى ونوادرهم ويدونونها بدقة . وقد بقى لنا منها مايدل على العناية والعلم ،وبلغ من حسن معاملتهم للمرضى أن كان بعض الأصحاء يدعون المرضى ليستطيعوا الإقامة فى البيمارستان، وأعجب الأوربيون بهذا النظام فنقلوه إلى بلادهم، وأرسلوا البابا أبو سنت الثالث ولويس التاسع لدرس نظم هذه البيمارستانات وأنشئوا بيمارستانات عدة فى كثير من مدن أوربية على غرار المؤسسات العربية .

٢ — ومما امتاز به العرب المسلمون أيضاً دقتهم فيما نسميه الفن الإكلينيكى، فـكانت ملاحظتهم غاية فى الدقة وكانوا شديدى العناية بتاريخ المرض .

وكان أستاذ هذا الفن هو الرازى ، ويعده أكبر الأساتذة اليوم فى الصف الأول من أطباء العالم .

وننقل بعض مشاهداته حتى يتبين مقدار ما وصلت إليه دقة ملاحظته وما وصل إليه علمه .

قال : كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ومرة غبا ومرة ربعا ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات كثيرة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تـكون هذه الحميات تريد أن تنقلب ربعا،وإما أن يكون به خراج فى كلاه فلم يلبث إلا مدة حتى بال مدة أعلمته إنه لا تعاوده هذه الحميات،

---

(١) متنوعات الأستاذ البحاثة الدكتور محمد كامل حسين .

وكان كذلك . وإنما صرفني في أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خراجا في كلاه أنه يحم كان قبل ذلك حمى غب وحميات أخر ، فإن للظن بأن تلك الحمى المخلطة من احترافات تريد أن تصير ربما موضعاً أقوى ، ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام ، وأغفلت أنا أيضا أن أسأله عنه ، وقد كان كثرة البول يقوى ظني في خراج بالكلى إلا إني كنت لا أعلم أن أباه أيضا ضعيف المثانة ويعتريه هذا الداء ، وهو أيضا كان تعتريه في صحته وينبغي ألا ننقل بعد ذلك غاية النقص إن شاء الله ولما بال المدة أكببت عليه بما يدر البول حتى صفى البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر والدم وتخلص من علته وبرأ برءاً تاما سريعا في نحو من شهرين . وكان الخراج صغيرا ، ودلني على ذلك أنه لم يشك لي ابتداء ثقلا في قطنه ، لكن بعد أن بال مدة قلت له هل كنت تجد ذلك ؟ قال: نعم، فلقد كان كبيرا . لقد كان يشكو ذلك وأن المدة (الصديد) تبينت سريعا ويدل ذلك على صغر الخراج ، فأما غيري من الأطباء وكانوا بعد أن بال مدة أيضا لا يعلمون حالته البتة .

ويعتبر الرازي بهذه الفقرة وهذا التحليل والوصف الدقيق من أكبر أطباء العالم الإكلينيكيين .

فهو قد وصف أعراض المرض وصفاً دقيقاً ، إذ وصف الحمى وكيف تأتى ؟ ووصف أنه كان يتبول كثيراً ، ثم شخص المرض بأنه يقع بين اثنين : حمى عادية أو خراج بالكلى ، وقدم لنفسه العذر بأنه لم يشخص المرض من أول الأمر للأسباب التي قدمها ، وأن المريض لم يشك إليه أن قطنه شبه مثقل ، ولام نفسه أنه لم يسأل المريض هذا السؤال في حالة أبيه ، وذلك في عرف التاريخ الطبي اليوم تاريخ العائلة .

وافتخر في النهاية كعادة كبار الأطباء دائما وهي شعورهم بتفوقهم ، وأن غيرهم لم يكن ليبلغ مبلغا يستطيع فيه حتى أن يحتذى خطاهم .

وهذا مع الأسف غروراً زائد وثقة شديدة بالنفس تردى صاحبها موارد الخطـــأ .

وأذكر بهذه المناسبة أنى كنت طبيب امتياز صغير فى مستشفى الإسكندرية الأميرى ، وكنت حريصا على متابعة مرضاى ، وعلى الدقة فى التشخيص ما أمكن .

وأتى لى من منطقة بحرى فى الإسكندرية شاب مغمى عليه أتى به الإسعاف من قهوة بلدية ، فكشفت عليه ووجدت به ضيقا فى حدقة العين وبطئا فى النبض ، وقمت بعمل غسيل معده وأعطيته ما يلزم من علاج ، وشخصت المرض بأنه تسمم بالأفيون ، ولكن يظهر أن الكمية التى أخذها كانت كبيرة جداً ، فمات المريض إلى رحمة الله بعد أن كشف عليه الأستاذ الكبير ورئيس القسم ، وسخر من تشخيص وغير علاجى ، وكانت النتيجة أن توفى المريض ، وذهب إلى الشرحة ليرينا الأستاذ مقدار جهلى ، وقامت المعامل بتحليل الدم وغسيل المعدة والبول ، وكانت النتيجة « تسمما بالأفيون » .

لقد كان ألمى عنيفا حين سخر منى رئيس القسم ، ولكنى حفظت المسألة حتى ظهرت نتيجة التحليل ، وكانت تسمما بالأفيون ، ولقد حرصت أن أحضر نتيجة التحليل للاستاذ فى أثناء سخريته بطبيب آخر وتشرح جسد آخر وقلت له : يا أستاذى العزيز ، إن تحليل المعدة كان تسمما بالأفيون ! وهنا امتقع لون الأستاذ . وأبطلت سخريته حتى انتقلت من المستشفى بل وأبطلت تشريحه للأموات .

ولقد أدرك المؤلفون العرب الفروق بين أمراض كثيرة متشابهة لم يكن القدماء على علم بها .

فأدرك الرازى الفرق بين الجدرى والحصبة .

وصف الأطباء لمرض ذات الجنب وذات الرئة يدل على فهم جيد للأعراض ودلالتها .

ولاشك أن نظرياتهم الطبية القديمة المبنية على العلم اليونانى والقائمة على الأخلاط والأمزجة تجعل الجزء الإكلينيكى من علمهم أصعب فهماً وأقل قيمة، وتذهب تفسيراتهم الخاطئة بكثير من رونق الحقائق والمشاهدات الطبية الدقيقة التى عرفوها .

ثالثاً : لقد امتاز الأطباء العرب بعلمهم بالعقاقير ، وظلت كتبهم فى الأقرباذين مرجعاً يعتمد عليه الأوربيون حتى القرن الثامن عشر وخير مثال على ذلك هو كتاب المفردات لابن البيطار الذى طبع فى ١٧٢٨ .

رابعاً : ظهور ابن سينا كعنوان للتقدير العلمى العربى ووصوله إلى غاية ما وصل إليه العقل الإسلامى فى أبواب الفلسفة والطب .

وكتاب القانون فى الطب لابن سينا قدمه الأطباء فى المشرق والمغرب عدة قرون ، بل عنه أخذ الطب الحديث ، وترى فيه دورا من أدوار التفكير العلمى فى أحسن صورة وأدلها عليه ، وكتاب القانون يمتاز بالوضوح والتنظيم .

ولقد قرأت فى كتاب تاريخ الطب[1] لمؤلفه أرتورو كاستليونى الذى ألفه باللغة الإيطالية وترجمه من الإيطالية إلى الإنجليزية كرمنهار ، وطبع فى مطبعة الفريد كنوب سنة ١٩٤٧ فى نيويورك .

أن عصر الانحدار للطب الإسلامى يبدأ من القرن الثانى عشر إلى القرن السابع عشر ؛ إذ جاء فيه مايلى :

بالرغم من وجود أسماء مشهورة فى هذه المدة فإنها كانت مسايرة لانحدار الخلافة التى كانت مهددة من الداخل بالأسر العربية وفى الخارج بالصليبية ، وانتهى ذلك كله بهدم الخلافة ، ولقد أخذ الأتراك كثيراً من البلدان التى كان يحكمها العرب فى الشرق .

وابتدأت مدرسة بغداد فى الانحدار فى القرن الثانى عشر ، وتحرك الأساتذة

---

(١) تاريخ الطب تأليف أرتورو وكاستليونى طبعة نيويورك سنة ١٩٤٧

فى الطب إلى دمشق حيث وجد نور الدين بن زنكى والى القاهرة حيث يوجد صلاح الدين الأيوبى الذى كان يقاوم الأعداء بصلابة .

وهذان الحاكمان أقاما مستشفيات عظيمة وعملا جهدهما لتقدم الطب .

وفى الأندلس ظهر فى القرن الثانى عشر بالرغم من انتشار الحروب ... محمد الإدريسى الذى فر من الأندلس إلى ملك صقلية حيث ألف كتاب الجغرافيا ، وكتاب العقاقير ،

ويعتبر هو والكندى من أكبر الكتاب العلماء العلميين من دم عربى .

وظهر أعظم طبيبين فى الأندلس وهما ابن زهران وابن رشد .

أما ابن زهر (١١١٣ — ١١٦٢)م

فقد عارض فلسفة ابن سينا ، وعارض نظراته الجدلية فى الطب ، وتجرأ على معارضة جالينوس،وكان يهتم بالتجربة ، واعتبر جراحته فى المقام الأول من طبه وكان يعتبر نفسه أكبر من أن يحضر دواء .

وهو الذى فصل الجراحة عن الطب الباطنى .

أما الوليد محمد بن رشد (١١٢٨ — ١١٩٨)م والذى ولد فى قرطبة وكان فيلسوفا أكبر منه طبيبا .

ويعتبر كتابه أمير الفلاسفة من أحسن كتبه وألف كتاباً أسماه دانتى (شرح أرسطاليس) ، وكان يعتبر مرجعاً فى القرون الوسطى .

أما كتابه فى الطب فهو كتاب الكليات .

أبو عمران موسى بن ميمون (١١٣٥ — ١٢٠٤)م اليهودى ، وكان مهتماً بالفلسفة والتلمود أكبر منه بالطب .

وكتب عن حكم أبقراط Hphocrto ophmsur وعن التغذية .

عبد اللطيف البغدادى ظهر فى قرطبة وبغداد والقاهرة .

محمد الغافقى . طبيب عيون فى قرطبة .

أحمد القيس (القرن الثالث عشر فى عهد السلطان الصالح)

استمر الطب فى مصر وسورية منتعشاً فى القرن الرابع عشر وظهر مؤدب الدين الدخوار كطبيب إكلينيكى ممتاز .

وترك منزله ومكتبته وماله لبناء مستشفى .

وكان أهم تلاميذه علاء الدين بن النفيس القرشى ١٢٨٨ م الذى انتقل من دمشق إلى القاهرة .

وكتب كتبا عن القانون وأبقراط .

وأصبحت كتبه مرجعاً فى فارس والهند ,

وعارض ابن سينا وجالينوس فى أن الحجاب بين البطينين لا يعبر الدم قبل سرفيوس بمقدار ٣٠٠ عام .

وملاحظاته هذه تعتبر مما رآه فى الحيوان لا الإنسان ، وهذا ما ذكره الدكتور مايرهوف .

وظهر ابن البيطار (١١٩٧ — ١٢٤٨)م وألف كتابه عن الأدوية ، ويعتبر أول نباتى بعد ديسقوريدس كما يعتبر مرجعاً فى المادة الطبية ، وزاد كثيرا من المواد الطبية عن جالينوس وديسقوريدس فى ملاحظاته وتجاربه .

وفى تاريخ الطب العربى ظهر كتاب قيم ترجم جزء منه إلى الفرنسية والألمانية، ومؤلف هذا الكتاب هو ابن أبى أصيبعة الدمشقى (١٠٢٣ — ١٢٧٠ م) ، وهو

طبيب مثقف غاية الثقافة ، وعاش فى بلاط صرقهد فى دمشق بعد أن أتم دراسته فى دمشق والقاهرة ، ويحتوى هذا الكتاب على أكثر من ٤٠٠ ترجمة للأطباء ، وهو على الأرجح أهم مصدر للتاريخ الإسلامى الطبى ، ونقل عنه وستنفلد ولكلسبر بتوسع بل كان المصدر الوحيد لعدد كبير من المستشرقين .

التعليق على ذلك :

إنى لا أرى رأى الأطباء الأجانب والمستشرقين من اعتبار أن الطب الإسلامى قد انحدر من القرن الثانى عشر للأسباب الآتية :

١ — لقد انحدرت الخلافة الإسلامية فى بغداد فى نهاية القرن الحادى عشر وأصبحت إسمية وليس للخلفاء يد فى الحكم ، ولكن انتقلت القوة الحقيقية إلى مختلف الأقطار فى الشام وفى مصر وفى الأندلس ، واستمرت الحضارة مزدهرة حتى القرن الرابع عشر ، فكيف يمكن أن نعتبر عصر صلاح الدين الأيوبى الذى مات فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ، أى فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى تقريباً والذى قام ببناء مستشفى فى القدس وكلية بها بعد أن فتحها وأخذها من يد الصليبيين ، ووضعها تحت إشرافه الخاص ، وهو الذى كان يحيط نفسه بالعلماء من كل تخصص ، ويستمع إليهم بسرور ، ويدخل فى مناقشات معهم — كيف يمكن اعتبار هذا العصر الذهبى للاسلام عصر انحدار ؟. إن الأجانب عامة والمستشرقين خاصة يعتبرون عصور ازدهارنا عصور انحدارنا مع أن الحقيقة غير ذلك .

٢ — لم يبدأ عصر الانحدار فى بغداد إلا حين أتى المغول المتوحشون وقضوا على بغداد وأهلها وحضارتها ومكتبتها .

٣ — ولقد ظهر فى القرن الثالث عشر علاء الدين بن نفيس القرشى وأبحاثه

عن الدورة الدموية مشهورة اعترف بها كتاب الإفرنج أخيراً ، ولـكنهم لم يرجعوا اكتشاف علاء الدين بن النفيس فى الدورة الدموية إلى مكتشفه الأصلى الدكتور محي الدين التطاوى المصرى، بل أرجعوه إلى الدكتور مايرهوف المستشرق الألمانى ، وسأبين ذلك بالتفصيل فى تاريخ حياة ابن نفيس .

ولذلك يمكننى أن أحدد عصر الانحدار الطبي الإسلامى بالقرن الرابع عشر الميلادى .

الفصل الثاني

حالة الطب فى أوربة فى عصر الإسلام الزاهر

ودخول الطب الإسلامى إلى الغرب

سأنقل هنا حالة الطب فى أوربة فى ذلك الوقت وحالة الطب عند المسلمين ، وسيدرك القارىء مدى البون الشاسع بين الاثنين .

لقد روى أسامة ابن منقذ فى كتابه الاعتبار حينما قامت الحرب الصليبية بين المسيحين والمسلمين قال : ومن عجيب طبهم يعنى الصليبيين أن صاحب القنطرة كتب إلى عمى يطلب منه إنقاذ طبيب يداوى مرضى من أصحابها ، فأرسل إليه نصرانيا يقال له ثابت ، فما غاب عشرة أيام حتى عاد، فقلنا له : ما أسرع ماداويت المرضى ! فقال : أحضروا عندى فارسا قد طلعت فى رجله دملة وامرأة قد لحقها نشاف فعملت للفارس لبخة ، ففتحت الدملة ، وصلحت وصحيت المرأة ورطبت مزاجها .

فجاءهم طبيب إفرنجى فقال لهم : هذا مايعرف شيئا يداويهم ،وقال للفاوس : أيهما أحب إليك تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟قال: أعيش برجل واحدة. قال: أحضروا لى فارسا قويا وفأسا قاطعا ، فأحضر الفارس والفأس وأنا حاضر ، فحط ساقه على قرمة خشب ، وقال للفارس : أضرب رجله بالفأس ضربة واحدة أقطعها ، فضربه ، وأنا أراه ضربةواحدة ما انقطعت ، ضربة ضربة ثانية ، فسال مخ الساق مات من ساعته .

وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة فى وسطها شيطان قد عشقها، أحلقوا شعرها ،

فحلقوه ، وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل ، فزاد بها النشاف فقال : الشيطان قد دخل فى رأسها ، فأخذ المسدس وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس ، وحكه بالملح ، فماتت فى وقتها فقلت له : هل بقى لكم إلى حاجة ؟ قالوا لا : فجئت وقد تعلمت من طبهم مالم أكن أعرفه .

أردت فقط أن أقارن بين ما كان فى الطب العربى من علاج الحالتين وهو يكاد يطابق تماما أو يطابق تماما العلاج اليوم : الحالة الأولى هى حالة دمل ، أى حالة التهاب ليس لها من علاج إلا التلبيخ ببذرة كتان حتى يستوى الخراج فيفتح أو يفتح من تلقاء نفسه . وهذا ماحدث، ولكن الصليبيين أخذوا بعلاج ليس له صلة بالطب ، هو البتر من أجل دمل ، وأما الأخرى فهى حالة النشاف نتيجة مرض باطنى ، وقد عالجها الطبيب العربى بالابتعاد عن الأكل أى الحمية ، وبإعطائها مواد مرطبة ، وكانت قد تحسنت قطعا ، ولكن الطبيب الصليبي عالجها بالجراحة حتى توفيت .

الطرق التي تسرب منها الطب العربي الإسلامي إلى الغرب

أما الطرق التي سلكتها العلوم العربية فى تسللها إلى إيطاليا أو إلى سرفنتوس فإنها كانت كثيرة واسعة مطروقة . إحداها طريق جزيرة صقلية ومدرسة سالرنو فى جنوبى إيطاليا .

وكان الطب فى الغرب فى خلال القرون الوسطى محصورا فى الأديرة ومطبوعا بالصلابة التى تجمد فيها التفكير الدينى فى ذلك الوقت وبالمدرسية التى سادت الحقول التعليمية وبخاصة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية تحت ضربات القبائل الشمالية التى هدمت الحضارة الإغريقية الرومانية التى كانت أوربا تمتاز بها ، ولم تترك لها أثرا قائما .

ودامت حال الطب على هذا حتى حرم مجمع أساقفة كليرمونت فى ١١٣٠ ميلادية ثم لطران فى ١١٣٩ ، ومؤرخو ١١٦٣ م على القساوسة مزاولة الطب ، فأصبحت هذه المهنة حرفة علمانية ، وقد قارن هذا التغيير ظهور أول جامعات على وجه التقريب ، فانحدر الطب إلى اتجاهات جديدة رسمها إلى حد كبير ما اكتسبه من الشرق .

وقد أنشئت مدرسة طب فى مدينة سالرنو قبل ٨٤٦ ميلادية وذاع صيت أطبائها ، واستمرت شهرتها إلى القرن الثانى عشر .

ولقد ظل طب سالرنو إغريقيا لاتينياً حتى القرن الحادى عشر ، وتبلور فى مؤلف نظام الصحة .

أما طب العرب وعلمهم فكان تفوقه محسوسا منذ القرن العاشر فى صقلية

ابن النفيس ــ الدكتور بول غليونجى ١٤٨ .

جنوب سالرنو حيث عنى الملوك النورمانديون أمثال فردريك الثانى بتشجيع علماء العرب ، كما عنوا بالحث على ترجمة مؤلفاتهم ، ولكنه اقتحم سالرنو فى القرن الثانى عشر ، فحتى فيها دما جديدا ، وأنعشها بحياة ثانية، وأول المسئولين عن هذا التجديد طبيب مسيحى من قرطاجنةسمى قسطنطين الإفريقى (١٠١٥— ١٠٨٧ م) ألم إلماما تاما بلغات الشرق وطاف بمصر وسورية والعراق والهند والحبشة ، وأحاط فيها بعلومها ، ثم اتهم بمزاولة السحر فهرب إلى سالرنو حيث إتخذ سريعا محلا مرموقا بين الأساتذة والدارسين على السواء ، وأصبح أمين دوق أبوليا ، وانتهى بالرهبنة فى دير جبل كاسينو .

ويعد قسطنطين بحق رائد الطب العربى فى أوربة،فقد ترجم أبقراط وجاليوس والمجوس وغيرهم ، وكثيرا ما ترجم دون تمييز ، وقد يؤخذ عليه أنه انتحل الفضل فى وضع كتبه دون حق ، إذ أنه لم يذكر مصادره ونسبها لنفسه ، ومهما يكن من أمر فقد كان لمؤلفاته — وإن كان ينقصها أى ابتكار —وقع كبير ونفوذ دام فترة من الزمن .

وقد رعى الحكام هذه المدرسة بعنايتهم ، وأدخل فيها تشريح الجثث أول مرة ، وسنت القوانين لتنظيم هذه العملية ، وانتشر شعاع سالرنو لا بمؤلفات علمائها فحسب ، وإنما بفضل تلاميذها الذين نقلوا منها العلم إلى سائر الجامعات أيضا ، فقد غادرها جمع منهم حوالى ١١٦٠ ميلادية ، وذهبوا إلى جنوبى فرنسا وبخاصة إلى مونبليه التى تعد وريثة سالرنو والتى ظلت فيها تعاليم أبقراط وتقاليد التحرر من سلطة الأساقفة وعدم التقيد بالنظم المدرسية ، ومن هؤلاء العلماء بيير جيل دى كوربى الذى نقل تعاليمها إلى مونبليه ثم إلى باريس حيث أصبح طبيبا خاصا للملك فيليب أوجنيت ، واستحق رسول سالرنو عبر الإلب ، إلا أن مدرسة سالرنو اضمحلت بعد سنة ١٤٠٠ ميلادية، واستمرت على شكل مجرد اسم حتى حلها نابليون سنه ١٨١١ ميلادية ، وقد أشار البعض أخيرا إلى سير الطب السالرنى والطب العربى متوازيين فى العلو والانخفاض،وإلى انحلال مدرسة

سالرنو عندما بدأ سير العلوم فى البلاد العربية يتوقف ، الأمر الذى يدل على ارتكاز الأول على الثانى .

ومدرسة سالرنو وإن كانت لم تبتكر جديدا فأن لها فضل عظيم على الطب .

أولا : لكونها القنطرة التى أوصلت الشرق بالغرب

وثانيا : لبعضها طب مستقل عن القيود اللاهوتية أو العنصرية أو الفلسفية غير مبال إلا بالخبرة السريرية ظهر أثره فى طب مونيليه فى جنوبى فرنسا وبالبرمو وبولونيا وبادوا فى إيطاليا .

وقد عاصر ذروة مجدها ظاهرتان متناقضان . أولاهما ظهور أولى الجامعات فى أوربا والأخرى وبناء قواعد التفكير المجرد على أسس لاهوتية كان لها أخطاء النفوذ حتى آخر القرون الوسطى ، وقد تحارب الاتجاهان ، وتخبطت أوربا بينهما ، وحلت كل جامعة المشاكل التى نتجت عن هذا التعثر بطريقتها الخاصة. فمثلا ساد التزمت فى باريس ، وتحررت مونيليه وبادوا ، ولا غرو فإن هذا التحرر هو الذى سمح لبادوا بالسيطرة على الطب فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

والطريق الثانية التى سلكتها العلوم العربية إلى أوربا هى الأندلس وإسبانيا حيث نشأ سرقنوس ، ومن المعروف أن المترجمين من العربية إلى اللاتينية نشطوا فى قرطبة وبخاصة فى طليطله حيث قامت دور الترجمة بنشاط محمود فى نقل كتب العرب : إما مباشرة أو عن طريق مؤلفات مدرسة سالرنو .

والطريق الثالثة هى الطريق المباشرة التى طرقها الباجو عندما كرس عدة سنين من حياته لترجمة الأصول العربية، وقد تمثلت أيضا فى اقتناء أغنياء النهضة الإيطالية المخطوطات الشرقية . والطرق الرئيسية لوصول العلم العربى إلى أوربا هى كالآتى : —

من الإسكندرية والقاهرة إلى العراق والشام والقسطنطينية .

ومن القاهرة إلى سالرنو بصقلية ، ومنها إلى بولونيا وبادوا بالبندقية من الشام والقسطنطينية عن طريق الحروب الصليبية إلى البندقية (بادوا) وإلى بولونيا وسالرنو .

من إفريقية (قسطنطين) إلى سالرنو ومنها إلى بولونيا وإلى بادو .

ومن قرطبة وطليطلة (سرفنو) إلى إيطاليا (سالرنو ـ بادوا بولونيا)
وكانت هناك علاقات بين ابن النفيس (والباجو)
ومن الأخير إلى علماء الغرب .

الفصل الثالث

ابو بكر محمد بن زكريا الرازى

مولده ومنشؤه بالرى (مدينة قديمة جنوب شرق طهران) ، وسافر إلى بغداد وأقام بها مدة وكان قدومه إلى بغداد وعمره ثلاثون سنة ونيف .

وكان من صغره مشتهياً للعلوم الطبية مشتغلا بها وبعلم الأدب .

ويقول الشعر ، وأما صناعة الطب فقد تعلمها وهو كبير ، وكان المعلم له فى ذلك على بن ربن الطبرى .

قال أبو سعيد أنه راهن العلماء فى كتابه عن البيمارستانات.

سبب تعلم أبو بكر محمد بن زكريا الرازى صناعة الطب أنه عند دخوله مدينة السلام ببغداد دخل إلى البيمارستان العضدى ، فاتفق له أن ظفر ، بشيخ صيدلانى وسأله فى الأدب .

ومضى مرة أخرى ووجد صبياً بوجهين ورأس واحد ، فأعجبه ماسمع ولم يزل يسأل عن شىء ويجاب عنه حتى تعلق قلبه بصناعة الطب ، وأصبح جالينوس العرب .

واختاره عضد الدولة ليكون رئيس الأطباء فى بغداد .

وكان الرازى ذكياً فطناً رءوفاً بالمرضى مجتهداً فى علاجهم وفى برئهم مواظباً للنظر فى غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها وأسرارها ، وكذلك فى غيرها من العلوم بحيث إنه لم يكن له دأب ولا عناية فى جل أوقاته إلا فى الإجتهاد والتطلع فيما قد دونه الأفاضل من العلماء فى كتبهم .

(١) الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (تحقيق الدكتور محمد نزار رضا)

في كتابه في سر الطب:

قال القاضي أبو علي المحسن بن علي أبي الجهم التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة : حدثني محمد بن علي الخلال البصري .

فلما حدثني أهل الطب الثقاة أن غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينفث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه ، فاستدعى أبا بكر الرازي الطبيب المشهور إلى الخدمة صاحب الكتب المصنفة ، فأراه ما ينفثه ، ووصف ما يجد ، واستوصف حاله منذ بدا ذلك به ؛ فلم يقم له دليل على سل ولا قرحة ، ولم يعرف العلة ، فاستنظر الرجل ليفكر في الأمر ، فقامت على العليل القيامة ، وفكر الرازي وعاد إليه ، فسأله عن المياه التي شربها في طريقه ، فأخبره أنه قد شرب من مستنقعات وصهاريج ، فقام في نفس أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتطبب الرأي بحدة الخاطر وحدة الذكاء أن علته كانت في الماء ، فحصلت في معدته وأن ذلك النفث للدم من فعلها ؛ فقال له : إذا كان في غد جئتك فعالجتك ، ولم أنصرف أو تبرأ ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم ، فقال : نعم ؛ وانصرف الرازي ، فتقدم فجمع له كمية كبيرة جداً من طحلب أخضر ، وقال له : أبلع هذه الكمية ، فبلع الرجل ، ثم وقف فقال له : ابلع ، فقال : لا أستطيع ؛ فقال للغلمان : خذوه فأنيموه على قفاه ، ففعلوا به ذلك ، وطرحوه على قفاه ، وفتحوا فاه ، وأقبل الرازي بدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ، ويطالبه ببلعه شاء أم أبى ويتهدده بالضرب إلى أن بلع كارهاً أحد المركبين بأسره ، والرجل يستغيث ، فلا ينفعه مع الرازي شيء إلى أن قال : الساعة أقذف ، فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذرعه القيء فقذف ، وتأمل الرازي قذفه فإذا فيه علقة ، وإذا هي لما وصل إليها الطحلب ، فرمت إليه

---

(١) وله كتب عدة منها : الاثنا عشر كتاباً في الطبيعة كتاب السير الحكماء ومقال الجدري والحصبة (١٤ باباً) .

بالطبع ، وتركت موضعها ، وإلتصقت على الطحلب ، فلما قذف الرجل خرجت مع الطحلب ونهض الرجل معافى .

من كلام أبى بكر الرازى قال :

الحقيقة فى الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تضمنه الـكتب دون أعمال الماهر الحـكيم برأيه خطر .

وقال : ينبغى للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ، ويرجيه بها وإن كان غير واثق بذلك فخراج الجسم تابع لأخلاق النفس .

وقال : من يتطيب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع فى خطـأ كل واحد منهم .

وقال : إن استطاع الحـكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة .

ومقال فى الحصبة والـكلى والمثانة .

وكتاب الأدوية الموجودة بكل مكان .

كتاب الطب السلوكى فى العلل وعلاج الأمراض كلها بالأغذية .

كتاب فى القوة ، وكتاب فى هيئة العين وهيئة الـكبد وهيئة القلب .

كتاب الذخر فى الطب .

كتاب الجامع ويسمى خاطر صناعة الطب .

كتاب الحاوى .

كتاب المنصورى فى التشريح .

كتاب فى الأمراض .

كتاب من لايحضره الطبيب ، ويعرف بطب الفقراء .

كتاب محنة الطبيب .

لقد ألف الرازى نحو ٢٢٠ كتاباً ضاع منها الكثير ، وبقى القليل ، ولقد امتازت كتبه بما تجمعه من علوم الإغريق والهنود إلى جانب منهاجه الخاص كما تميزت كتاباته بالأمانة فى النقل . وله كتب فى الكيمياء ، وفى كتابه الأسرار شرح منهاجه فى التجارب.

ووصف الرازى الأجهزة العلمية المعروفة فى وقته.

واهتم بأثر النواحى النفسية فى العلاج وبين أن للنفس الشأن الأول فيما بينها وبين البدن من صلة .

تحليل الصفات العلمية للرازى

إذا أرنا أن نجمل الصفات العلمية للرازى إجمالا يبين مزاياه وضعفه ـ لم نجد خيراً من وصفه بأنه كان أستاذاً ، وكان طبيباً ممارساً ناجحاً، وفى هاتين الناحيتين تتلخص حياته العملية .

كان أستاذاً ، فكان عليه ألا يخرج خروجاً صارخاً على أسس العلوم الطبيبة كما عرفها أهل زمانه ومن سبقهم ، وأساتذة الطب لايرون من واجباتهم أن يثوروا على النظريات الطبية القائمة ، ولا أن يقدموا للناس نظريات جديدة حتى يصقلها الزمن ويتبين خطؤها أو صوابها .

وكان الرازى كغيره من الأطباء العرب يؤمن إيماناً راسخاً بالطب اليونانى، فهو قائم على منطق لا يقبل الجدل ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يعترض على بعض آرائهم ، يفندها تفنيداً قد يكون أحياناً قاسياً عنيفاً .

وكان عليه ـ من حيث هو أستاذ ـ أن يشرح ويفسر مافى الكتب ، وأن يجعلها أقرب إلى الطلاب وأيسر فهماً ، كما كان عليه أن يبين لطلابه كيف يتقنون هذه الصناعة،وأن يبين رأيه فى محنة الأطباء (امتحانهم) ، وأن يهديهم إلى ما يعنيهم فى ممارستهم العلاج .

على أن خير ما فى تأليف الرازى وموضع فخره هو من غير شك مشاهداته الإكلينكية وحسن إدراكه للدلالات ، وصواب حكمه ، ولا نزاع فى أن ذلك لم يكن كله من ابتكاره ، فكثير من علمه فى هذا الباب يرجع إلى سابقيه وعندى

---

(١) الجمعية المصرية لتاريخ العلوم (العدد الرابع)
طب الرازى (الدكتور محمد كامل حسين) . جزء من بحث دقيق طويل قام به أستاذنا الجليل والعالم الكبير الدكتور محمد كامل حسين .

أنه ليس لنا أن نسأل الطبيب المعالج حين يصدق علاجه فى مرض خطير من أين أتى بنصيحته . أيونانيه هى أم مبتكرة ؟ إنما الذى يعنينا أن يكون علاجه صواباً وعلمه بالمرض دقيقاً .

ولنبدأ بما قال فى المعرفة ، وهى عنده أمر عظيم جداً .

فهو يقول :

« أول ما يحتاج أن يعرف . هل يموت العليل؟ أو هل يسلم ؟ فإن سلم فبحران ، تام أو بتحليل . . . وينبغى أن نضع أولا علامات النضج ، لأنه يحتاج إليها فى تعرف السلامة والهلاك ، ثم علامات القوة والضعف ، ثم علامات البحران والتحليل[1] .

وهو يرجع فى تقدير ما تئول إليه حال المريض إلى الدلائل فيقول . « أما جودة الدلائل فلا تثق بها إلا بالنظر فى المنتهى . وأما الردية فلا نحكم فيها حكم ثقة إلا مع إسقاط القوة . واجعل هذا أصلا وعماداً[2] . وعنده أن إسقاط القوة جداً أعظم الدلائل الردية . ويقول فى موضع آخر . واجمع العلامات الجيدة بمراتب قواها وفى ورقة . وارقبها دواماً . فأما دلائل الهلاك فإنها متى ظهرت منذ أول الأمر كانت أشر ، وليس بمنكر أن تظهر بعد الانحطاط[3] .

ويعجبنى قوله . اجمع العلامات بمراتب قواها ، وهو سر من أسرار الصناعة نسميه اليوم « هيرازشيه العلامات » . ويعجبنى رأيه أن العلامات تختلف فى دلالتها على قدر وقت حدوثها من تاريخ المرض .

وعندى أن إذا كان تشخيص الأمراض قضية فلسفية يعرف بها وجه الحق

---

(١) رسالة الرازى حـ ٢ ، ص ٤٤ . من مخطوط مارش ١٥٦ (بودليانا) ورق ٣٤١ وجه (٢) المشرق ٥٦ ، ص ٢١د

(٣) رسالة فى الرازى حـ ٢ ص ٦٤ — ٦٥ من مخطوط (بودليانا) ورق ٢٠ وجه.

عند تشابه الدلالات ـ فإن تقدمة المعرفة قضية حسابية يقاس فيها ما يكون فى جانب الشفاء بما يكون فى جانب الهلاك ، وتدل نتيجة هذه العملية الحسابية على ما ستئول إليه حال المريض .

وكثير من قوله فى تقدمة المعرفة مأخوذ من مؤلفات الفاضلين . ولكنى أرى أن قوله . « القوة للعليل » » كالزاد للمسافر ، والمرض كالطريق » ـ يصح أن يكون رأيه هو ، فطابع العربية فى التشبيه واضح .

على أن تفوق الرازى يظهر جلياً فى التشخيص ، وخاصة فى ما يسمى التشخيص المقارن ، وهو نوعان ، والرازى متفوق فى كلا النوعين .

النوع الأول أن يتناول علامة من العلامات المرضية ، ثم يبحث فى أسبابها وكيفية التفريق بين الأسباب المختلفة . وسنذكر مثـــالا على ذلك قوله فى احتباس البول .

والنوع الآخر . أن يتناول أمراضاً متشابهة ، ويقـارن بين علامات كل منها مقارنة توضح ما يجب الأخذ به عند التشخيص

وسنأخذ لذلك مثالا من قوله فى التفريق بين القولنج وحصاة الكلى وإيلاوس .

وهو يقول فى احتباس البول وتقسيمه تقسيما تاماً :

« البول يحتبس » إما لأن الكلى لا تجذبه ، وعلامته أن يكون البول محتبساً وليس فى الظهر وجع ثقيل ، ولا فى الخاصرة والحالب ، ولا المثانة متكورة

ولا فى عنق المثانة ضرب من ضروب السدة على ما تستبين . وأن يكون على ذلك البطن لينا ، وقد حدث فى البدن ترهل واستسقاء وكثرة عرق .

وأما الذى يكون من الـكلى ، فيكون محتبساً بها وفيها المرض . وذلك إما لورم ، أو حجر ، أو علق دم ، أو مدة . ويعمه كله أن يكون الوجع فى القطن مع فراغ المثانة .

إلا أنه إن كان حصاة ظهرت دلائل الحصا قبل ذلك .

وإن كان ورماً حاراً كان مع الوجع شىء من ضربان .

وإن كانت أوجاع الـكلى فإنما هى ثقل فقط .

وإن كان ورماً صلباً لم يحتبس البول .

وإن كان احتباسه من أجل مجارى البول من الـكلى فتكون المثانة فارغة والوجع فى الحالب حيث هذا المجرى . مع نخس ووخز ، فإن وجع المجرى ناخس لا ثقيل ، وعند ذلك استعمل سائر الدلائل فى الـكلى .

وإن كان من قبل المثانة فإما أن يكون لضعفها عن دفع البول ، فعند ذلك فاغمز عليه ، فإنه يدر البول والمثانة المتكورة فإن لم يدر فالآفة فى رقبة المثانة . وحينئذ استعمل الدلائل المذكورة .

وإن كان الورم حار فى هذه المواضع تبع ورم المثانة حمى موصوفة، وورم الـكلى حمى موصوفة .

وقد ينضم مجرى رقبة المثانة من انضمام يقع له ، ويكون للبرد واليبس ومن ثؤلول يخرج فيه ، ويكون قليلا قليلا . وقد تفسد هذه المجارى بخلط غليظ . وعلامة ذلك التدبير الغليظ[١] .

---

(١) المشرق ٥٦ . ٢٤٦ ـ ٢٤٧

ولا أدعى للرازى أن هذا التقسيم من مبتكراته ، ولـكنه يقول فى أوله ، إنه له وليس لنا أن ننكر عليه ذلك ، وإن يكن كثير مما فيه مذكوراً فى مؤلفات سابقيه ، والحقائق المرضية لا تتغير ، ولـكن العرض جيل والتقسيم واف ، وأهم ما فيه أنه تقسيم يفيد الطبيب المارس ، وليس فيه إلا القليـــل من ذكر الأخلاط والأمزجة .

والرازى حين يخلو إلى المشاهدات الصرفة يكون فى أحسن حال وأوضح بيان ، فإذا عرضت له ضرورة التفسيرات النظرية غمض قوله علينا ، ونجد فيه اضطراباً لا نجده فى المشاهدات الخالصة .

وله مثل هذا التقسيم فى أمراض الأظافر حيث يقول :

فيما يحدث فى الأظفار وبالقرب منها ، والداحس ، وتشقق الأظفار المسمى أسنان الفأر ، وصفرة الأظافر وورمها . وموت الدم تحتها ، والبرص فيها ، وقلعها ، والأصابع الزائدة والملتصقة[1] .

ولنعرض للنوع الثانى من التشخيص المقارن فنذكر قوله فى التفريق بين القولنج وحصاة الـكلى وإيلاوس .

والقولنج مرض يرد ذكره كثير فى كتب القدماء وهو غير محدد الأعراض وليس من السهل أن نضع له إسماً حديثاً يوافق ما جاء عنه فى تلك الـكتب ، ولـكنه من غير شك مجموعة من الأمراض تتصل بالقولون .

وأظن أن منها التهاب الزائدة الدودية ، وهو مرض ظلت أعراضه تختلط

---

(١) رسالة فى الرازى ج ٢ ص ٢٩ . من مخطوط مارش ١٥٦ (بودليانا) ورق ٢٩٧ وجه س ٨ ـ ١٣ ، مخطوط(بود ٠ أر) ٥٩١٤ (بوليانا) ورق ٢٢٣ وجه س ١٨ ـ ٢٢٣ ظهر س ٢

هى وأعراض التهابات القولون إلى عهد حديث جداً، ويرجح ذلك قول الرازى : أنه يصيب الجهة اليمنى من البطن أكثر ، وبعض حالاته كانت على الأرجح حالات انسداد معوى وإن لم يبلغ حد الاختناق المعوى وايلاوس هو بالطبع (ايليس بالانجليزية)

ولنستمع إلى الرازى فى تبين العلامات التى تميز القولنج من الحصاة فيقول :

« يفصل القولنج من وجع الكلى بأن مع القولنج مغصاً ، وانتفاخ المراق ، وفساد الهضم ، والتخم قبل ذلك ، واستعمال الطعام الغليظ البارد المنفخ ، وأن يكون صاحبه ملئاً من ذلك . والوجع فى قدام ، وينتقل ويتحرك ، وجع القولنج يأخذ مكاناً أكبر ، ووجع الكلى يحتبس معه البول .

إيلاوس يكون إما من ورم حار فى الأمعاء الدقاق ، ويكون مع هذا حمى وعطش والتهاب وحمرة اللون .

وإما سدة تحدث من ثقل صلب ، ويعرض معه تمدد مؤلم وانتفاخ وغثيان ، وإما من ضعف القوة الدافعة ، ويتقدمه عدم الغذاء أو شرب الماء ، والخلفة[1]

يعم هذين الوجعين احتباس البطن فى الابتداء والوجع الشديد ، وذهاب الشهوة ، ورداءة الهضم ، والمغص .

ويخص القولنج أن الوجع فيه أشد ، وفى وجع الكلى أخف ، والوجع فى القولنج فى الناحية اليمنى من المراق أكثر ، ويتصاعد الوجع إلى المعدة والكبد والطحال ويحبس الثقل حبساً شديداً ، حتى إنه لا يخرج ولا ريح أيضاً . وإن أجهدوا أنفسهم . وإن خرج منهم زبل يكون منتفخاً شبه أخثاء البقر وربما خرج منهم بلغم زجاجى ، ويجىء منهم بول كثير .

---

(١) المشرق ٥٦ ص ، ٢٤٣ ـ ٢٤٤

فأما فى وجع الـكلى فإنه يحس بالوجع دائما على الـكلى بمينها ، كالشوك المغروز ، وتألم الحصوة التى بحذاء الـكلية العليلة ، وربما خرجت من البطن رياح والبول قليل ، فيه شىء كالرمل كبير ، ويجد حرقة فى مجرى البول والإحليل : فهذه تركة الحصاة فى الـكلى » .

والتمييز بين التهاب الزائدة والمغص الـكلوى أمر لا يزال الأطباء فى حاجة إليه حتى اليوم ، والخلط بينهما كثير الوقوع .

ولا أريد أن أستقصى بقية الدلالات المميزة التى يذكرها الرازى، وكلها مفيدة لا غنى للطبيب الممارس عن تقصيها ، وفيها دقة يقدرها كل طبيب غاية التقدير .

على أننا لا نجد فى التشخيص المقارن بين الحميات هذا الوضوح الدقة فى تحديد العلامات ودلالاتها . ولا غرابة فى ذلك فلم يكن لهم أن يفروا بين الحميات المتشابهة بما نعمله نحن من تحاليل . بل كان اعتمادهم كله على أشياء يصعب تحديد الحميات على أساسها ، فكانوا ينظرون فى الزمان والسن والمزاج والنبض والبول والنافض والعرق وكيفية الحرارة ومقدار النوائب وهيئة النوائب والعطش وحال الأحشاء والقىء والبراز والسهر والنفس والصداع والتشنج .

وحار الأطباء القدماء — ولهم العذر فى ذلك — فى تقسيم الحميات . وكان جالينوس على حدقول الرازى يقسمها إلى حمى ورمية ، وحمى غير ورمية والرازى يقسمها أصلا إلى حمى عرض وحمى مرض ، وهو تقسيم جيد ، وهو ما يفضله المؤلفون المحدثون ؛ يقول الرازى حمى المرض: تـكون من ورم أو الطحال أو الرئة أو الحجاب أو معى الصائم أو الخراجات أو الدبيلات أو فى الدماغ ، كالحـال فى فرانيطش وليترغى[1] ويقول : إن حمى الدق : لا تحدث ابتداء أبداً . .

---

(١) رسالة فى الرازى ﺣ ٢ ، س ٥٠ من مخطوط مارش ١٥٦ (بودوليانا) ورق ٩٠ وجه .

وهى التي يقول عنها فى الفصول إنها تكون إذا سخن جرم القلب ، وتأدى إلى جميع البدن . ويقول عنها أيضاً . تبين وقت انصراف الحرارة فإن سخن المريض فالحمى دق . « وجس نبضه فإن كان العرق نفسه أسخن من سائر جسده فالحمى دق لا محالة[١] » وتحديد هذه العلامة بالذات صعب جداً إلى حد الاستحالة .

حمى المفونة . ويقول عنها فى الفصول . إنها تكون حين يسخن الدم والرطوبات فى القلب ، ثم تنتقل هذه السخونة إلى الشرايين .

ويقول عن حمى المرض · إنها تكون بعفن أو بغير عفن .

التى بعفن[٢] تكون على أنواع .

١ ــ عفن فى الدم وهو سونوخس .

٢ ــ حمى الغب . وهى التى تنوب أربعاً وعشرين ساعة وتفتر مثلها ، ومن أنواعها شطر الغب ، ومنها المفارقة والملازمة .

٣ ــ حمى الربع . وتكون منها المفارقة (العارضة) والدائمة .

٤ ــ الحمى التى تنوب كل خمس أو سبع .

٥ ــ الحمى البلغمية . وهى أيضاً إما مفارقة أو دائمة .

والتى بلا عفن[٣] على أنواع .

١ ــ نوع آخر من السونوخس وهى التى تكون من غليان الدم .

٢ ــ حمى يوم ، وقد تكون سهرية أو تخمية ، ومنها الحمى الحادثة من احتراق فى الشمس أو شدة البرد أو الاستحمام بالماء القابض ، والحادثة من

---

(١) رسالة فى الرازى جـ ٢ ، ص ٩ من مخطوط مارش ١٥٦ بودوليانا ورق ٢٣٨ وجه.
(٢) رسالة فى الرازى جـ ١ ، ص ٢٣٢
(٣) رسالة فى الرازى جـ ١ ، ص ٢٣٢

الغضب أو الفزع أو شرب الشراب أو من طعام حار ، وعلامتها أن ليس معها نافض ولا تكون حرارتها محرقة ، ويكون فى انحطاطها عرق كثير محمود .

٣ ـ أنواع أخرى من الحميات لم يحددها الرازى ولا غيره تماماً مثل الحميقة والذبولية والمفتتة ، ولعل هذه الأوصاف لم يكن يراد بها تحديد نوع من الحميات ، بل كانت تدل على حال المريض الذى يصاب بها وكذلك المطبقة والمحـــرقة والفاترة والبليدة .

الحميات المركبة .

وهو يعترف أنها قد يكون الأمر فى تعرفها أعسر ، ويضرب مثلا لذلك الحى الحادثة من الغب ، وهو يقول عنها .

« نجد العليل قد لزمته حرارة لا بعيدة المدة ، ونجد فى بعض الأحايين يلزمه التصاعد الخاص بابتداء النوائب .. ثم تنقضى هذه الحرارة الثانية بعرق أو بغير عرق وتبقى تلك الأولى بحالها[1] » .

ونحن نرى فى كل ذلك اضطراباً فى التقسيم ، ولا عيب على القدماء فى ذلك لأن علمهم بالحميات لم يكن قائماً على أساس حتى يصلح لتقسيم منظم .

والنوع الآخر من التشخيص القارن يكون بوصف حال مرضية وصفاً دقيقاً يمكن معه تشخيصها والتفريق بينها وبين الأمراض الأخرى التى تشابهها فى بعض أعراضها ومن ذلك شرح الدلالات التى تؤدى إلى ترجيح مرض على آخر وللرازى فى هذا تفوق واضح وقوله فى هذا الباب ممتع جدا .

من ذلك حالة لا أشك أنها « خراج حول الكبد » أو ما نسميه اليوم « خراج تحت الحجاب » .

---

(١) رسالة فى الرازى ﺣ ٢ س ٩ من مخطوط مارش ١٥٦ (بودليانا) ورق ٢٣٨ وجه.

فهو يقول :

« استخراج قد شهدت (به) التجربة والكتب . إن القيح إذا تولد فى الكبد ينصب إلى ثلاثة أماكن . إما إلى المعى ، وإما إلى المثانة وطريق البول ، وإما إلى ما بين الصفاق والأمعاء حتى إنه يثقب المراق بقرب الإربية ، وتخرج تلك المدة ، وفى ذلك دليل على أن من الكبد مجارى إلى ما بين الصفاق والأمعاء وإن الطفل يبول من السرة دليل أيضاً على أن هذا الطريق من ناحية الكبد[١] .

وهذه ملاحظات جيدة ولا ينقص من قدرها خطأ يسير فى تفسير البول للطفل من سرته ، فهو يرى أن ذلك دليل على علاقة المثانة بالكبد ، والواقع أن السرة يصعد إليها البول من المثانة فى حالات خلقية نادرة . وتنزل إليها المدة من الكبد عن طريق رباطها المستدير فى حالات الخراج تحت الحجاب الحاجز .

ومن الحالات الجديرة بالذكر قوله .

« رأيت رجلا تقيأ قطعة لحم عظيمة ، أعظم من الجوزة ، ولم يمت فحدست أنه كان فى معدته باسور كبير دقيق الأصل ، انقطع ودفعته الطبيعة بالقىء[٢] .

هذه حالة (بوليوس) فى المعدة وهى حالة نادرة ، ولكن الرازى فهمها فهما حقا .

وله فى وصف داء الكلب :

« كان عندنا فى المارستان منهم (من) يهيج بالليل ، وكان رجل لا يشرب ،

---

(١) الرسالة فى الرازى حـ ٢ ص ١٢٧ من مخطوط (أرندل أر)(المتحف البريطانى) ، ورق ٧٦ ظهر — ٧٧ وجه

(٢) الشرق ٥٦ ص ٢٥١

وإذا قرب إليه الماء لم يخفه ، لكن يقول : هو منتن ، وفيه بطون الكلاب والسنانير ، ورجـــل كان إذا رأى ماء ارتعد واقشعر ، وانتفض حتى ينحى عنه .

وله وصف جيد للكلب الكلب فيقول إنه :

« لايعرف صاحبه ، ويشد على كل ماوجد ، وهو مفتوح الفم ، ملذوع اللسان ، قد أرخى أذنيه ، وأدخل ذنبه بين رجليه ، وطأطأ رأسه ، واحمرت عينه ، وتهرب منه الكلاب ، ويسيل من فمه الزبد .

* * *

وكنت أود أن أعرض تفصيلا للحالات التى نشرها الدكتور ماركس مايرهوف فى مجلة إيزيس وهى مجموعة فريدة . وصف فيها الرازى ثلاثا وثلاثين حالة ، وليس لها نظام واضح . وسبب ذلك عندى أن الرازى اختارها من غير شك لتكون موضوع محاضرات إكلينيكية . وهى وإن يكن منهاماهومذكور لغرابته وندرته أكثرها يصلح بصفة خاصة لشرح المبادىء العامة للتشخيص والعلاج . وهى مدروسة درسا وافيا فى مقالة الدكتور مايرهوف ، ويطول بنا القول إذا أردنا أن نتناولها كلها تفصيلا . وسأكتفى بذكر بعض ماأخالف فيه صاحب المقال ، ومع ذكر بعض الحالات ذات المغزى الخاص ،لنتبين أسلوب الرازى فى التأليف .

يقول الرازى فى الحالة الرابعة من المجموعة .

« جاءنى رجل يشكو إلى خفقان فؤاده ، فوضع يدى على ثديه اليسار فأحسست بشريانه الأعظم ينبض نبضاً لم أر مثله قط عظما وهولا ، ثم مد يده اليسار ليرينى باسليقه فإذا بشريانه ينبض فى نابض العضد نبضا أعظم مايكون ظاهر الحس جدا يشيل اللحم حتى يعلو ، وينخفض دائماً شيلا قويا ظاهراً . وزعم أنه فصد الباسليق فلم ينتفع به وأنه إذا أكل أشياء حارة نفعه ، فتحيرت فى

أمره مدة ، ثم أشرت عليه بعد أن بان لى بدواء المسك ، وقدرت فى هذا الرجل أن حاله فى النبض حال أصحاب الربو فى النفس ؛ فإن هؤلاء على عظم انبساط صدورهم مايدخلها من الهواء إلا قليل » .

والحالة مذكورة فى القال على أنها حالة رجوع الدم إلى الأورطى وعندى أنها أشبه بحالات أنوريزم بالأورطى وحالة الباسليق قد تكون أيضاً أنوريزم .

ولعل الفصد أصاب الشريان فسبب أم الدم هذه فيه . وأهم مافى هذه الحالة فهم الرازى لحال الدم فى هذه الأورام الدموية . فالشريان مملوء بالدم ، ولكن لايدخله دم كثير كحال أصحاب الربو ، فصدرهم مملوء بالهواء ومع ذلك لايدخله من الهواء إلا قليل ، وهو تعليق طريف جدا ، لم أسمعه من قبل .

وفى الحالة السادسة من المجموعة بعض الغموض وأن كان الوصف جيدا ، والعلاقة بين الإلتهاب الحاد فى المثانة وشلل الرجلين ليست واضحة ، وإن كان الرازى يفسرها بقوله عن المثانة :

ألمت وألم باشتراكها الأعصاب الجائية إلى الرجلين لأن أعصابها قريبة بعضها من بعض وأن هناك ورما فى منابت تلك الأعصاب .

ولى على الترجمة ملاحظة هى أن قول الرازى « بوله بعض المائيين » ترجم بأنه أعطى ماء مدرا للبول ، والمراد بالطبع بعض الذين صناعتهم إدرار البول بالقسطرة وغيرها .

وفى الحالة التاسعة يصف الرازى تطور المرض على النحو الآتى . علة حارة أطفأها ماء الشعير بعض الأطفاء ، وجع فى الخاصرة والحالب .

تحسست الموضع ، فوجدته حارا صلبا وفيه ضربان شديد ، فصدته وأعطيته أدوية ، ثم برأ . وهو يقول. وكان حدسى أن مادة العلة طفىء بعضها وانتقل بعض

إلى ذلك الموضع ؛ لأنه لم يكن فيها استفراغ ظاهر ، ولعل هذه الحالة حالة زائدة وورم حولها كما يحدث كثيراً فى التهاب الزائدة ، ثم انصرف الورم أو انفجر فى الأمعاء (دون استفراغ ظاهر) .

وفى الحالة العاشرة خطأ فى ترجمة قول الرازى أسرف القاصـــد فى إخراج الدم .

وفى الحالة الحادية عشرة يقول الرازى فى نخر ظاهر .

جدرت المرأة جدريا على جدرى أربع مرات ، بادرت إلى العين فوقيتها بالكحل المحكوك بماء الورد ، فلم يخرج فى عينها شىء البتة . على أنه قد كان حواليها أمر غليظ جدا فعجب لذلك العجائز الذى (كذا .) كن حولها من سلامة عينها (فى ترجمة هذه الحالة خطأ أيضاً) .

وفى الحالة السابعة عشرة يصرف امرأة أصيبت بعد الولادة بالفالج والصرع وعالجها على طريقته ، ولكن الصيدلانى أعطاها بدل ذلك إنقرذيا فبرأت برءاً عجيبا ، فتعجبنا منه وسائر الأطباء .

ونراه فى الحالة الثالثة يصف حالة التهاب فى الأذن ، أدت إلى نواصير خلف الأذن ، وانتهت بخراج خارج الأم الجافية ، أدت إلى الموت .

ولم يكن كل هذا واضحا للرازى بالطبع ، ولكنى سأختصر وصفه للحالة حتى لاتصرفنا بعض تفاصيل الأعراض والعلاج عن الحقيقة للحالة :

رجل معرض للسرسام جداً ؛ ، أصابته علة ثم مال الفضل إلى أذنه ، وخرج الخراج فى أصل أذنه وكانت منه نواصير ، ثم هاج به المرض ، وأصابه صداع شديد ، وانحرف عن الضوء ، ودموع كثيرة ، وحمرة فى العين ، فصده الرازى فتحسن فى يومه وكان الماء أشقر والوجه منفتح وبعد أربعة أيام صغرت إحدى عينيه ، ولسانه شديد السواد والخشونة ، ثم غلط أمره وظهرت العلامات الرديئة والجهال ظنوا أن به لقوة لصغر العين اليمنى ، وتشنج تلك الناحية .

وهو وصف جيد لحالة دقيقة ، ويدعى الرازى أنه، لم يستطع علاجه كما كان يود أن يعالجه خوفا من العامة والرعاع ، وليس هذا موقفاً محموداً من الطبيب ، ولكنه معذور فى ذلك الخوف من العامة ، وليس لنا أن نأخذ عليه أن عرض المريض بخوفه هذا للموت ؛ فعلاج الرازى لهذه الحالة لم يكن لينقذه من الموت على أية حال .

وواسطة العقد فى هذه المجموعة الحالة الأولى ، وقد ذكرت كثيرا ، من هذا تتبين أن قدرة الرازى فى الطب الاكلينيكى أمر لاشك فيه ، دقة المشاهدة وقوة المقارنة ، وصدق الحكم ، والقدرة على تمييز الدلائل وتقويمها ، برغم تقيده بالنظريات اليونانية . ونحن نراه فى أحسن حالاته عندما يفزع للمشاهدة والمقارنة والاستنتاج ، حين يكون بعيداً عن الشروح القائمة على الأخلاط والأمزجة أما حين يدخل حسابه ذلك فإن فى استنتاجه مما يشاهد يضطرب ويفسد .

الطب الروحانى والرازى

لقد بين الدكتور كراوس فى كتابه رسائل فلسفية لأبى بكر محمد ابن زكريا الرازى على لسانه أن كتاب الطب الروحانى قد فصله عشرين فصلا .

الأول . فى فصل العقل ومدحه

الثانى . فى قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم

الثالث . جملة قدمت قبل ذكر أرض النفس الرضية على إنفرادها

الرابع . فى تعرف الرجل عيوب نفسه

الخامس . فى دفع العشق والإلف وجملة من الكلام فى اللذة

السادس . فى دفع العجب

السابع . فى دفع الحسد

الثامن . فى دفع الفرط الضار من الغضب

التاسع . فى إطراح الكذب

العاشر . فى إطراح البخل

الحادى عشر . فى دفع الفضل الضار من الفكر والهم

الثانى عشر . فى صرف الغم

الثالث عشر . فى دفع الشره

الرابع عشر . فى دفع الانهماك فى الشراب

الخامس عشر . فى دفع الاستهتار بالجماع

السادس عشر . فى دفع الدلع والعبث والمذهب

السابع عشر . فى مقدار الاكتساب والاقتناء والإنفاق

الثامن عشر . فى دفع المجاهدة والمكادحة على طلب الرتب والمنازل الدنيوية والفرق بين مايرى الهوى وبين مايرى العقل

التاسع عشر . فى السيرة الفاضلة

العشرون . فى الخوف وفى الموت

ولست أور أن أسترسل فى نقل ما كُتِبَ عن كل فصل، ولكن لكل ذلك صلة بالنفس وبالروح والتأثير عليها وأى تأثير نفسى مستمر ينتهى فى النهاية بتأثير جسدى مزمن وضار .

جاء فى قول زكريا الرازى فى الفصل الثانى فى قمع الهوى وردعه وجملة من رأى أفلاطون الحكيم .

إن أفلاطون شيخ الفلاسفة وعظيمها يرى أن فى الإنسان ثلاث أنفس ، النفس الناطقة والإلهية .

والنفس العصبية والحيوانية

والنفس النباتية والنامية والشهوانية

وجاء وأيضاً[٢] .

ويرى أن يجتهد الإنسان بالطب الجسدى وهو الطب المعروف ، والطب الروحانى وهو الأقناع بالحجج والبراهين فى تعديل أفعال هذه النفوس لئلا تقصر عما أريد بها ولئلا تجاوزه، والتفكير فى فعل النفس النباتية ألا تتزود ولا تنمى ولا تنشىء بالكمية والكيفية المحتاجة إليها جملة الجسد ، وأفراطها أن تتعدى ذلك

---

(١) كتاب دكتور كراوس : رسائل فلسفية لأبى بكرازار ض ٣٧ ، ٢٩

وتجاوزه حتى يخصب الجسد فوق مايحتاج إليه ويغرق فى اللذات والشهوات ، وتقصير فعل النفس ألا يكون عندها فى الحمية والأنفة والنجدة ما يمكنها من أن تزم وتنهر النفس الشهوانية فى حال اشتهائها حتى تحول دونها ودون شهواتها ، وإفراطه أن يكثر فيها الكبر وحب الغلبة ،

وتقصير فعل النفس الناطقة ألا يخطر ببالها استغراب هذا العالم واستكباره والفكر فيه والتعجب منه والتطلع والتشوق إلى معرفة جميع مافيه .

وجاء فى دفع الفضل الضار من الفكر والهم [1] .

إن هذين العارضين — وإن كانا عرضين عقليين — فإن فرطهما يجلب الألم والأذى ، ولذلك ينبغى أن يكون العاقل يريح الجسد منهما وأن ينقله فى اللهو والسرور واللذة بقدر مايبلغ له مايصلحه ، ويحفظ عليه صحته لئلا يخور وينهد .

جاء فى كتاب الأقوال الذهبية فى الطب النفسانى لمؤلفه حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى رد فيه مؤلفه على فلسفة محمد بن زكريا الرازى ، وذلك من جهتين :

الأولى : تصحيحه موقف الداعى الإسماعيلى من حازم الرازى فى مناظرته مع زكريا الرازى .

الأخرى : نقده لكتاب الطب الروحى وتفنيده إياه .

وجاء فى الباب الأول :

أن الخطأ المستمر على ابن زكريا الرازى يجمع ستة أقوال .

وخلاصتها جميعاً — تقريباً — أنه ليس طباً روحانيا.

---

(١) كتاب رسائل فلسفية لأبى بكر الرازى ص ٦١ تحقيق الدكتور بول كراوس

والباب الثانى :

إنارة الحق المستقر فيما هو حق الطب النفسانى يجمع ستة أقوال ، ولقد قدّمها لأهميّتها بالنسبة لوصف الأمراض النفسية الحديثة .

القول الأول :

فى شرف صناعة الطب النفسانى وأنها أشرف الصناعات ، وأن القـائم بها الموضح لمبانيها الهادى إلى طرقها وأقسامها ويسمى عالما نفسيا ومالكها من جهة الله تعالى وأنه أشرف البرية .

القول الثانى :

فى وجود النفس التى هى العليلة والمحتاجة إلى الطب والأدوية وأحوالها فى ذاتها وماهيتها ، وأنها حياة ، وأنها ناقصة فى ذاتها ، وأنها ليست فى جسم ولا عرض ، وأنها قائمة بالقوة جوهرا ، وأنها واحدة فى ذاتها لا ثلاث .

القول الثالث :

فى منـاسبة النفس حسبها فى أحوالهـا ، وما تلك الأحوال ، وما تلك المناسبات ، وأنهـا فى وجودها من جسمها كالولد من والده ، وأنهـا المعلول الأخير فى الموجودات ،

القول الرابع :

فيما يحدث فيها من الأمور التى تجرى فيها مجرى العلل من جسمها وما تلك العلل وما مباديها.

القول الخامس :

فيما يجرى من النفس مجرى الأدوية فى إزالة عللهـا ، وما تلك الأدوية ،

وما أفعالهـا ، وما يجرى منها مجرى العلامات الدالة فى العلل الجادة على الهلاك أو الخلاص .

القول السادس :

فيما يجرى من النفس مجرى الصحة فى جسمها ، وما تلك الصحة ، وما الذى تناله بهـا ، وما الذى يحفظ عليها صحتها إلى وقت انتقالهـا ، وما الذى يكسبها انبعاثها للقيام بأوامر الله .

الفصل الرابع

الشيخ الرئيس ابن سينا

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا ، وهو إن كان أشهر من أن يذكر وفضائله أظهر من أن تسطر - قد ذكر من أحواله ووصف من سيرته مايغني غيره عن وصفه ، ولذلك نقتصر من ذلك على ذكرما قد ذكره هو عن نفسه ، ونقله عنه أبو عبيد الجورجاني قال . قال الشيخ الرئيس :

« إن أبي كان رجلا من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور (٩٧٦ - ٩٩٧م) ، واشتغل بالتصوف، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية من ضياع بخارى وهي من أمهات القرى وبقربها قرية يقال لها أفشنة ، وتزوج أبي منها والدتي ، وقطن بها وسكن وولدت فيها . . ثم ولد أخي ، ثم انتقلت إلى بخارى ، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الآداب ، وأكملت العشر من العمر ، وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يقضى مني العجب، وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية ، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي ، وكانوا ربما تذاكروا بينهم وإني أسمعهم ، وأدرك مايقولونه ، ولا تقبله نفسي ، ابتدأو يدعونني أيضاً إليه، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ بوجهي إلى رجل كان يتتبع العقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلم منه، ثم صار إلى بخارى أبو عبد الله الناتلي وكان يدعي التفلسف وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتزود فيه إلى إسماعيل الزاهد ، وكنت من

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعه .

أجود السالـكين ، وقد ألفت طريق المطالبه ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذى جرت عادة القوم منه .

ثم ابتدأنا بـكتاب إيساغوس على الناتلى ، ولما ذكر لى حد الجنس أنه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع فى جواب ماهو ، أخذت فى تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب منى كل العجب وحذر والدى من شغلى بغير العلم ، وكانت أية مسألة قالها لى أتصورها خيراً منه حتى قرأت ظواهر المنطق عليه ، وأما دقائقه فلم يـكن عنده منها خبر ، ثم أخذت أقرأ الـكتب على نفسى ، وأطالع الشروح حتى أحـكمت علم المنطق ، وكذلك كتاب إقليدوس ، فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسى حل بقية الـكتاب بأسره ، ثم انتقلت إلى الجسطى ، ولما فرغت من مقدماته ، وانتهيت إلى الأشكال الهندسية — قال لى الناتلى فور قراءتها : حلها بنفسك ، ثم اعرضها على لأبين لك صوابه من خطئه . ثم فارقنى الناتلى متوجها إلى كاركنج ، واشتغلت متوجها أنا بتحصيل الـكتب من النصوص والشروح من الطبيعى والإلهى ، وصارت أبواب العلم تتفتح على .

ثم رغبت فى علم الطب ، وصرت أقرأ الـكتب المصنفه فيه وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة ، فلا جرم أنى برزت فيه فى أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرءون على علم الطب ، وتعهدت المرضى ، فانفتح على من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة مالا يوصف ، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه ، وأنا فى هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنه ، ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصف السنة ؛ فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة وفى هذه المدة مانمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره ، وكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، وأرتبها ، ثم نظرت فيما عساها تنتج وراعيت شروطها .

حتى تحقق لى حقيقة الحق فى تلك المسألة ، وكلما كنت أتحير فى مسألة ولم أظفر بالحد الأوسط فى قياس ترددت إلى الجامع ، وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لى المستغلق وتيسر المتعسر ، وكنت أرجع بالليل إلى دارى ، وأضع السراج بين يدى وأشتغل بالقراءة والكتابة فمهما غلبنى النوم أو شعرت بضعف عدلت إلى شرب قدح من الشراب حتى تعود إلى قوتى ثم أرجع إلى القراءة ، ومهما أخذنى أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها حتى إن كثيرا من المسائل انضح لى وجوهها فى المنام ، وكذلك حتى أستحكم على جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنسانى ، وكل ماعلمته فى ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزد فيه إلى اليوم حتى أحكمت على المنطق والطبيعى والرياضى ، ثم عدلت إلى الإلهى ، وقرأت كتاب مابعد الطبيعة ، فما كنت أفهم مافيه ، والتبس على غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة ، وصار لى محفوظا وأنا مع ذلك لا أفهمه ، والمقصود به وأيست من نفسى ، وقلت : هذا كتاب لاسبيل إلى فهمه ، وإذا أنا فى يوم من الأيام حضرت وقت العصر فى الوراقين وبيد دلال مجلد ينادى عليه فعرضه على فرددته ، رد متبرم معتقداً أن لافائدة فى هذا العلم ، فقال لى . اشتر منى هذا فإنه رخيص أبيعك بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج إلى ثمنه ، واشتريته فإذا هو كتاب لأبى نصر الفارابى فى أغراض كتاب مابين الطبيعة ، ورجعت إلى بيتى ، وأسرعت فقرأته فانفتح على فى الوقت أغراض ذلك الكتاب ، وفرحت بذلك وتصدقت فى ثانى يومه بشىء كثير على الفقراء شكراً الله تعالى ، وكان سلطان بخارى فى ذلك الوقت نوح بن منصور الذى أنفق له مرض أتعب الأطباء فيه ، وكان اسمى أشتهر فيهم بالتوفر على القراءة ، فأجروا ذكرى بين يديه ، وسألوه إحضارى ، فحضرت ، وشاركتهم فى مداواته ، وتوسعت بخدمته ، فسألته يوما الاذن لى فى وصول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة مافيها من كتب الطب ، فأذن لى فدخلت دار ذات بيوت كثيرة فى كل بيت صناديق كتب .

وقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها .

ثم مات والدى وتصرفت فى الأموال وتقلدت شيئا من أعمال السلطان ، وتنقلت فى بلاد كثيرة ، ثم مضيت إلى دهستان ، ومرضت مرضا صيفيا ، وعدت إلى جرجان ، وأنشأت فى حالى قصيدة :

لما عظمت فليس مصر بواسعى لما غلا ثمنى عدمت المشترى

قال أبو عبيدة الجورجانى : (أملى على المختصر الوسطانى فى المنطق.

لابن محمد الشيراوى فى كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الأرصاد الكلية ، وصنف كتبا كثيرة كأول القانون ومختصر المجسطى .

ثم صنف فى أرض الجبل بقية كتبه .

ثم صار الشيخ بعد ذلك من حاشية علاء الدين المقدمين ، فظل الشيخ الرئيس يخدم علاء الدولة لما لقيه عنده من حسن التكريم ، فبقى معززا مكرما ، وكان مشغوفا بالنساء شغفا أجهد بدنه ، وكان كثير الرحلات كثير النشاط .

وأصيب بالقولونج وهو مرض بالأمعاء الغليظة ، وازداد المرض عليه لتنقله وهو مريض بين همذان وأصبهان .

وأخيرا وصل إلى همذان ، وقد ضعفت صحته وقد أهمل تداوى نفسه وقال :

(إن المدبر الذى فى بدنى قد عجز عن تدبيره ، فما بى حاجة إلى المعالجة) .

ويقال : إنه أغتسل وتاب وتصدق بماله على الفقراء ، ورد المظالم إلى أهلها ، وأعتق مماليكه ، وعكف بقيه حياته على قراءة القرآن ، وكان يختمه مره كل ثلاثة أيام ، وأستمر على هذا الحال حتى توفى بهمذان فى يوم الجمعة فى شهر رمضان سنة ٤٢٨ هجرية ١٠٣٦ ميلاديـــة وهو فى الثامن والخمسين من عمره . .

وقيل : إنقبره تحت السور من جانب القبلة بهمذان ، وقيل : (إنه نقل إلى أصفهان على باب (كد نـكتبد) .

* * *

مؤلفات ابن سينا

مؤلفات بن سينا كثيرة [١] وهى ضخمة فى كثير من الحالات .

فبعض كتبه الـكبرى تتـكون من عشرين مجلداً ، والبيان الـكامل لهذه المؤلفات الذى أثبته القفطى يتضمن ذكر ٢١ كتابا كبيراً و٢٤ كتابا صغيرا فى الفلسفة والطب والإلهيات والهندسة وعلم الفلك وفقه اللغة وماشابهها ، ومعظم الـكتب مـكتوبة باللغة العربية . أما اللغة الفارسية لغة الوطن فلم يكتب بها إلا كتابا كبيرا واحدا فى العلوم الفلسفية يسمى أنيس نعمائى غلائى (ومثله مخطوط فى المتحف البريطانى) .

ورسالة صغيرة عن النبض ، أما البيان الذى أثبته بروكلمان فيتضمن الـكتب الموجودة فقط ويشمل ٦٨ كتابا فى الإلهيات ومابعد الطبيعة ، و ١٦ كتابا فى الطب ، و ٤ كتب فى الشعر ومجموعها ٩٩ مصنفا .

ولقد قام الدكتور إتى فى كتب السير المتعددة بجمع ١٥ قطعة شعرية فارسية قصيرة معظمها رباعيات تتضمن ٤٠ بيتا فى الشعر منسوبة لابن سينا ، وسنذكر رأى ابن سينا فى النفس .

وأما النفس فلا تنشأ من امتزاج العناصر ، كما أنها ليست صورة لازمة للجسد ، ولـكنها عارضة ، ولـكل جسد نفس خاصة لاتصلح إلا له ، وهى

---

(١) الطب العربى براون ٧٩ .

تفيض عليه من واهب الصور ، وكل نفس فى أول أمرها جوهر جزئى مستقل ، ولا يزل هذا الاستقلال يتزايد مدة بقائها فى الجسد .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا عن النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة ناظر وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهـا ، هبوطها من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطوال الخضع

* * *

تبكى إذا ذكرت عهودا بالحمى بمدامع تهمى ولم تتقطع
وتظل ساجعة على الدمن التى درست بتكرار الرياح الأربع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ماليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل مخلف عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق سام إلى قصر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها الإله لحكمة طويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها لاشك ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية فى العالمين وخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنه برق تألق فى الحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

* * *

وكان الشيخ الرئيس ابن سينا يرد على الشعراء الذين يشكون إليه مرضا بالشعر أيضاً وهذا نموذج من شعره :

شـكا إليه الوزير أبو طالب العلوى آثار بثر على جبهته ، ونظم شكواه شعراء وأنفذه إليه :

صنيعة الشيخ مولانـا وصاحبه وغرس أنفاسه بل نشىء نعمته
يشـكو إليه أدام الله نعمته آثار بثر يندى فوق جبهته
فامنن بحسم الداء مغتنما شكر النبي له مع شكر عترته
(البسيط)

فأجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ، ووصف فى جوابه ما كان به برؤه من ذلك ، فقال :

الله يشفى وينفى ما بجبهته من الأذى فيه برحمته
أما العلاج فإسهال يقدمه ختمت آخر أنبائى بنسمته
وليرسل العلق المصاص يرشف من دم الغزال ويغنى عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ولا يدنى إليه شرابا من مذاقته
والوجه يطلق ماء الورد معتصرا فيه الخلاف مذاقا وقت هجمته
ولا يضيق منه الزر مختنقـا ولا يصيحن أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل بهسيرى آثار خير ويـكفى أمر علته

أما كتاب القانون فى الطب فأهم مؤلفاته الطبية وأذيعها ، ولقد ترجمه جراير دى كريمون فى طليطلة بإسبانيا ، وطبع أول مرة بالعبريـــة فى عام ١٤٩١ .

---

(١) ٦٣ كتاب ابن النفيسى (تاليف الدكتور بول غليونجى) .

والقانون بنايه جامدة من التفكير الفلسفى فى الطب ترتكز على أسس عميقة من الثقافة الشاطة والتنظيم المنطقى أكثر من استنادها إلى الملاحظة الإكلينيكية، وإن وردت به أحيانا ملاحظات سريريه تدعو إلى الإعجاب مثل وصفه :

التجويف البلورى وغيره من الالتهاب السحائى وتهيجه والتشخيص من مختلف أنواع اليرقان وأسبابه كما أن به بعض العلاجات الجديدة كملاج الأعيا بالنخاع العظمى ، ولئن كان طبه وخصوصا الجزء النظرى منه منصبا على طب أبقراط وجالينوس فقد خالفهما أحيانا خلافا أساسيا عندما أسند إلى الشبكية فى عملية الإبصار أهمية أكبر من أهمية العدسة .

ولا أدل على سيطرته على التفكير الطبى من أن القانون طبع خمس عشرة مرة باللاتينية ومرة بالعبرية فى خلال الثلاثين سنة التى ختمت القرن الخامس عشر الميلادى ، ومن أنه كان ضمن الكتب المقررة فى جامعة لدفان حتى القرن السابع عشر الميلادى أى بعد وفاة صاحبه بسبعمائة عام .

ويقسم ابن سينا كتابه إلى خمس كتب :

الكتاب الأول فى الأمور الكلية فى علم الطب

الكتاب الثانى فى الأدوية المفردة .

الكتاب الثالث فى الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان عضوا عضوا ، أى بكل عضوعلى حدة من الرأس إلى القدم .

الكتاب الرابع فى الأمراض الجزئية التى إذا وقعت لم تختص بعضو مثل الحميات .

الكتاب الخامس فى تركيب الأدوية وهو الأقرباذين .

ولقد أصبحت الكتب الطبية السابقة التى ألفها الرازى والمجوسى على الرغم

من مزاياها التى لاشك فيها ملغاة من الناحية العلمية بعد وجوده ،ولا يزال معتبرا فى الشرق عند من يتلقون الطب اليونانى القديم المرجع الأخير فى كل مايتصل بشئون التطبيق .

ولقد قال نظامى عروضى السمر قندى [١] بعد أن ذكر أسماء عدد من الكتب التى ينبغى أن يدرسها بجد من يطمع فى نيل منزلة عالية فى الطب قال :

إن من يرغب فى التحرر من كل المؤلفات الأخرى يكفيه دراسة كتاب القانون ؛ ويتابع قائلا :

إن رب العالمين وهادى الجنسين الأصيلين جعل كل الصيد فى جوف الفرا وهذا كله وكثير غيره موجود فى القانون ، ولن يغيب عمن درس المجلد الأول منه شىء يتعلق بنظرية الطب العامة ومبادئه ، بل لو أن أبو قراط وجالينوس عادا إلى الحياة لكان صوابا أن يكون هذا الكتاب موضع احترامهما إلا أنى سمعت شيئاً عجيبا ، ذلك أن إنسانا شذ فى تقديره لكتب على بن سينا هذا ، وضمن نقده كتابا اسمه (تقويم القانون) .

وكأنما نظرت إلى الاثنين معا ، وتبينت لى حماقة المؤلف وبشاعة كتابه ، إذ كيف يسوغ إنسان لنفسه أن يخطىء مثل هذا الرجل العظيم ، إذ كان السؤال الذى يقابله فى أى كتاب يقع عليه فى كتبه يصعب عليه فهمه .

---

(١) الطب العربى براون ٨٣ .

ما يقوله فى تعريف الطب

ما يقوله ابن سينا فى صفحة ٥ الجزء الأول من القانون :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

الفصل الأول من الفن الأول من الكتاب الأول فى حد الطب أقول : إن الطب علم يعرف منه أحوال صحة بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عنها ، والطب ينقسم إلى نظر وعمل ، ثم يبدأ فى الرد على من قالوا إن الطب نظرى فقط فيقول :

وأنتم قد جعلتم الطب كله نظر ، إذ قلتم إنه علم ، وهو يجيب عن هذا الاعتراض بقوله : إن من الصناعات ماهو نظرى وعملى .

ويعتبر ابن سينا[1] عنوان التفكير العربى والعلمى وغاية ماوصل إليه العقل الإسلامى فى أبواب الفلسفة الطب ، ومن خواص العلم القديم أنه يكون فيه دائما رجل مثل ابن سينا يحيط بكل وقائمه لايكاد يوجد شىء لايعرفه ، فكذلك كان أرسطو وجالينوس وابن سينا الذى جمع بين الفلسفة والطب،وتفوق فى كلا العلمين ، والباحثون يعدون فلسفته خيرا من طبه بالرغم من أن كتاب القانون فى الطب يمتاز بالوضوح والنظم الدقيق وتوفيقه ووصفه للمشكلات أكثر من توفيقه فى معرفة حلها .

ولقد حـــذر ابن سينا فى كتابه من الخلط بين الفلسفة والطب ، عن الأمزجة .

ويقول فى موضع آخر :

(إعلم أن الخالق جل جلاله أعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ماهو

---

(١) متنوعات الدكتور محمد كامل حسين ١٧٩ .

أليق به وأصلح لأمثاله وأحواله بحسب احتمال الإمكان له ، وتحقيق ذلك إلى الفيلسوف دون الطبيب .

ويقول أيضاً :

إن الطبيب ليس عليه أن يتتبع المخرج إلى الحق فى هذين الاختلافين بالبرهان فليس له إليه سبيل من جهة ماهو طبيب ، ولا يضره فى شىء من مباحثه وأعماله.

كتاب القانون : يقول فى أوله ما يأتى :

رأيت أن أتكلم أولا فى الأمور العامة الكلية فى قسمى الطب أعنى القسم النظرى والعلمى ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ، ثم فى جزئياتها، ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو، فأبتدىء أولا بتشريح ذلك العضو وأما تشريح الأعضاء المفردة البسيطة فيكون قد سبق ذلك فى الكتاب الأول الكلى ، وكذلك منافعها ، ثم إذا فرغت فى تشريح ذلك العضو إبتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلالات عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى أيضاً) .

ابتدأ بالتشريح ثم بعلم وظائف الأعضاء كما هو موجود الآن ثم بعلم العقاقير وهى الأدوية وفائدتها ، ثم بعلم الأمراض فى كل عضو على حدة .

ثم يذكر القانون بعد ذلك أسباب الأمراض ، فهو يبحث فى أوقات الأمراض وطباع الفصول والهواء الجيد ثم المساكن ، وبعد ذلك فصول فى أسباب العوارض البدنية ، ثم فصل كل فى الأعراض والدلائل ، ومنها النبض والبول والبراز ، ثم تدابير حفظ الصحة وكيف يكون تدبير المولود وتدبير الشيوخ وتدبير البالغين ، والرياضة وأنواعها والاستحمام والمأكول والمشروب ، وتدبير المسافرين ثم قول كلى فى العلاجات كالإسهال والقىء والحقنة والفصد والحجامة

والعلق ، ومعالجات البرد والأورام ، وقول مجمل فى البط وهو الشق وفى القطع وفى الكى وفى تسكين الأوجاع .

ثم فصل صغير فى أى المعالجات تبدأ ، فمثلا إذا اجتمع الورم ثم القرحة عالجنا الورم أولا ، وإذا اجتمعت السدة والحمى عالجنا السدة أولا ولا نبالى بالحمى ، لأن الحمى يستحيل أن تزول وسببها باق ، أما إذا اجتمع المرض والعرض فإننا نبدأ بعلاج المرض إلا أن يغلبه العرض ، فحينئذ نقصد العرض ولا نلتفت إلى المرض كما تشفى المخدرات فى القولنج الشديد الوجع إذا صعب وإن كان يضر نفس القولنج) .

وهذا الوصف يدل على منتهى الدقة لدى أى طبيب ، وأرجو أن يتدبره أى طبيب فى علاجه لأية حالة .

وطبعاً أصبح لدينا وسائل التشخيص والجراحة والعلاج أكثر بكثير ، لأن لنا الآن من وسائل المقاومة ما يمكننا من علاج المرض ومضاعفاته معا .

ثم يأتى البحث فى أمراض الجسم عضواً عضواً مبتدئا بالرأس والدماغ ، وبعد ذكر تشريحه يأتى فصل فى أمراض الرأس الفاعلة للأعراض فيه وفى الدلائل على أمراض الدماغ ، وفصل فى الاستدلالات الكلية والمأخوذة من الأفعال النفسانية والحركية والاستدلالات عن أحوال أعضاء هى كالفروع ، ثم يأتى كلام فى أصناف الصداع ومنها الصداع البحرانى الذى يعرض عند اشتداد الأمراض الحادة وقرب زوالها ، ثم فصل من أبدع فصول الكتاب يعد من مفاخر الطب العربى وهو السرسام الحاد أى التهاب أغشية المخ الحادة مما ليس بعده زيادة لمستزيد ، ثم فى الفلغمونى العارض لنفس جوهر الدماغ ثم السرسام البارد لثرغوس .

ثم فصل فى إختلاط الذهن والهذيان والرعونة والحمق وفساد التخيل والمالخوليا وآخره فصل فى العشق ثم فصل فى الصراع والسكتة وأمراض الأعصاب

ومنها اللقوة (شلل الوجه) ، وهو أيضاً فصل بديع فيه التمييز بين الشلل الناشىء عن مرض الدماغ والناشىء عن مرض العصب نفسه وهو تمييز لا يزال قائماً حتى الآن .

أمراض الرئة :

قوله :

إن الأطباء اختلفوا فى قروح الرئة فى أنها تبرأ أولا تبرأ : فقال قوم : أنها لا تبرأ البتة لأن الالتحام يفتقر إلى السكون ولا سكون هناك . وقال جالينوس: إنها تبرأ) .

تتعرض الرئة للأمراض المختلفة لتشابه الأجزاء والأمراض الآلية وخصوصا السدد فى عروقها .

وقد تكثر أمراض الرئة فى الشتاء والخريف لكثرة النوازل وخصوصا فى خريف ممطر بعد صيف يابس شمالى ، والهواء البارد ضار بالرئة وكثيراً ما تؤدى أمراض الرئة إلى أمراض الكبد كما يؤدى شدة بردها وشدة حرها إلى الاستسقاء .

وفصل فى النفس المختلف والنفس العسر والربو ، وفصل فى خفقان القلب أمراضه .

الكبد وأمراضه :

ورم بعد ضربه — ورم بارد فى الكبد

ورم صلب مع عسر النفس يتبعه استسقاء ، ويهلكون فى أكثر الأمر بانحلال الطبيعة لانسداد المسالك إلى الكبد .

وإذا طالت العلة لم ينفع العلاج ، فإن كان الصلب سرطانيا وكان هناك

إحساس بالوجع أشد كانت أحداث الآفة فى اللون وفى الشهودة وغير ذلك ، أكثر وربما أحدث غشيانا بلا حمى لم يحس بالوجع ، وكان فى طريق إماتة العضو وأعلم أن الكبد سريعة الإنسداد وخصوصا إذا استعملت المغلظة . وأمراض الكبد — اليرقان — الاستسقاء وأمراض الكلى وحصاة المثانة وغيرهما .

وأمراض الأذن .

الفصل الرابع فى أحوال الأذن وهو مقالة واحدة .

فى تشريح الأذن .

أعلم أن الأذن خلقت للسمع وجعل لها صدف معوج ليحبس جميع الصوت ثم يصل إلى أن سطحها الأنسى مفروش بليف العصب السابع الوارد فى الزوج الخاص من أزواج العصب الدماغى . . فإذا نادى الموج الصوتى إلى ما هناك أدركه السمع .

ونص فى آفات السمع .

قال : إن آفة السمع إما أن تكون أصيلة فيكون صمم وإما أن تكون عارضة .

فقدان السمع : منه مولود طبيعى لا علاج له .

ومنه حادث ، لكنه طال عهده فهو مزمن ، وذلك أيضاً قريب من اليأس أو عسر العلاج ، وأما الحادث القريب العهد فى الطرش فقد يقبل العلاج .

وأما أسباب ذلك فقد يكون منه مشاركة عضو مثل ما يكون من مشاركة الدماغ أو بعض الأعضاء المجاورة كالذى يقع عند أول إنبات الأسنان والذى يقع عند أوجاع الأسنان (وقد يكون لآفة خاصة بالسمع) .

أما الآفة فى عصب السمع فقد تعرض لجميع أسباب الأمراض المتشابهة

الأجزاء فيها ، والآفة وانحلال الفرد ، أما الأمراض المتشابهة الأجزاء فيها فكل واحد من أصناف سوى المزاج المفرد والمركب .

أما الآفة فى العصب فثل سدة موجبها خليط أو مدة أو ورم . . ورم حاد أو صلب أو عبارة عن وسخ أو مرض أما انحلال الفرد فيها فقد يكون من قرحه أو أكل شيء .

وأما الكاين بسبب المنخرين فأكثره عن سدة لسبب بدنى أو بسبب من خارج البدن مثل لحم زائدأو دودأو خلط غليظ أو صملاغ أو جمود من ورم .

فى علاج الدوى والطنين والصفير بالأذن .

يجب أن يتجنبوا الشمس والحمام والحركة والصياح والقيء والامتلاء ، وأن يلينوا الطبيعة أما الكائن بالمشاركة فيجب أن يفصد منه فصد العضو الفاعل له وخصوصاً المعدة ، فينقى ويقصد الدماغ والأذن فيتقويان .

أما الكاين بسرعة الحس فن الناس من يأمر فيه بالمخدرات ، مثل دهن الورد المطبوخ بالخل مع قليل أفيون أو ممزوج بدهن البنج أو الشوكران مسحوقا

أما الكاين عن قيح فيعالج بعلاج الورم والقيح .

وفصل فى اللهاة واللوزتين.

* * *

المقالة الأولى فى الكتاب الرابع .

من القانون وكلام مجمل فى الجراحات .

المقالة الأولى : فصل فى علامات تؤخذ من جهة الأنف :

التواء الأنف ردىء ، ويدل على قرب الموت ، فإن السبب فيه نسخ ردىء

قتال وتفرطحه أيضاً ردىء والتمويل فى الاستنشاق على الأنف والمنخرين علامة رديئة ، وعدم العطس بالمعطسات دليل الموت وبطلان حس ، وخروج الماء من الأنف ردىء .

فصل فى علامات تؤخذ من جهة الأذن :

جفاف الشحمة وإنقلابها علامة رديئة .

حدوث ألم بالأذن مع حمى حادة خطر ، فإنه قاتل إن لم يسل منه شىء ويسكن وذلك فى المشايخ .

وأما فى الشبان فيموتون قبل أن ينفتح لشدة حسهم .

هذا الوصف يطابق أدق وصف لإلتهاب الأذن الوسطى الحاد .

فإنها توجد ألما وتوجد حمى وتوجد أيضاً مضاعفات النتوء خلف الأذن على صورة التهاب حاد بالعظم ، ويوجد فى المخ على صورة خراج داخلى أو خارج الأم الجافة .

فإذا فتح الصديد الداخلى تحسنت حالة المرض ، ومعنى فتح الصديدسال مابه .

فصل فى علامات تؤخذ فى أحوال الحلق والمرىء ، وتواجه الاختناق بغتة — لا فى يوم بحران — علامة رديئة ، والاختناق بلا زبد أخف ، فإن الأزباد لا يكون إلا وقد بلغ القلب فى السخونة مبلغا تعطل له أفعال الرئة والحجاب ، فلا يستطيع أن يرد النفس بالاستواء وهذا لا يكون حين لا يوجد ورم فى الحلق إلا لأمر عظيم ، وقد يكون كثيراً بل فى الأكثر بسبب الدماغ .

وبالجملة إذا حدثت فى الحمى القوية خوانيق صعبة فقددنا ظل الموت لأن القلب يقتضى بسبب شدة الحرارة نسيماً كثيراً ، وقد سد سبيله ، فيلتهب القلب ويفرط سوء مزاجه ، فلا يحتمل الحياة ، وكذلك أعوجاج الرقبة مع إمتناع البلع ، فإن ذلك إما أن يكون لزوال الفقار أو لشدة اليبس ولا شر منها مع الحمى

وأيضاً لا يستطيع البلع إلا بصعوبه دليل ردىء وكذلك أن يشرق الماء فيخرج من أنفه ، وكذلك إذا غص بريقه كل وقت فهو دليل غير حسن .

* * *

المقالة الأولى فى الفصل الرابع من الكتاب الرابع من القانون .

فصل كلى فى علاج الجراحات :

الجراحة اللحمية لا تخلو إما أن تكون شقاً بسيطاً مستقيماً أو مدوراً أو ذا أضلاع أو شقا مع نقصان شيء من اللحم ، وقد يكون غائراً نافذاً ، وقد يكون مكشوفا ، ولكل واحد ندبه ، ويشترك الجميع فى حبس الدم السائل، وقد جعلت له بابا ، وربما كان سيلان قدر معتدل من الدم نافعاً للجراحة يمنع الورم والتبثر والحمى فإنه من أفضل ما يعنى به فى الجراحات أن تمنع تورمها فإنه إذا لم يوجد ورم يمكن علاجه بالجراحة ، وإما إذا كان هناك ورم أو كان رض اجتمع فى تحليله مع الجراحة دم يريد أن يورم أو يتقيح لا يمكن معالجته بالجراحة ما لم يدبر ذلك ويعالج الورم وإن احتقن فى المرض دم فيتعجل فى تحليله إذا كان له قدر يفيد وذلك بإحالته قيحا وتحليله ، وذلك بكل حار لين ، ومما قد علم يجب أن يمان سيلان الدم إذا قصر فإن كان الورم بسيطاً مستقيماً لم يسقط منه شيء ويكفى فى تدبيره الشد والربط .

واجتهادك فى ألا ينجذب إلى العضد إلا دم طبيعى .

وإن كان عظيماً لا تلتقى أطرافه لأنه مستدير متباعد أو مختلف الشكل أو قد ذهب منه لحم قليل غير كثير فملاجه الخياطة ومنع اجتماع الرطوبة فيه باستعمال الحبوب الرادعة واستعمال الملصقات . . الخ (قانون ابن سينا الجزء الأول) .

الفصل العاشر :

العلامات الدالة على الأورام :

أما الظاهرة فيدل عليها الحس والمشاهده ، وأما الباطنة فالحار منها تدل عليه

الحمى اللازمة والثقل إن كان لاحس للعضو الذى هو فيه أو الثقل مع الرجوع إن كان للعضو الوارم حس ، ومما يدل أيضاً أو يعين فى الدلالة الحالة الداخلية فى أمثال ذلك العضد ، ومما يؤكد الدلالة إحساس الانتفاخ فى ناحية ذلك العضد إن كان للحس إليه سبيل ، وأما البارد فليس يتفمه لا محالة وجع وتعسر الإشارة إلى علاماته الـكلية .

وربما انتقلت المادة فى الأورام الباطنة من عضو إلى عضو مثل ما ينتقل فى أورام الدماغ إلى ما خلف الأذنين وإلى أورام الـكبد إلى الأربيتين ، والردىء أن ينتقل من عضو إلى عضو أشرف منه أو أقل صبراً على ما يعرض به مثل أن ينتقل من ذات الجنب إلى ناحية القلب أو إلى ذات الرئة .

مذهب ابن سيناء فى الفلسفة[1]

سنرى من ملخص مذهبه مقاربة بينه وبين كل واحد من أسلافه بعض الأمور: فهو يقارب الفارابى فى التوفيقات الدينية، ويقارب فرفريوس فى الرموز الصوفية، ويقارب أرسطو فى التفكير المنطقى، ويقارب أفلاطون فى النزعة الفنية .

ومن مقاربته لأفلاطون أنه يصنع مثله أسلوب الأساطير الرمزية لتوضيح ما يريد أو الكتابة عما يرمى إليه ، كما صنع فى رسالة حى بن يقظان ورسالة الطير، وهو يرمز إلى النفس الإنسانية واشتباكها بشهوات هذا العالم للتطهير بالعمل والرياضة ... وهذا نموذج منها على لسان طائر يروى قصة وقوعه فى الشرك :

برزت طائفة تقتنص ، فنصبوا الحبائل ورتبوا الشرك ، وهيئوا الأطعمة وتواروا فى الحشيش ، وأنا فى سرية طير إذ لحظونا فصفروا مستدعين ،وما تخالج فى صدورنا ريبة ، فابتدرنا إليهم مقبلين ، وسقطنا فى خلال الحبائل أجمعين ، فاذا الحلق ينضم على اعناقنا يتشبث بأجنحتنا ، والحبائل تتعلق بأرجلنا ، ففزعنا إلى الحركة فما زادتنا إلا تعسيراً ، فاستسلمنا للهلاك ، وشغل كل واحد منها ماخصه من الكرب عن الاهتمام بأخيه ، وأقبلنا نتبين الحيل فى سبيل التخلص زمانا حتى أنسينا صورة أمرنا ، واستأنسنا بالشرك ، واطمأننا إلى الأقفاص ، فاطلعت ذات يوم من خلال الشبك، فلحظت رفقة من الطير أخرجت رءوسها وأجنحتها عن الشرك وبرزت من أقفاصها تطير وفى أرجلها بقايا الحبائل لاهى تئودها فتعصمها النجاة ولا تبينها فتصفوها الحياة ، فذكرتنى ما كنت أنسيت ، ونغصت على ما ألفته ، فكدت أنحل تأسفاً أو ينسل روحى تلهفاً ، فناديتهم من وراء القفص أن اقربوا منى فوقفونى على حيلة الراحة ، فتذكروا خدع المقتنصين فما زادوا إلا نفاراً .. إلى

---

(١) كتاب فلسفة ابن سينا العقاد

آخر الأسطورة على هذا النسق من الرمز والإيماء إلى مجاهدات النفس فى سبيل الخلاص من إرهاق الشهوات .

فلم يكن نصيب أفلاطون بالقليل فى تنشئة الشيخ الرئيسى وإن كان المشهور عنه أنه خليفة أرسطو بين الناطقة فى المشرق والمغرب ، فالواقع أنه كذلك ، وأنه مع ذلك قريب إلى أفلاطون قرابتين : إحداهما مزاجه الفنى وملكة الخيال التى كانت قوية فيه حتى اعتقد أن الكواكب لها نفوس ومخيلات ، والأخرى قراءته للفارابى وهو من المعظمين لأفلاطون والمؤمنين بالإفلاطونية الحديثة .

ولا يدل هذا على أنه كان متقيداً بمذهب أستاذ أو أكثر من أستاذ من هؤلاء الأسلاف الفكريين والروحيين ، لأنه كان يمارضهم ، كما كان يجاريهم ويوافقهم ، وكانت أكثر معارضاته لهم فيما بينهم وبين الدين من خلاف ، فلم يكن لمذهبه الفلسفى من حدود غير العقيدة الدينية ، وهى صحيحة عنده فى جوهرها الأصيل لاخلاف بينها وبين القضايا العقلية فى غير الظواهر والعروض ...

وهذه هى خلاصة الحلول التى ارتآها ابن سينا لمشكلات الفلسفة الإهليلية كما أجملناها فيما تقدم .

العالم

عند ابن سينا — كما عند أرسطو — أن المادة الأولية والصورة والعدم هى الأصول الثلاثة التى عنها تصدر كل الأجسام الطبيعية ، والعالم مخلوق لم يحدث فى زمان .

يقول مافحواه : إن هذه الكائنات إما أن تكون « ممكنة الوجود جميعاً » وإما أن تكون جميعها واجبة الوجود .

ومحال أن تكون ممكنة الوجود جميعاً ، لأن الممكن يحتاج إلى علة تخرجه من حيز الإمكان إلى حيز الفعل .

ومحال أن تكون واجبة الوجود جميعاً ؛ لأنها بين متحركة تحتاج إلى محرك ، وبين مركبة تحتاج إلى علة لتركيبها ، ولا بد أن تسبقها أجزاؤها .

فهى إذن بعض ممكن الوجود .

وبعض واجب الوجود .

وواجب الوجود هو الذى لا نتصور عدمه ، لأن عدمه يوقعنا فى المحال .

ومن المحال أن يكون واجب الوجود مسبوقا ، لأن الملك الذى يسبقه يكون إذن أولى بالوجوب .

ومن المحال أن يكون مركباً ؛ لأن أجزاء المركب تسبقه وتحتاج إلى فاعل للتركيب والإيجاد .

فهو أول ، وهو جوهر بسيط منزه عن التركيب .

ولم يكن ابن سينا مبدعاً فى كلامه عن واجب الوجود ، أو ممكن الوجود ، لأن الفارابى قد سبقه إليه . كما سبقه المعتزلة وبعض المتكلمين .

ولكن ابن سينا قد أبدع تقسيم الوجود إلى واجب بذاته ، وممكن بذاته ، ولكنه واجب بغيره .

ولذلك وفق بين القائلين بقدم العالم وخلقه ؛ فإن العالم ممكن بذاته ، ولكنه واجب بغيره ، لأنه كان فى علم الله ، وما كان فى علم الله لا بد أن يكون .

وليس العالم حادثاً فى زمان ، لأن الزمان وجد مع العالم : تحرك العالم فوجد الزمان مع هذه الحركة ، وإنما كان وجوده لأنه وجد فى علم الله ، فأخرجه الله من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ، والله قديم بالذات ، سرمدى لا يحيط به وقت

ولا محل ، فالعالم كما كان فى إرادة الله قديم ، وكما كان بالحركة مسبوق بذات الله وهو سبق سرمدى لا يحده الزمان .

وهنا يقول ابن سينا بالحركة الأولى ، كما قال أرسطو بها أو بالعلة الأولى :

فالمحرك الأول هو علة الحركة.

والحركة هى علة الزمان .

والزمان والفلك إذن مخلوقان على السواء .

وابن سيناء — كأرسطو — يقسم الحركة إلى طبيعية ونفسانية : فالحركة الطبيعية مثالها حركة التنقل ، وهى التى تجذب الأجسام بالطبيعة إلى مركز العالم أو مركز الكرة الأرضية ، ومن لوازم هذه الحركة أنها تطلب شيئا وتهرب من شىء ،وليست الحركة المستديرة —أى حركة الفلك — من هذا القبيل ، فإن كل نقطة مطلوبة ومهروب منها هى حركة نفسائية أو هى حركة عقول ، ويدل على أن الحركات الفلكية وحركات عقول — غير الدليل المتقدم — أنها لا تتناهى ، وأن كل جسم له نهاية ، وكل حركة من جسم لابد لها من نهاية .

ومذهب ابن سينا فى الكائنات العلوية أنها عقول ، وأنها ذات إدراك وذات خيال ، وهو بهذا يخالف الإسكندر الإفروديسى ، لأن الاسكندر يرى أن الخيال منوط بتخيل الأشياء لطلب السلامة منها ، وأن الفلك خالد لا يقبل العطب والفساد ولا حاجة به إلى خيال .

لكن العقول العلوية فى مذهب ابن سينا قريبة من ترتيب العقول فى مذهب الإسكندر الإفروديسى وانباع أفلاطين ، وهم يلجئون إليها لتفسير وجود الكثرة من الواحد الذى لا يتعدد: وهو الله.

فالمحرك الأول قد صدر عنه محرك الفلك الأعظم ، وهو العقل الأول .

والعقل الأول صدر عنه الفلك الأعظم والعقل الثانى .

وهكذا إلى العقل التاسع ، ثم العقل الفعال وهو العقل العاشر الذى يسيطر على العالم الأرضى وماتحت فلك القمر ، وعنه تصدر النفوس والأجسام فى عالم الإنسان :

وكل عقل تصدر عنه نفس تناسبه فى الشرف والتنزه عن المحسوسات .

فالواجب الأول يوحى إلى العقول ، والعقول توحى إلى النفوس ، والنفوس تؤثر فى الأجرام العلوية ، وهذه تؤثر فى الأرض أو فيما تحت فلك القمر.

وهكذا تكون حركة الفلك حركة عقل يشتاق إلى مصدره الأول .

بل تكون كل حركة شوقاً إلى مصدرها وصعوداً إلى المصدر الأول وهو الله جل وعلا وتنزه عن الشركاء والأنداد .

فهو الوجود المحض ، والحق المحض ، والخير المحض ، والعلم المحض،والقدرة المحضة ، من غير أن يدل كل معنى مفرد على صفة على حدة ، لأن هذه الصفات تستلزم سلب ألوان من النقص لا توجد فى الكمال ، وهو واحد لا يتعدد ، فإذا قلنا « واحد » فإنما نعنى الوجود مسلوباً عن القسمة والشريك،وإذا قلنا «جوهر» فإنما نعنى الوجود مسلوباً عنه الكون فى موضوع ، وليس فى هذا ولا فى أمثاله موجب للكثرة والمغايرة .

أما الصفات الثبوتية الإيجابية فإذا قلنا إن الله قادر فمعنى ذلك أن وجود غيره يصدر عنه على النحو المتقدم ، وإذا قلنا إن الله مريد فإنما نعنى أن واجب الوجود مبدأ لنظام الخير كله ، وهو يعقل ذلك ، وأنه غير مسلوب الإرادة .

ثم قال : « فإذا علت صفات الأول الحق على هذه الجهة لم يوجد فيها شىء يوجب لذاته أجزاء أو كثرة بوجه من الوجوه » .

وقد وقف بعض الفلاسفة عند قول أرسطو إن الله لايشغل بما دونه ،فقالوا :

أن الله يعقل ذاته فهو عقل ومعقول وعاقل ، وأنه لا يعلم الجزئيات ، لأن العلم بها خاص بالعقل المحدود الذى يتأثر بالحوادث والمعلومات بعد وقوعها ، وأنه لا يعلم الكليات لأن العلم بها منتزع من العلم بالجزئيات ؛ فقال ابن سينا : بل يعلم الله كل ما وقع أو يقع فى ملكه ، إذ ليس علمه بالأشياء لأنها حصلت ، بل هى قد حصلت لأنه علم بها منذ الأزل ، فكان علمه بها سبباً لحصولها ، ولكنه علم يخالف علم الإنسان كما يختلف المحدود وغير المحدود ، وابن سينا فى رأيه هذا قريب من أستاذه الفارابى بعيد عن أرسطو وأفلاطين .

النفس

وجه النفس عند ابن سينا أنها كمال أول لجسم طبيعى آلى أو جسم طبيعى ذى حياة » .

فالجسم الحى يمايز غير الحى بنفسه لا ببدنه . فالنفس إذن صورة لها أو ماهية والصورة أو الماهية هى الكمال الذى تتحقق به الذات ، وكل كمال منقسم إلى قسمين الكمال الذى هو مبدأ الأفاعيل ، والكمال الذى هو ذات الأفاعيل ، والأول هو الكمال المؤثر والآخر هو الكمال المتأثر .

وقد قال « جسم طبيعى » تمييزاً له من الجسم الصناعى وقال : « جسم آلى » تمييزاً له من الجسم الذى يعمل بغير آلات ، وقال إنها « كمال أول » لأنها هى التى تؤثر ، وليست هى الحركة الآتية من التأثير .

وللنفس عنده كما هى عند أرسطو « قوى » تتفاوت من النفس النباتية التى تقوم بالتغذية والنمو والتوالد ، إلى النفس الحيوانية التى تقوم بهذه وبالإرادة معها إلى النفس الإنسانية وهى النفس الناطقة ، ولها مشاعر ظاهرة كالبصر والسمع والذوق والشم واللمس وما إليها مما تحس به من الصلابة واللين والخشونة والملامسة وهذه الحواس هى التى تنقل إلى النفس صورة الأشياء الخارجية .

وللنفس ملـكات باطنية هى المصورة والمفـكرة والوهم والحافظة أو الذاكرة ، والمتصورة هى الحس المشترك الذى يؤلف بين آثار الحواس المختلفة ، ويجمع ما تفرق من المعانى والصفات .

والإنسان والحيوان يدركان الجزئيات بالحواس ، ولـكن الإنسان وحده هو الذى يدرك الـكليات بالنفس الناطقة بغير حاجة إلى الجسد والأعضاء .

فالنفس الإنسانية لها قوتان : عاملة تدبر البدن ، وعاقلة ولها مراتب :

فأولها كونها مستعدة لقبول الصور العقلية ، وهذه المرتبة مسماة بالعقل الهيولانى ، وثانيها أن تحصل فيها التصورات والتصديقات البديهية وهى العقل بالملـكة ، وهذه الملـكة ، مختلفة بحسب كمية تلك البديهيات ، وبحسب كيفية قوة النفس على الانتقال منها إلى المطالب .

وثالثها أن يحصل الانتقال من تلك المبادىء إلى المطالب الفـكرية البرهانية ، إلا أن تلك الصور لا تـكون حاضرة بالفعل بل تـكون بحيث إذا شاء الإنسان أن يستحضرها فعل ذلك . وهذه هى مرتبة العقل بالفعل .

ورابعتها أن تـكون تلك الصورة العقلية حاضرة بالفعل ينظر إليها صاحبها وهى المسماة بالعقل المستفاد .

والعقل بالفعل يتجه إلى العقل الفعال متى شاء ، أما الاتصال التام بالعقل الفعال فهو العقل المستفاد ، وهو عقل النفس القدسية التى ترتقى إلى منزلة العارفين والصديقين .

وليست النفس متحيزة ، لأنها لا تنقسم بانقسام الجسم ولا تتوقف عليه ، فالمشار إليه بقولى « بأنا » باق فى أحوال الجسد كلها سواء فى نموها أو ذبولها ، وقد يكون الإنسان مدركاً للمشار إليه بقولى « أنا » حالماً يكون غافلا عن جميع أعضائه . و « الآنية » لا تتوقف على حقيقة خارجية ولا على شعور بالأعضاء

الجسدية ؛ فابن سينا فى إثبات وجود النفس على هذه الصورة سابق للفيلسوف الفرنسى ديكارت الذى يبطل الشك فى الوجود بقوله : «أنا أفكر فأنا موجود» ، ويعتبر هذه الحقيقة أولى الحقائق الغنية عن الإثبات . وهو سابق له بالقول بأن الإيجاد فيض دائم من قدرة الله . فلا تدوم للموجود صفة الوجود بمجرد إيجاده ، بل يكسبها على التجدد وعلى الدوام .

ويرى ابن سينا أن نفس الإنسان تصدر عن العقل الفعال ، وتدخل فى الجنين عندما يتهيأ الجسد لقبولها ، وأنها تعود إليه بعد مبارحة الجسد متى بلغت مرتبة النفس القدسية من طريق الدراسة أو من طريق الرياضة ، ولا تزال النفوس تخلق من العقل الفعال وتعود إليه بغير انتهاء ؛ لأن عدم التناهى غير ممتنع عند ابن سينا فى المجردات التى لا تتحيز ، وليست بذات وضع فى المكان . وكما قال فى رسالة المعاد : «إن مجيئنا إلى هذا العالم لم يكن باختيارنا وإرادتنا ، ولكن جئنا بالقهر وبالقهر نمكث وبالقهر نخرج ، وإنما جئنا بها للتمحيص والتطهير ليمحص الله الذين آمنوا ويحق الكافرين ، وطهارة النفس إنما تكون بالعمل الشرعى والعلم الإلهى ، كما أن طهارة الجسد من النجاسة إنما تكون بالماء أو بالتراب » .

والجنة عند ابن سينا هى فلك العقل الفعال وما فوقه من البروج ، وأما النار فهى مادون ذلك حيث تختلط النفس بأوشاب الأرض ، وتقصر عن الصفاء الذى تبلغه العقول بالترقى من العقل الهيولانى إلى العقل المستفاد .

وقد نظم ابن سينا بعض هذه المعانى فى قصيدته العينية التى يقول فى مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما	كرهت فراقك وهى ذات تفجع

وجملة القول أن ابن سينا يقول بالنفس الفردية وبقائها بعد فراق الجسد على نحو مما يقول به أستاذه الفارابى ، خلافاً لأتباع أرسطو الذين لا يعرفون للنفس

الإنسانية وجوداً مستقلا بعد الحياة ، ولا بعث بعد الموت إلا للنفس الإنسانية التى لها استعداد للخطاب ، أما النفوس التى ملكتها القوة الغضبية والقوة الشهوانية فحكمها حكم الحيوان « ومن عدم فيضه فلا بعث بعد الموت فإذا مات فكينونته قد ماتت وسعادته قد فاتت ، وثوابه فى العالم الأدنى حصول آماله ، ولا ثواب له فى العالم الأعلى » .

الفصل الخامس (١)

١ — أبو الحسن ثابت بن قرة الحرانى

كان من الصابئة المقيمين بحران ، وهى بلدة قديمة ما بين النهرين . . ويقال الصائبون نسبة إلى صاب — وهو حاطة بن النبي إدريس عليه السلام ، وثابت هذا هو ثابت بن قرة بن مروان .

وكان ثابت بن قرة صيرفيا بحران ثم استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلاد الروم ، لأنه رآه فصيحاً وقيل أنه قرأ على محمد بن موسى ، فتعلم فى داره ، ووصله بالمعتضد ، وأدخله فى جملة المنجمين ، ولم يكن فى زمن ثابت من يماثله فى صناعة الطب ، ولا فى غيره من جميع أجزاء الفلسفة ، وله تصانيف مشهورة بالجودة ، وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقارنون بينه وبين غيره فيما كان عليه من حسن المخرج والتبحر فى العلوم .

وكان يدخل على العباس المعتضد بالله حين حبسه أبوه الموفق فى دار إسماعيل ابن بلبل ، فلما ولى الخلافة قربه إليه .

ومن بديع حسن تصرف ثابت بن قرة فى المعالجة ماحكاه أبو الحسن ثابت بن سنان قال :

حكى أجدادى عن جدنا ثابت بن قرة أنه اجتاز يوماً ماضياً إلى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلا .

---

(١) عيون الانباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (تلخيص الدكتور نزار رضا)

فقال : مات القصاب الذى كان فى الدكان ، فقالوا له : أى والله ياسيدنا مات البارحة وعجبوا لذلك ، فقال : ما مات خذونا إليه ، فقام الناس معه إلى الدار ، فتقدم إلى النساء بالإمساك عن اللطم والصياح ، وأمرهن بأن يعملن مزورة وأومأ إلى بعض غلمانه بأن يضرب القصاب على كعبة بالعصا ، ومازال يضرب كعبيه إلى أن قال (حسبك) .

واستدعى قدحاً وأخرج من مستكه فى كمه دواء فأذابه فى القدح بقليل من الماء وفتح فم القصاب وسقاه إياه ، فأساغه ووقعت الصيحة والزعقة فى الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميت ، فقام ثابت يغلق الباب والاستنشاق منه ، وفتح القصاب عينه ، وأطعمه مزورة وأجلسه، وقعد عنده ساعة ، وإذا بأصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه ، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت والعالم حوله يتصايحون إلى أن دخل دار الخلافة .

ولما مثل بين يدى الخليفة قال له : يا ثابت ، ما هذه المسيحية التى بلغت خبرها عنك فقال : يامولاى ، كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه بشرح الكبد ويطرح عليها الملح ، ويأكلها فكنت أستقذر أولا ، ثم أعلم أن سكتة ستلحقه ، فصرت أراعيه ، وإذ علمت عاقبته انصرفت وركبت للسكتة دواء استصحبته معى فى كل يوم ، فلما اجتزت اليوم وسمعت الصياح قلت مات القصاب، قالوا : نعم مات فجأة البارحة ، إن السكتة قد لحقته ، فدخلت إليه ، ولم أجد له نبضاً ، فضربت كعبه إلى أن عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ، ففتح عينه وأطعمته مزورة ، والليلة يأكل رغيفاً بدراج ، وفى غد يخرج من بيته .

وولد ثابت بن قرة فى سنة ٢١١ هجرية فى يوم الخميس ٢١ من صفر ، وتوفى سنة ٢٨٨ هجرية .

ولقد رثاه صديقه أبو أحمد يحيى بن على بقصيدة طويلة منها :

نعينا العلوم الفلسفيات كلها   خبا نورها إذ قيل قد مات ثابت

وكانوا إذا ضلوا هداهم لنهجها	خبير بفصل الحكم للحق ناكت
ولما أتاه الموت لم يغن طبه	ولا ناطق مما طواه وصامت
عجبت لأرض غيبتك ولم يكن	ليثبت فيها مثلك الدهر ثابت
مضى علم العلم الذى كان مقنعاً	فلم يبق إلا مخطىء متهافت

ومن كلامه :

ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء ، لأنه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجماع فيهرم . . وقال : راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة النفس فى قلة الآثام ، وراحة القلب فى قلة الاهتمام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام .

وأسماء مؤلفاته تملأ ثلاث صفحات من كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (تلخيص الدكتور نزار رضا) .

صفحة ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

نذكر منها :

كتاب فى وجع المفاصل والنقرس ـ اختصار المنطق ـ اختصار كتاب مابعد الطبيعة ـ كتاب فى مراتب العلوم . جوانب كتاب الكثرة لجالينوس ـ جوامع كتاب الأمراض الحادة لجالينوس ـ جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس ـ كتاب جالينوس فى المولودين لسبعة شهور ـ وعدة كتب أخرى مترجمة عن جالينوس ـ كتب المجسطى .

وكتاب فى الحصى المتولد فى الكلى والمثانة .

كتاب فى البياض الذى يظهر فى البدن .

رسالة فى الجدرى والحصبة .

رسالة فى مذهب الصابئين وديانتهم .

كتاب فى استخراج المسائل الهندسية .

كتاب فى المربع منظره .

وبذلك يكون قد جمع الطب والفلسفة والفلك والدين. ومما وجد لثابت بن قرة الصابى بالسريانية الخاصة بمذهبه ـ رسالة فى الرسوم والمفروض والسنن ، رسالة فى تلقين الموتى ودفنهم — رسالة فى اعتقاد الصائبين — رسالة فى الطهارة والنجاسة .

رسالة فى أوقات العبادات — رسالة فى ترتيب القراءة فى الصلاة . صلوات الابتهال إلى الله عز وجل .

أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة :

يلحق بأبيه فى معرفة العلوم وتمهره فى صناعة الطب ، ووجدت فى عهده البيمارستانات ، وكان ينفق على البيمارستان ٦٠٠ دينار كل شهر .

وأشهرها البيمارستان المنصورى .

وكان يمتحن الأطباء فى عهده . . وله كتب كثيرة خاصة بتاريخ ملوك السريانيين والديلم والنجوم والهندسة .

ولعل والده لم يترك له مجالا فى التأليف الطبى ، فلقد ترجم وصنف منها الكثير ، فلم يترك لأحد فى عهده مجالا لمستزيد .

وأنشأ بواسط فى وقت المجاعة دار ضيافة وببغداد بيمارستانا يعالج فيه الفقراء ، وأنفق فى ذلك كثيراً ، وأحسن إلى الرعية إلا أن مدته لم تطل ، وقتل عن قرب والله بالغ أمره .

* * *

أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة .

كان طبيباً فاضلا يلحق بأبيه فى صناعة الطب، وكان هو وولده فى خدمة الراضى بالله .

وقال : أنه خدم بصناعة الطب المتقى بن المقتدر بالله والمستكفى بالله والمطيع لله .

وتقلد فى عام ٣١٣ هجرية رياسة البيمارستان الذى اتخذه ابن الفرات بدرب المفضل .

وجاء فى كتابه :

(إنه لما قطعت يد ابن مقلة استدعانى الراضى بالله فى آخر النهار ، وأمرنى بالدخول إليه وعلاجه ، فصرت إليه يوم قطع يده ، فوجدته محبوساً فى الغلاية التى فى صحن الشجرة ، والباب مقفل عليه ، ففتح الخادم الباب عنه ، ودخلت إليه فوجدته جالساً على قاعدة من بعض أساطين الغلاية ولونه كلون الرصاص الذى هو جالس عليه ، وقد ضعف جداً ، وهو فى نهاية القلق من ضربان ساعده ، ورأيت له فى الغلاية قبة خيش نصبت له ، فلما رآنى بكى وشكى حاله ، ووجدت ساعده قد ورم ورماً شديداً ، وعلى موضع القطع خرقة غليظة كحلية مشدودة بخيط قنب .

فرأيت تطبيبه بما يجب ومكنت منه، وحللت الخيط ونحيت الخرقة ، فوجدت تحتها على موضع القطع زبل الدوات ، فأمرت بأن ينفض منه فنفض ، ورأيت بساعده ، أسفل القطع مشدودا بخيط قنب وقد غاص فى ذراعه لشدة الورم وقد ابتدأ ساعده يسود ، وعرفته أن سبيل الخيط أن يحل ، وأن يجعل موضع الزبل كافور ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور .

فقال : (ياسيدى ، افعل مارأيت) .

فقال الخادم الذى معى : أحتــاج أن أستأذن مولانا الملك . وأذن له الملك وأمر بأن تترفق به وتوفر له العناية ، وتلزمه حتى يهب الله له عافيته .

فحلت الخيط وفرغت المخزنة وطليت ســاعده ، فعاش واســتراح ، وسكن الضربان ، وكان يتألم من قطع يده اليمنى ويقول :

(يد خدمت بها الخلافة ثلاث وقعات لثلاثة خلفــاء ، وكتبت بها القرآن دفتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص ! وقطع لسان ابن مقلة بعد ذلك .

وله كتب عدة فى التاريخ ، وذكر فيها الوقائع التى جرت فى زمانه .

وكانت وفاته سنة ٣٦٣ هجرية .

٢ — عائلة زهر

وأما عائلة زهر فقد انتشرت فى الأندلس .

وكان أولهم « أبو مروان » عبد الملك الفقيه محمد بن مروان بن زهر الأيادى الإشـبيلى .

وثانيهم أبو العلاء زهر بن أبى مروان عبد الملك .

وثالثهم أبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء .

ورابعهم هو الوزير الحـكيم الحسيب أبو بكر محمد بن مروان بن أبى العلاء .

* * *

أبو مروان بن زهر

هو أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الأيادى الإشبيلى كان فاضلا فى صناعته خبيرا بأعمالها مشهورا بالحذق .

ولقد رحل إلى القيروان ومصر ثم رجع إلى الأندلس ، وقصد مدينة دانية ، واشتهر بها فى صناعة الطب وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس .

وله فى الطب آراء شاذة : منها منعه من الحمام واعتقاده أنه يعفن الأجسام ، ويفسد الأمزجة ، وهذا طبعاً خطأ كله ، لأن الاستحمام خير منشط للجسم وهو الذى يبعد عنه العفونة .

وانتقل إلى إشبيلية ومات بها ، وترك أموالا جزيلة . ولما مات خلفه ابنه أبو العلاء زهر بن أبى مروان عبد الملك السابق ذكره .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن ابى أصيبعة تلخيص الدكتور نزار رضا .

وتلقى العلم على أبيه وأبى البقاء المصرى .

واشتغل بصناعة الطب فى أيام المعتضـد بالله أبى عمر وعبـاد بن عبـاد واشتغل بالأدب .

وله من الـكتب :

كتاب الخواص — كتاب الأدوية المفردة .

كتاب حل شكوك الرازى على كتب جالينوس .

مقاله فى الرد على أبى على بن سينا فى مواضـع من كتابه الأدوية المفردة ألفه لابنه أبى مروان .

* * *

أبو مروان بن أبى العلاء بن زهر .

هو أبو مروان بن عبد الملك بن أبى العلاء زهر لحق بأبيه فى صناعة الطب وحسن المعالجة ، واشتغل الأطباء بمصنفاته ، ولم يكن فى زمانه من يماثله فى مزاولة أعمال صناعة الطب ، وقد خدم الملثمين ، ونال منهم النعمة والأموال ، وفى ذلك الوقت دخل المهدى إلى الأندلس وهو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ومعه عبد المؤمن ، وشرع فى بث الدعوة لعبد المؤمن ، ومهد لأمره ، ولما اشتغل عبد المؤمن بالملـكة ، وعرف بأمير المؤمنين استولى على خزائن المغرب، واختص أبا مروان عبد الملك بن زهر لنفسه .

وله كتب منها :

كتاب التيسير فى المداواة والتدبير — كتاب الأغذية — كتاب الزينة —

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (تلخيص الدكتور نزار رضا ٥٢١) .

مقالة فى علل الكلى ، رسالة فى علتى البرص والبهق — كتاب تذكره ذكر بها لإبنه أبى بكر أول ما يتعلق بعلاج الأمراض .

* * *

الحفيد أبو بكر بن زهر :

هو الوزير الحكيم الأديب الحسيب أبو بكر محمد بن أبى مروان بن أبى العلاء بن زهر ، مولده بإشبيلية ، ونشأ بها وتميز بالعلوم ، وأخذ صناعة الطب عن أبيه ، وباشر أعمالها ، وكان معتدل القامة صحيح البنية قوى الأعضاء ، وصار فى سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين منها أى تغيير ، وإنما عرض له فى أواخر عمره ثقل فى السمع ، وكان حافظا للقرآن ، وسمع الحديث ، واشتغل بعلم الأدب وبالعربية ، ولم يكن فى زمانه أعلم منه باللغة ، وقد أكمل صناعة الطب والأدب ، وأجاد الشعر .

وكان ملازما للأمور الشرعية متين الدين قوى النفس محبا للخير ، وكان مهيبا ، وله جرأة فى الكلام ، ولم يكن فى زمانه أعلم منه بصناعة الطب ، وذكره قد شاع واشتهر فى الأندلس وغيرها من البلاد .

وكان شديد اليأس جيد اللعب بالشطرنج جداً ، وخدم الملثمين والموحدين وتوفى سنة ٥٩٦ هجرية بمراكش وقد أتاها ليزور بها ، ودفن هناك فى الموضع المعروف بمقابر الشيوخ وعمره نحو الستين سنة .

وكان قد رأى تذكرة طبية كتبها أبوه لعبد المؤمن الخليفة وكان فى حال شيخوخته .

فقال : يجب أن يبدل بهذا الدواء المفرد دواءا آخر ولما رآه أبوه قال : يا أمير المؤمنين إن الصواب فى قوله واستفادته .

وكأن كريما دفع ٣٠٠ دينار لصديقه ، ولم يقبل منه ردها .

وفى عهده أمر المنصور ألا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة فى بلاده، وأباد كثيراً منها بإحراقها بالنار، ويلحق الضرر بمن توجد عنه أو يقرؤها .

وقد تكلم فى حقه أحد أعوانه فقال المنصور : والله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا قدامى وشهدوا على ابن زهر بما فى هذا المحضر لم أقبل قولهم لما أعرفه فى ابن زهر من متانة دينه وعقله .

ولم يسمح ابن زهر لأحد بقراءة المنطق إلا بعد حفظ القرآن وقراءة التفسير والحديث والفقه والمواظبة على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها .

وكان أبو زيد عبد الرحمن بن برجان وزير المنصورى يعادى الحفيد أبا بكر ويحسده على مايرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه ، فاحتال عليه فى سم أرسله مع أحد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه إلى أبى زهر فى بيض ، وكان معه بنت أخته ، وكانت مثل أمها عالمة بصناعة الطب والدواء تعالج نساء المنصور .

ولما أكل ابن زهير البيض وبنت أخته ماتا جميعا ، ولم ينفع لهما علاج .

وجاء بعده أبو محمد ابن الحفيد الأكبر أبى بكر وكان طبيبا مثل عائلته .

٣ – أبو القاسم الزهراوى

هو أبو القاسم خلف بن العباس الزهراوى ، نسبة إلى الزهراء ، وهى مدينة على نحو سبعة أميال من قرطبة . وكان مولده فى أوائل القرن العاشر الميلادى على أنسب المراجع ، كما أجمت على أنه كان طبيب الخليفة عبد الرحمن الثالث الذى حكم بين عامى ٩١٢ م و ٩٦١ م .

ويقال : إن الجراح العربى أبا القاسم ظهر سابقا لعصره فقد نشأ فى قرطبة وهى بلد ارتقت فيها دراسة الطب إلى أحسن مايكون ، إذ كان بها خمسون مستشفى ومكتبة تحتوى أكثر من مائتين وخمسين ألف كتاب ، كما كان بها جامعةأنشئت (منذ القرن الثامن الميلادى) .

كان الزهراوى طبيبا عظيم القدر ، مبرزا فى صناعة الطب والعلاج ، وتميز على معاصريه بممارسته فى الجراحة ، وارتفع به صبره إلى صناعة مرموقة . كان الزهراوى أعظم جراحى العرب فى العصور الوسطى ومدرسة عصر النهضة فى أوربا ، وكان خصب الإنتاج مجددا فى صناعته ومبتكرا ويثبت هذا من كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » وهو موسوعة طبية فى ثلاثين مثلا ، القسم الأولى منها يبحث فى الأدوية وتركيبها وفوائدها ، والأمراض الباطنية عامة ، وأفرد القسم الثانى للجراحة وأخرجه منفصلا ، وهذا القسم يحتوى على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : خاص بالكى ويقع فى ستة وخمسين فصلا ، ويمتاز بوفرة الشرح والرسوم .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

والباب الثاني : يحتوى على سبعة وتسعين فصلا فى الشق والبسط والفصد ، وفيه وصف لعمليات استخراج حصاة المثانه بالشق والتفتيت . وفصل عن البتر فى حالات الغنغرينا ومعالجة الحالات الصديدية .

والباب الثالث منه : خاص بالكسور وخلع المفاصل ، ويقع فى خمسة وثلاثين فصلا ، وفيه وصف للشلل الناشىء عن كسر فقرات الظهر وفصل عن كسر الحوض ، وفيه أيضاً فصول فى تعليم القوابل وإخراج الجنين الميت ، وصور الآلات التى يحتاج إليها فى إخراجه .

وقد ترجم كتاب التصريف إلى اللاتينية خمس مرات ، وكان أول كتاب فى تاريخ الجراحة ، وبه صور الآلات الجراحية وعددها أكثر من مائتين ، وأغلبها من استنباط الزهراوى واختراعه .

وامتاز هذا المؤلف بحسن الترتيب ، ووضوح الأسلوب ، وبراعة التفسير ، وكان له أثر واضح على الجراحة لمدة قرون ، فقد اقتبس منه شولياك فى القرن الرابع عشر) ، واستشهد به أكثر من مائتى مرة ، كما نقل عنه كثير من جراحى العرب ، بعد عصره بعدة قرون .

وشعار أبى القاسم فى عمله يظهر جليا فى عبارته هذه :

« ينبغى لكم أن تعلموا أن العمل باليد ينقسم قسمين: عمل تصحبه السلامة، وعمل يكون معه العطب فى أكثر الحالات . وقد نبهت فى كل مكان يأتى من هذا الكتاب على العمل الذى فيه الغرور والخوف ، فينبغى أن ترفضوه وتحذروه لئلا يجد الجاهل السبيل إلى القول والطعن ، فخذوه لأنفسكم بالحزم والحياطة ، ولمرضاكم بالرفق والتثبت ، واستعملوا الطريق الأفضل المؤدى إلى السلامة والعاقبة المحمودة ، وتنكبوا الأمراض الخطرة العسرة البرء ، ونزهوا أنفسكم عما تخافون أن يدخل عليكم الشبهة فى دينكم ودنياكم ، فهو أبقى لجاهكم وأرفع فى الدنيا والأخرى لأقداركم » .

ونجد الزهراوى عالما وفنانا رفيع الذوق ، له عقل مبتكر : فى القسم الأول من كتابه يصف بدقة كيف يصنع قالب من الأبنوس أو العاج ينقش فيه اسم الأقراص المستعملة فى العلاج حتى تخرج للمريض فى شكل موحد جميل لا لبس فى نوعه كما وضّح شكل القالب بالرسم .

ولم يقتصر أبو القاسم على وصف تحضير الأدوية المختلفة ، بل بين طريقة حفظها ، وحدد معدن الأوعية التى توافق كلا منها .

وفى القسم الثانى من كتاب التصريف يشرح الآلات الجراحية ، ويرسمها لأول مرة فى التاريخ ، ويصبح هذا تقليداً إلى يومنا هذا .

كما أنه يوصى فى مقدمة هذا القسم بضرورة معرفة التشريح ، لأنه القاعدة الأولى للجراحة ، وقال : إن جهل التشريح جر إلى نتائج وخيمة .

فقــال :

« والسبب فى عدم وجود صانع محسن فى زماننـا أن صناعة الطب طويلة ، وينبغى لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك فى علم التشريح حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئتها ومزاجتها واتصالها وانفصـالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات ، وعددها ، ومخارجها والعروق والقوابض والسواكن ومواضع مخارجها ، ولذلك قال أبقراط : إن الأطباء بالاسم كثيرة وبالفعل قليلة ولا سيما صناعة اليد ، وقد ذكرنا نحن ذلك طرفاً فى المدخل من هذا الكتاب ، لأن من لم يكن عالماً بما ذكرنا من التشريح لم يخل أن يقع فى خطأ يقتل الناس به ، كما شاهدت كثيراً ممن يتصور فى هذا العلم وادعاه بغير علم ولا دراية ، ولذلك أنى رأيت طبيباً جاهلا قد شق على ورم خنزيرى فى عنق امرأة ، فأصاب بعض شريانات العنق ، فنزف دم المرأة حتى سقطت ميتة بين يديه » .

ولم يكن الزهراوى الطبيب العربى الوحيد الذى قال بضرورة تعلم التشريح ، فمن كلام الطبيب الفيلسوف ابن رشد القرطبى قوله : « من اشتغل بالتشريح

ازداد إيمـاناً بالله » وانفرد أبو القـاسم بجراحة الشرايين وربطهـا لأول مرة ، وكانت تجرى جراحة الشرايين وربطهـا لأول مرة ، وكانت تجرى قطع الشريان فى الأصداع لمداواة الصداع العاصى ، وإليكم ماقاله فى وصف عمليته :

« اسلخ الجلد برفق حتى تصل إلى الشريان وتلتقى به وتجذبه إلى فوق حتى تخلصه من الملصقات التى تحته من كل جانب ، فإن كان الشريان رقيقاً فتـكويه بطرف الصنارة ، ثم تقطع منه جزءا بقدر ما يتباعد طرفاه ، و لا يحدث نزيفاً ، فإنه إذا بتر وانقطع ولم ينزف الدم . . ثم استفرغ من الدم ثلاث أوراق إلى ٦ أوراق ، وإن كان الشريان عظيما فينبغى أن تربطه فى مكانين بخيط متنى قوى ، وليـكن من إبريسم أو من أوتار العود لئلا يسرع إليها العفن قبل التئام الجرح فيحدث النزف ، ثم اقطع ما بين الرباطين ، وإن شئت فا كوه ، ثم أحش الموضع بالقطن وضع الرفايد المحـكمة » .

ويكاد الزهراوى يكون إخصائيا فى جراحة المجارى البولية ، فينفرد فى كتابه فصلا عن استخراج الحصاة ، وهذا وصف لإحدى عملياته التى ابتدعها :

« يجلس المريض ويضغط على الحصوة مساعد الجراح على مثانة المريض وهو بين يدى الجراح نفسه ليحصر الحصوة عند عنق المثانة ، ويضع الجراح إصبعه فى مقعدة المريض ويضغط الحصوة أيضاً ، ثم يشق فيما بين المقعد والخصيتين لا فى الوسط ، ولـكن إلى جانب الإلية اليسرى ، ويكون الشق على نفس الحصاة ، ويضغط على الحصوة بالإصبع إلى الخارج ، ويكون الشق مواربا أو عريضا من الخارج وضيقا من جهة المثانة ، وتخرج الحصوة بالضغط » .

ثم قسم الحصاة على حسب شعلها فقال : منها ذوات الزوايا والحروف والملساء، ثم قال : فإذا لم تطاوعك الحصاة فاقبض عليها بجفت محكم يكون طرفه كالمبرد ليضبط الحصاة ، وإذا كانت الحصاة كبيرة جداً فتحايل على كسرها بالـكلاليب حتى تخرجها قطعا .

فـكان لهذا أول من فـكر فى عملية تفتيت الحصاة إذا تعذر إخراجها مما يدل على حسن تصرفه وتمـكنه من صناعته .

وعرف أبو القاسم بتشيمه لعملية الـكى ، وأفرد لها فى كتابه جزءاً كبيراً، ورسم فى كتابه أشـكالا متعددة لآلات الـكى ، وبين استعمال كل منها ،وفضل استعمال الحديد على الذهب فى عمل آلة الـكى إذ يقول : إن الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التى تريدها هل هى الحمراء أو البيضاء مما لايتيسر معرفته فى الذهب فى غير الظلام ، والمعروف فى الطب أيضاً أن الـكى يكون على درجة الحرارة الحمراء ، فإنها تـكوى المكان كيا موضوعيا ، فنزيل الأثر الذى نريد إزالته ، أما البيضاء فإن المعادن تـكون فيها كالمشرط تقطع ولا تـكوى ، وكانت هذه ملاحظة دقيقة .

واستعمل الزهراوى المـكواة فى كثير من الحالات . استعملها فى إيقاف النزف واستئصال السرطان ، وفضلها عن الشرط ، كما استعملها فى جراحة الفتق والعظام ، واستعمل الـكى فى تثبيت المفصل المخلوع ، إذا يقول فى الفصل الخامس والعشرين فى كى الإبط :

« إذا انخلع رأس العضد بسبب رطوبات مزلقة أو يثبت فى حين رده بعد الخلعة حتى يصير مع ذلك عادة برد، ثم ينخلع عند أدنى حركة كما شاهدنا مرارا، فينبغى أن يرد الفك أولا، ثم يستلقى العليل على ظهره أو على الجانب الصحيح ثم يرفع الجلد الذى فى داخل الإبط إلى فوق بإصبعك من يدك اليسرى إن كان المفصل انخلع إلى الداخل ، ثم تحمى المـكواة ذات السفودين (التى هذه صورتها ويرسمها)

ثم تـكوى بها الجلد حتى تنفذها إلى الجانب الآخر ، ويأتى شـكلى الـكى أربع كيات ، وقد يكون الـكى بمكواة ذات السفافيد الثلاثة فيـكون شكل الـكى حينئذ ست كيات ، وهذه صورة المـكواة ذات السفانيد الثلاثة ، ويرسمها . وقد تزاد على هذا العدد واحدة فتـكون الـكيات ثمانيـــة ، ثم تحمل على الـكى الـكرات المدقوق مع الملح ، ثم تلزم العليل الدعة ، ولا تحرك العضو زمانا حتى يقوى » .

واستعمل الزهراوى فى علاج الجروح المتقيحة المـاء المالح والخمرة .

لم يترك أبو القاسم فرعا من فروع الجراحة إلا كان له فيه أثر ملحوظ .

عمل عملية الشق لإخراج ما يسقط فى الأذن ، واستعمل المحقن فى غسل الأذن ، ورسمه رسماً دقيقاً ، وبين أنه يصنع من النحاس أو الفضة .

كما مارس جراحة العين ، فـكان يعالج الشعرة فى العين :

١ — بالـكى بالنار .

٢ — أو الـكى بدواء محرق .

٣ — القطع والخياطة .

٤ — بقصب الغاب .

ويصف علاج الظفرة فيقول :

اسلخ الشعر جانب الظفرة الذى يلى الحدقة كأنك تقشرها بالشعرة إلى آخرها ، ثم أقطع الباقى ، أى الذى ليس على الحدقة بمبضع ، ويمكن سلخها بالمبضع الأملس .

وعمل فى جراحة الأسنان — فاستعمل الـكلاليب فى خلع الأسنان ، وكان ينشر الأسنان الزائدة ، ويثبت الأسنان المتحركة بخيوط من ذهب .

ويقول فى قطع اللوزتين : يكبس اللسان بآلته ثم تغرز صنارة فى اللوزة وتشد إلى الخارج ، ثم تقطع بآلة كالمقراض .

ولقد وصف الزهراوى وصف الـكيس الهيدتانى ، كما وصف العمليـــة الـكلاسكية لاستئصال سرطان الثدى ، وحذر من وجود ثانويات سرطانية .

وقام بعملية إزالة أكياس الغدة الدرقية . ويعتبر بورتل أن أبا القاسم أول من استعمل السنانير فى استئصال البوليب .

ويقول « سيرنجل » . إن الزهراوى أول من وصف استخراج حصى المثانة عند النساء عن طريق المهبل .

واستعمل الزهراوى جفت الولادة ورسم شكله ، وهو أول من وصف الاستعداد الخاص فى بعض الأجسام للنزيف « هيموفيليا » وقال : إنه شاهد عدة حوادث نزيف من هذا النوع فى عائلة واحدة وعالجها بالكى .

ومما هو جدير بالذكر أن أبا القاسم كان يروى تجاربه الشخصية وما كان يصيبه من الصعوبات وكيف ذللها ، ومن استعرض أعمال الزهراوى فى الجراحة وما أضافه إليها لا يسعه إلا أن يعترف له بالإمامة ، ويضعه فى المرتبة الأولى بين قادة العلم .

الفصل السادس

١ — موفق الدين عبد اللطيف البغدادى

هو الشيخ الإمام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على أبى سعد ويعرف بابن اللباد ، موصلى بغداد المولد ، كان مشهورا بالعلوم متحليا بالفضائل ، مليح العبارة كثير التصنيف . وكان متميزا فى النحو واللغة العربية ، عارفا بعلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها ، وكان يتردد إليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الأطباء للقراءة عليه ، وكان والده قد شغله بسماع الحديث فى صباه من جماعه منهم أبو الفتح محمد بن عبد البـــاقى المعروف بابن البطى ، وأبو زرعة طاهر بن محمد القدسى ، وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم .

ونقلت من خطه فى سيرته التى ألفها ما هذا مثاله قال : إنى ولدت بدار لجدى فى درب الفالوذج فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وتربيت فى حجر الشيخ أبى النجيب لا أعرف اللعب واللهو ، وأكثر زمانى مصروف فى سماع الحديث ، وأخذت لى أجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر . وقال لى والدى يوما : قد سمعتك جميع عوالى بغداد وألحقتك فى الرواية بالشيوخ الحسان . وكنت فى أثناء ذلك أتعلم الخط وأتحفظ القرآن والفصيح والمقاومات وديوان المتنبى ونحو ذلك ، ومختصرا فى الفقه ومختصراً فى النحو . فلما ترعرعت حملنى والدى إلى كمال الدين عبد الرحمن الأنبارى ، وكان يومئذ شيخ بغداد ، وله بوالدى

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الثالث القسم الثانى .

صحبة قديمة أيام النفقة بالنظامية . فقرأت عليه كلاما كثيراً متتابعاً لم أفهم منه شيئاً ، لكن التلاميذ حوله يعجبون منه ، ثم قال : أنا أجفو عن تعليم الصبيان ، أحمله إلى تلميذى الوجيه الواسطى يقرأ عليه فإذا توسطت حاله قرأ على . وكان الوجيه عنده بعض أولاد رئيس الرؤساء ، وكان رجلا أعمى من أهل الثروة والمروءة . فأخذنى بكلتا يديه ، وجعل يعلمنى من أول النهار إلى آخره بوجوه كثيرة من التلطف ، فكنت أحضر حلقته بمسجد الظفرية ، ويجعل جميع الشروح لى ويخاطبنى بها . وفى آخر الأمر أقرأ درسى ويخصنى بشرحه . ثم نخرج من المسجد حتى يذاكرنى فى الطريق ، فإذا بلغنا منزله أخرج الكتب التى يشتغل بها مع نفسه ، فأحفظ له وأحفظ معه حتى يذهب إلى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه ويشرح له ، وأنا أسمع . وتخرجت إلى أن صرت أسبقه فى الحفظ والفهم ، وأصرف أكثر الليل فى الحفظ والتكرار ، وأقمنا على ذلك ، كلما جاء كثر وجاد ، وفهمى ثرى واستنار ، وذهنى أحتد واستقام ، وأنا ألازم الشيخ وشيخ الشيخ وأول ما ابتدأت حفظت اللمع فى ثمانية أشهر ، أسمع كل يوم شرح أكثر مما يقرؤه غيرى ، وأنقلب إلى بيتى فأطالع شرح الثمانين ، وشرح الشريف وشرح ابن برهان ، وكل ما أجد من روحها . وأشرحها لتلاميذ يختصون بى إلى أن صرت أتكلم على كل باب ، ولا ينفذ ما عندى ، ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة حفظاً متقناً : أما النصف الأول ففى شهور ، وأما تقويم اللسان ففى أربعة عشر يوما لأنه كان أربعة عشر كراسا ، ثم حفظت مشكل القرآن وغريب القرآن له ، وكل ذلك فى مدة يسيرة ، ثم انتقلت إلى الإيضاح لأبى على الفارسى فحفظته فى شهور كثيرة ، ولازمت مطالعة شروحه وتتبعته التتبع التام حتى تبحرت فيه ، وجمعت ما قال الشراح . وأما التكملة فحفظتها فى أيام يسيرة كل يوم أحفظ كراسا ، وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد ، وكتاب ابن درستوية . وفى أثناء ذلك ، لم أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب ، وهى مدرسة معلقة بناها فخر الدولة ابن المطلب .

قال : وللشيخ كمال الدين مائة وثلاثون تصنيفاً ، أكثرها فى النحو وبعضها فى الفقه والأهلال وفى التصوف والزهد ، وأتيت على أكثر تصانيفه سماعاً وقراءة وحفظاً. وشرع فى تصنيفين كبيرين أحدهما فى اللغة والآخر فى الفقه، ولم يتفق له إتمامها ، وحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه وأكببت على المقتضب فأتقنته . وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيبويه ولشرحه للسيرافى . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخى كتباً كثيرة منها كتاب الأصول لابن السراج، والنسخة فى وقف ابن الخشاب برباط المأمونية . وقرأت عليه الفرائض والعروض للخطيب التبريزى ، وهو من خواص تلاميذ ابن الشجرى. وأما ابن الخشاب فسمعت عنه الحديث المسلسل .

وقال أيضاً موفق الدين البغدادى : إن من مشايخه الذين انتفع بهم كما زعم والد أمين الدولة بن التلميذ . وبالغ فى وصفه وأكثر ، وهذا لكثرة تعصبه للعراقيين، وإلا فوالد أمين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريب منها . وقال إنه ورد إلى بغداد رجل مغربى جوال فى زى متصوف له أبهة ولسن مقبول الصورة عليه مسحة الدين، وهيئة السياحة ينفعل لصورته من رآه قبل أن يخبره ، ويعرف بابن نائلى ، يزعم أنه من أولاد المتلثمة . خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن . فلما استقر ببغداد اجتمع إليه جماعة من الأكابر والأعيان ، وحضره الرضى والقزوينى ، وشيخ الشيوخ ابن سكينة ، وكنت واحداً ممن حضروه ، فاقرأنى مقدمة حساب، ومقدمة ابن بابشاذ فى النحو ، وكان له طريق فى التعليم عجيب ، ومن يحضره يظن أنه متبحر، وإنما كان متطرفاً، ولكنه أمعن فى كتب الكيمياء والطلسمات وما يجرى مجراها ، وأتى على كتب جابر بأسرها ، وعلى كتب ابن وحشية، وكان يجلب القلوب لصورته ومنطقه وابهامه ، فملأ قلبى شوق إلى العلوم كلها، واجتمع بالإمام الناصر لدين الله وأحبه ، ثم سافر واقبلت على الأشتغال ، وشمرت ذيل الجد والاجتهاد، وهجرت النوم واللذات وأكببت على كتب الغزالى : المقاصد والمعيار والميزان ومحك النظر ، ثم انتقلت إلى كتب ابن سينا صغارها وكبارها

وحفظت كتاب النجاة وكتاب الشفاء وبحثت فيه ، وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا . وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حسان الصوفى وابن وحشية ، وباشرت علل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة ، وأقوى من من أضلنى ابن سينا بكتابه فى الصنعة الذى أتم به فلسفته التى لا تزداد بالتمام إلا نقصا .

قال : ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الإحسان الصلاحى جمعا كثيرا منهم جمال الدين عبد اللطيف ولد الشيخ أبى النجيب ، وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء ، وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جهير وابن العطار ، وابن هبيرة الوزير ، واجتمعت أنا بالكندى البغدادى النحوى وجرى بيننا مباحثات ، وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان ، لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه ، جرت بيننا مباحثات فأظهرنى الله تعالى عليه فى مسائل كثيرة ، ثم إنى أهملت جانبه ، فكان يتأذى بإهمالى له أكثر مما يتأذى الناس منه. وعملت بدمشق تصانيف جمة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيه غريب ابى عبيد القاسم بن سلام ، وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابى ، وكنت ابتدأت به فى الموصل وعملت له مختصراً سميته المجرد ، وعملت كتاب الواضحة فى إعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً ، وكتاب الألف واللام ، وكتاباً فى الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسألة الرد على الكندى ، ووجدت بدمشق الشيخ عبدالله بن نائل نازلا بالمئذنة الغربية ، وقد عكف عليه جماعة وتحزب الناس فيه حزبين له وعليه ، فكان الخطيب الدولعى عليه ، وكان من الأعيان منزلة وناموس ، ثم خلط ابن نائل على نفسه فأعان عدوه عليه ، وسار يتكلم فى الكيمياء والفلسفة ، وكثر التشنيع عليه . واجتمعنا به فصار يسألنى عن أعمال أعتقد أنها خسيسة نزره . فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها عنى ، وكاشفته فلم أجده كما كان فى نفسى فأساء به ظنى وبطريقه ، ثم باحثته فى العلوم فوجدت عنده منها أطرافاً نزرة فقلت له : يوماً لو صرفت زمانك الذى ضيعته فى طلب الصنعة إلى

بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك ، مخدوما طول عمرك . وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبه .

ثم اعتبرت بحاله وازجرت بسوء مآله والسعيد من وعظ بغيره فأقلعت ، ولكن لا كل الإقلاع. ثم أنه توجه إلى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو إليه الدولعى وعاد مريضاً وحمل إلى البيمارستان فمات به . وأخذ المعتمد كفنه إلى دمشق ، وكان متيما بالصنعة . ثم إنى توجهت إلى زيارة القدس ، ثم إلى صلاح الدين بظاهر عكا واجتمعت حينئذ ببهاء الدين بن شداد قاضى العسكر يومئذ ، وكان قد اتصلت به شهرتى بالموصل فانبسط إلى وأقبل على، وقال: نجتمع نحن وعماد الدين الكاتب فقمنا إليه ، وخيمته إلى خيمة بها الدين ، فوجدته يكتب كتباً إلى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة ، وقال : هذا كتاب إلى بلدكم ، وذاكرنى فى مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا بنا إلى القاضى الفاضل ؛ فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلا له رأس وقلب ، وهو يكتب ويملى على أثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب وتختلف الحركات ، وسألنى القاضى الفاضل عن قوله سبحانه تعالى حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ، أين جواب إذا . وأين جواب لو فى قوله تعالى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ، وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والإملاء . وقال لى : ترجع إلى دمشق ، وتجرى عليك الجرايات ، فقلت : أريد مصر ، فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت : لابد لى من مصر ، فكتب لى ورقة صغيرة إلى وكيله بها .

فلما دخلت القاهرة جاءنى وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر نافذ الأمر وأنزلنى داراً طيبة وجاءنى بدنانير وغلة ، ثم مضى إلى أرباب الدولة وقال: هذا ضيف القاضى الفاضل، فنزلت على الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة القاضى الفاضل إلى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية فى حقى ، وأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ

رحمه الله أقرأ ، وكان قصدى فى مصر ثلاثة أنفس ياسين الكيميائى والرئيس موسى ابن ميمون اليهودى وأبو القاسم الشارعى وكلهم جاءونى أما ياسين فوجدته كذاباً مشعوذا يشهد للشاقانى بالكيمياء ويشهد له للشاقانى بالكيمياء ، ويقول عنه : إنه يعمل أعمالا يعجز موسى بن عمران عنها . وإنه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأى مقدار شاء ، وبأية سكة شاء ، وإنه يحمل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه تحتها . وكان ضعيف الحال . وجاءنى موسى فوجدته فاضلا للغاية قد غلب عليه حب الرياسة ، وخدمة أرباب الدنيا . وعمل كتباً فى الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ، ومن خمسة كتب أخرى ، وشرط ألا يغير فيه حرف إلا أن يكون واوعطف أوفاء وصل ، وإنما ينقل فصولا لا يختارها ، وعمل كتابا لليهود سماه كتاب الدلالة ، ولعن من يكتبه بغير القلم العبرانى . ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن أنه يصلحها . وكنت ذات يوم بالمسجد وعندى جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب ، نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم ، وأخذت فى إتمام كلامى ، فلما تصرم المجلس جاءنى أمام المسجد وقال : أتعرف هذا الشيخ ؟ هذا أبو القاسم الشارعى فاعتنقه وقلت أياك أطلب ، فأخذته إلى منزلى وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته . قد رضى من الدنيا بالقليل لا يتعلق منها بشىء يشغله عن طلب الفضيلة ، ثم لازمنى فوجدته فيما يكتب كتب أبى نصر الفارابى ، ولم يكن لى اعتقاد فى أحد من هؤلاء لأنى أظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه ، وإذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل . ويغلبنى بقوة الحجة ، وظهور المحجة . وأنا لا تلين قناتى لغمزة ، ولا أحيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه ، فصار يحضر لى شيئا بعد شىء من كتب أبى نصر الإسكندر ناسطيوس يؤنس نفارى ، ويلين عريكة شماسى حتى عطفت عليه أقدم رجلا وأؤخر أخرى .

وشاع أن صلاح الدين هادن الفرنج ، وعاد إلى القدس ، فقادتنى الضرورة

إلى التوجه إليه ، فأخذت من كتب القدماء ما أمكنى ، وتوجهت إلى القدس ، فرأيت ملكا عظيما يملأ العين روعة ، والقلوب ، محبة قريبا بعيدا سهلا محببا ، وأصحابه يتشبهون به ، ويتسابقون إلى المعروف كما قال تعالى : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » وأول ليل حضرته وجدته حفلا بأهل العلم يتذاكرون فى أصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ، ويأخذ فى كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ، ويتفقه فى ذلك ، ويأتى بكل معنى بديع . كان مهتما فى بناء سور القدس وحفر خندقه ، ويتولى ذلك بنفسه ، وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضى الفاضل ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر ، ويأتى داره بعد الطعام، ثم يستريح ويركب العصر ويرجع فى المساء ، ويصرف أكثر الليل فى تدبير ما يعمل نهاراً ، فكتب لى صلاح الدين بثلاثين ديناراً فى كل شهر على ديوان الجامع بدمشق واطلق أولاده رواتب على حتى تقرر لى فى كل شهر مائة دينار .

ورجعت إلى دمشق وأكببت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع ، وكلما أمعنت فى كتب القدماء ازددت فيها رغبة ، وفى كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان كيمياء وعرفت حقيقة الحال، ومن وضعها وتكذّب بها ، وما كان قصده فى ذلك ، وخلصت من ضلالين عظيمين مزيفين ، وتضاعف شكرى لله سبحانه على ذلك فإن أكثر الناس إنما هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء .

ثم إن صلاح الدين دخل دمشق ، وخرج يودع الحاج ، ثم رجع فحم فقصده من لاخبرة عنده ، فخارت القوة ، ومات قبل الرابع عشر ، وحزن الناس عليه حزنهم على الأنبياء ومارأيت ملكا تألم الناس لموته سواه لأنه كان محبوبا يحبه البار والفاجر ، والمسلم والكافر، ثم تفرق أولاده وأصحابه أيدى سبا ، ومزقوا فى البلاد كل ممزق ، وأكثرهم توجه إلى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها ، وأقمت بدمشق وملكها الملك الفاضل وهو أكبر الأولاد فى السن إلى أن جاء الملك العزيز

بعساكر مصر يحاصره أخاه بدمشق ، فلم ينل منه بغية ، ثم تأخر إلى مرج الصفر لقولنج عرض له ، فخرجت إليه بعد خلاصه منه ، فأذن لى فى الرحيل معه ، وأجرى على من بيت المال كفايتى وزيادة ، وأقمت مع الشيخ أبى القاسم يلازمنى صباح مساء إلى أن قضى نحبه ، ولما اشتد مرضه ، وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه وأشرت عليه بدواء فأنشد .

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

ثم سألته عن ألمه فقال . ما لجرح بميت إيلام

وكان سيرتى فى هذه المدة . أننى أقرىء الناس بالجامع الأزهر من أول النهار نحو الساعة الرابعة ، ووسط النهار يأتى من يقرأ الطب وغيره ، وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون . وفى الليل أشتغل مع نفسى ، ولم أزل على ذلك إلى أن توفى الملك العزيز ، وكان شابا كريما شجاعا كثير الحياء لايحسن قول (لا) ، وكان مع حداثة سنه وشرخ شبابه كامل العفة عن الأموال والفروج .

أقول . ثم إن الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك مدة ، وله الرتب والجرايات من أولاد الملك الناصر صلاح الدين ، وأتى إلى مصر ذلك الغلاء العظيم والموت الذى لم يشاهد مثله ، وألف الشيخ موفق الدين فى ذلك كتابا ذكر فيه أشياء شاهدها أو سمعها ممن عاينها تذهل العقل ، وسمى ذلك الكتاب « كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق ، وتفرقت أولاد أخيه الملك الناصر صلاح الدين ، وانتزع

ملكهم — توجه الشيخ موفق الدين إلى القدس ، وأقام بها مدة ، وكان يتردد إلى الجامع الأقصى ، ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم ، وصنف هنالك كتبا كثيرة ، ثم إنه توجه إلى دمشق ، ونزل بالمدرسة العزيزية بها ، وذلك فى سنة أربع وستماية وشرع فى التدريس والاشتغال ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرءون أصنافا من العلوم ، وتميز فى صناعة الطب بدمشق ، وصنف فى هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به ، وأما قبل ذلك فإنما كانت شهرته بعلم النحو ، وأقام بدمشق مدة وانتفع الناس به . ثم إنه سافر إلى حلب ، وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة ، وكان فى خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب أزربيجان . وكان عنده عظيم المنزلة ، وله منه الجامكة الوافرة والافتقادات الكثيرة ، وصنف باسمه عدة كتب ، وكان هذا الملك عالى الهمة كثير الحياء كريم النفس ، وقد اشتغل بشىء من العلوم ، ولم يزل فى خدمته إلى أن استولى على ملكه صاحب أرض الروم ، وهو السلطان كيقادين كيخسرو بن قلج أرسلان ، ثم قبض على صاحب أذربيجان ولم يظهر له خبر .

قال الشيخ موفق الدين ، عبد اللطيف . ولما كان فى سابع عشر ذى القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة توجهت إلى أرض الروم ، وفى حادى صفر من سنة تسعة وعشرين وستمائة توجهت إلى أزربيخان من أرض الروم ، وفى نصف ربيع الأول توجهت إلى كماخ : وفى جمادى الأولى توجهت منها إلى ديركى ، وفى رجب توجهت منها إلى مالطية ، وفى آخر رمضان توجهت حلب ، وصلينا صلاة عيد الفطر بالبهنساء ، ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال ، فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها وأمنها بحسن سيرة أتابك شهاب الدين ، واجتمع الناس على محبته لعدله فى رعيته .

أقول . وقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يتلقون عليه العلوم ، وكثرت تصانيفه ، وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن ، وهو متفرغ لتدريس الطب وغيرها ، ويتردد إلى الجامع بحلب ليسمع الحديث ويقرىء العربية . وكان دائم الاشتغال ملازما للكتابة والتصانيف ، ولما أقام بحلب قصدت

أنى أتوجه إليه ونجتمع معا ، فلم يتفق ذلك ، وكانت كتبه دائمـــاً تصل إلينا ومراسلاته ، وبعث إلى أشياء من تصانيفه من خطه .

ولموفق الدين عبد اللطيف البغدادى من الكتب . كتاب غريب الحديث ، جمع فيه غريب أبى عبيد القاسم ابن سلام ، وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابى . كتاب الواضحة فى إعراب الفاتحة ، كتاب الألف واللام كتاب المجرد من مسألة فى قوله سبحانه . « إذا أخرج يده لم يكد يراها » مسألة نحوية مجموع مسائل نحوية وتعاليق ، كتاب شرح بانت سعاد ، كتاب ذيل الفصيح . الكلام فى الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين . شرح أوائل المفصل ، خمس مسائل نحوية . شرح نقد ابن بابشاذ وسماه باللمع الكاملية . شرح الخطب النباتية ، شرح الحديث المتسلسل ، شرح أربعين حديثا طيبة . كتاب الرد على ابن خطيب فى تفسير سورة الإخلاص . كتاب كشف الظلامة عن قدامه ، أحاديث مخرجة من الجمع بين الصحيحين كتاب اللواء العزيز باسم الملك العزيز فى الحديث ، كتاب قوانين البلاغة ، عمله بحلب سنة خمس عشرة وستمائة . حواشى على كتاب الخصائص لابن جنى ، كتاب الإنصاف ، بين ابن برى وابن الخشاب على المقامات للحريرى . مسألة تفسير قوله عليه السلام . الراحمون يرحمهم الرحمن ، وكتاب العجلان فى النحو ، اختصار كتاب الصناعتين للعسكرى ، اختصار كتاب العمدة لابن رشيق .

مقالة فى الوفق ، كتاب الجلى فى الحساب الهندى ، إختصار كتاب النبات لابن حنيفة الدينورى ، إختصار مادة البقاء للتميمى ، كتاب الفصول وهو بلغة الحكيم سبع مقالات ، شرح كتاب الفصول لأبقراط ، شرح كتاب تقدمة المعرفة لأبقراط ، إختصار وشرح جالينوس لكتب الأمراض الحادة لأبقراط . إختصار كتاب الحيوان لأرسطوطاليس . تهذيب مسائل لأرسطوطاليس . كتاب منافع الأعضاء لجالينوس . إختصار كتاب آراء أبقراط وأفلاطن . إختصار كتاب الجنسين . إختصار كتاب الصوت . إختصار كتاب المنى . إختصار

كتاب آلات التنفس . إختصار كتاب العضل . إختصار كتاب الحيوان للجاحظ . كتاب فى آلات التنفس وأفعالها ست مقالات . مقالة فى قسمة الحميات وما تقوم به كل واحد منها و كيفية تولدها . كتاب النخبة وهو خلاصة الأمراض الحادة . إختصار كتاب الحميات للاسرائيلى . إختصار كتاب البول للاسرائيلى . إختصار كتاب النبض للاسرائيلى . كتاب أخبار مصر الكبير . كتاب أخبار مصر الصغير مقالتان ، وترجمة كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر فرغ من تأليفه فى العاشر من شعبان سنة ثلاث وستمائة بالبيت المقدس . كتاب تاريخ وهو يتضمن سيرته ألفه لولده شرف الدين يوسف . مقالة فى العطش ، مقالة فى الماء . مقالة فى إحصاء مقاصد واضعى الكتب فى كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار . مقالة فى معنى الجوهر والعرض . مقالة موجزة فى النفس . مقالة فى الحركات المعتاده . مقالة فى العادات . الكلمة فى الربوبية .

مقالة تشتمل على أحد عشر باباً فى حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها . مقالة فى البادى بصناعة الطب . مقالة فى شفاء الضد بالضد . مقالة فى ديابيطس والأدوية النافعة له . مقالة فى الراوند حررها بحلب فى جمادى الآخرة من سنة سبع عشرة وستمائة ، وكان قد وضعها بمصر سنة خمس وتسعين وخمسمائة . مقالة فى الحنطة . مقالة فى الشراب والكرم . مقالة فى البحران صغيرة . رسالة إلى مهندس فاضل كتب بها من مدينة حلب . إختصار كتاب المفردة لابن وافد، إختصار كتاب الأدوية المفردة لابن سمحون . كتاب كبير فى الأدوية المفردة . مختصر فى الحميات مقالة فى المزاج . كتاب الكفاية فى التشريح . كتاب الرد على ابن الخطيب فى شرحه بعض كليات القانون . كتاب تعقب حواشى ابن جميع على القانون. مقالة يرد فيها على كتاب على بن رضوان المصرى فى اختلاف جالينوس وأرسطوطاليس . مقالة فى الحواس . مقالة فى الكلمة والكلام . كتاب تحفة الأمل . مقالة فى الرد على اليهود والنصارى . مقالتان أيضاً فى الرد على اليهود والنصارى . مقالة فى ترتيب المصنفين .

كتاب الحكمة العلائية ذكر فيه أشياء حسنة فى العلم الإلهى ، وألف كتابه هذا لعلاء الدين داود بن بهرام صاحب أزربيجان . مقالة فى جهة التوطئة فى المنطق ، حواش على كتاب البرهان للفارابى .

كتاب الترياق فصول منتزعة من كلام الحكماء : حل شىء من شكوك الرازى على كتب جالينوس . كتاب المراق فى الغاية الإنسانية ثمانى مقالات : مقالة فى ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات ، مقالة فى موازنة الأدوية والأدواء من جهة الكيفيات ، مقالة فى تعقب أوزان الأدوية ، مقالة أخرى فى المعنى وكشف شبه وقعت لبعض العلماء ، مقالة فى المعنى فيها جواب ثلاث مسائل ، مقالة سادسة مختصرة ، مقالة تتعلق بموازين الأدوية الطبية وفى المركبات ، مقالة فى التنفس والصوت والكلام ، مقالة فى اختصار كلام جالينوس فى ساحة الصحة . إنتزاعات من كتاب ديسقوريدس فى صفات الحشائش . إنتزاعات أخرى فى منافعها . مقالة فى تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ووجدته أيضاً قد ترجمها ، مقالة فى السياسة العملية . كتاب العمدة فى أصول السياسة .

مقالة فى جواب مسألة سئل عنها فى ذبح الحيوان وقتله ، وهل ذلك سائغ فى الطبع وفى العقل كما هو سائغ فى الشرع ؟ مقالتان فى المدينة الفاضلة . مقالة فى العلوم الضارة . رسالة إلى المكن . مقالتان : مقالة فى الجنس والنوع أجاب بها فى دمشق سؤال فى سنة أربع وستمائة . الفصول الأربعة المنطقية . تهذيب كلام أفلاطن . حكم منثورة لإيساغورجى . مقالة فى النهاية واللانهاية . كتاب تأريث الفطن فى المنطق والطبيعى والإلهى . مقالة فى كيفية استعمال المنطق . مقالة فى حد الطب . مقالة فى البادىء بصناعة الطب . مقالة فى أجزاء المنطق التسمة مجلد كبير . مقالة فى القياس .

كتاب فى القياس خمسون كراساً ، ثم أضيف إليه المدخل والمقولات والعبارة والبرهان فجاء مقداره أربعة مجلدات . مقالة فى جواب مسألة فى التنبيه على سبل

السعادة . كتاب السماع الطبيعي مجلدان . كتاب آخر في الطبيعيات من السماع إلى كتاب النفس . كتاب العجيب . حواش على كتاب الثمانية المنطقية للفارابي . شرح الأشكال البرهانية من ثمانية أبي نصر . مقالة في تزييف الشكل الرابع . مقالة في تزييف مايعتقده أبو علي بن سينا من وجود أقيسة شرطية تنتج نتائج شرطية .

كتاب النصيحتين للأطباء والحكماء . كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي. رسالة في المعادن وإبطال الكيمياء . مقالة في الحواس . إختصار كتاب الحيوان لابن أبي الأشعث . إختصار القولنج لابن أبي الأشعث . مقالة في السرسام . مقالة في العلة المراقية . مقالة في الرد على ابن الهيثم في المكان . مختصر فيما بعد الطبيعة . مقالة في التخيل ألفها بمصر سنة تسع وتسعين وخمسمائة وبيضها بمدينة أزربيجان في رجب سنه خمس وعشرين وستمائة . مقالة في اللغات وكيفية تولدها . مقالة في الشعر . مقالة في الأقيسة الوضعية . مقالة في القدر . مقالة في الملل . الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الإلهي ، وهو زهاء عشرة مجلدات أتم تصنيفه في نحو عشرين سنة ونيف . كتاب المدهش في أخبار الحيوان ابتدأت بكراسة منه بدمشق سنة سبع وستمائة وكمل في أربعة أشهر بحلب سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو في مائة كراس . كتاب الثمانية في المنطق وهو التصنيف الوسط .

أردت بسرد كل هذه المؤلفات أن أبين كيف كان يعمل العلماء المسلمون في عهودنا الزاهرة وكيف كانوا يحيطون بكل شيء ويجمعوا بين علوم الدين متمثلة في تفسير القرآن الكريم والحديث وعلوم الدنيا متمثلة في الطب والسياسة والفلسفة.

٣ — ابن النفيس [١]

ولد ابن النفيس حوالى ٦٠٧ هجرية (١٢١٠ ميلادية) ، وكانت ولاية دمشق للسلطان العادل سيف الدين من ٥٩٥ هجرية (١١٩٩ ميلادية) ، ويرجع أن تاريخ مغادرته الشام إلى القاهرة فى عهد الكامل محمد ٦٣٥ هجرية (١٢٣٨ ميلادية) .

وكانت دمشق قد ورثت مجد بغداد الطبى ، وازدهر فيها العلم بفضل حكامها الأمويين الذين كانوا يهتمون بالعلوم عامة والطب خاصة ، وكان بها مكتبه تعد من أحسن المكتبات فى ذلك الوقت أنشأها نور الدين محمد بن زنكى ، وجمع لها أنفس الكتب ، وكان بها بيمارستان جلب إليه أمهر أطباء عصره ، وكانوا قد لجئوا إلى دمشق من بغداد وأغلبهم من تلاميذ أمين الدولة بن التلميذ البغدادى الأصل الذى توفى فى بغداد ٥٥٩ هجرية ، وقد حمل هؤلاء معهم نسخاً من أشهر المؤلفات كقانون ابن سينا الذى دأب على دراسته والتعليق عليه جهابذة من أمثال فخر الدين المردينى .

المطران ورضى الدين

ومن أشهر تلاميذ هذين الأخيرين مهذب الدين عبد الرحيم على المسمى بالرضوان الذى توفى سنة ٦٢٨ هـ والذى عنى فى بدء حياته العملية بأمراض العيون فى البيمارستان النورى بدمشق ثم عينه السلطان سيف الدين الأيوبى رئيساً لأطباء سورية ومصر حوالى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) ، ولقد كان الرضوان أستاذ ابن النفيس وابن أبى أصيبعة ، وقد أفرد له أبو الفضل العمرى فى كتاب (مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار) ٣٧ فصلا مستفيضاً جاء فيه مايلى :

---

(١) ابن النفيس (الدكتور بول غليونجى)

كان فى الحكماء علماً وفى إثبات الحكم قلماً ، وكان لفروع الطب شجرة يكاد زيتها يضىء وكأنه جالس أرسطاطاليس . وقال عنه ابن أبى أصيبعة :

كان رحمه الله أوحد عمره وفريد دهره وعلامة زمانه ، وإليه انتهت صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغى عليه وتحقيق كلياتها وجزئياتها فاق أهل زمانه فى صناعة الطب وحظى عند الملوك ونال من جهتهم من المال والجاه مالم ينله غيره من الأطباء ، وولاه السلطان الكبير رئاسة أطباء ديار مصر بأسرها وأطباء الشام ، وفوض إليه النظر فى أمر الكحالين واختبارهم .

ومن غير هؤلاء تتلمذ ابن النفيس فى دمشق على عمران الإسرائيلى الذى قال عن ابن أبى أصيبعة : أنه كان يتردد على البيمارستان الكبير ، ويعالج به المرضى ، وكان فى هذا يزامل الدخوار ، وكان ابن أبى أصيبعة وابن النفيس يتدربان معهما فيه على الطب ، هؤلاء هم أساتذة ابن النفيس فى دمشق ، وكانت طريقة تعليم الطب تمتاز بالتدقيق فى تفحص المرضى ومتابعة مظاهر المرض فى تطورها واستجابتها للعلاج وبالمباحثة مع الزملاء والطلبة دون قيد أو حرج ، وتلك هى الطريقة الإكلينيكية الصحية التى لم يأخذ بها الغرب إلا مؤخراً فى عهد سيدنهام فى لندن (١٦٢٤ — ١٦٨٩) .

وبورهان فى ليدن هولندا (١٦٦٨ — ١٧٣٨) .

ولا معدى من اقتباس ما كتبه ابن أبى أصيبعة ونحن نكتب تاريخ الطب الإسلامى .

قال ابن أبى المجد بن أبى الحكم : كان يدور على المرضى بالبيمارستان ، ويتفقد أحوالهم وبين يديه المشرفون والقوم لخدمة المرضى ، فكان جمع ما كتبه لكل مريض فى المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى فى ذلك ، وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه إلى القلعة وافتقاده المرضى من أعيان الدولة يأتى ويجلس

فى الديوان الكبير للبيمارستان وجميعه مفروش ، ويحضر كتب الاشتغال ، وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبيه ، وكانت فى الجورستانيين الدخلين اللذين فى صدر الإيوان ، فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ، ويقعدون بين يديه ، ثم تجرى مباحث طبيه فيقرىء التلاميذ ، ولا يزال معهم فى اشتغال ومباحثه ونظر فى الكتب مقدار ثلاث ساعات ثم يركب دابته .

هذه هى الطريقة المتبعة الآن فى أحدث كليات الطب العالمية وهى تطبيق العلم تطبيقاً عملياً .

ولقد كان الغرب فى ذلك الوقت يكتفى باستذكار النصوص والتعليق عليها .

نشأ ابن النفيس فى هذا الجو العلمى الصحيح المبنى على الخبرة والأصالة فى التفكير والمناقشة غير المقيدة قبل أن يرسله حكام دمشق من الأيوبيين إلى مصر مع طائفة من زملائه منهم عبد اللطيف المهندس ويوسف السبتى وابن أبى أصيبعة .

ذهب ابن النفيس إلى مصر ليجد بيمارستانا قد شيده الناصر صلاح الدين .

ولقد بنى المنصور قلاوون بيمارستانا أطلق عليه البيمارستان المنصورى أو البيمارستان الجديد .

ولقد اختلف الرواة فى أيهما اشتغل ابن النفيس . فى البيمارستان الناصرى أم المنصورى ؟

غير أنه من الجائز أن يكون قد عمل بالمستشفى العتيق فترة من حياته إلى أن أنشىء مستشفى قلاوون ، فرأى السلطان أن يسند إدارته إلى هذا الطبيب العظيم ليستفيد من سمعته الطبية وتوجيهه الفنى المستنير ، وربما يفسر ذلك سر إهداء ابن النفيس مكتبة لهذا المستشفى الناشىء الذى لم يكن قد تيسر له وجود مكتبه له .

* * *

حياة ابن النفيس العلمية

كان ابن النفيس كثير التأليف سريعه ، وكان بحسب ما ذكر الشيخ أبو محمود (يكتب إذا صنف من صدره من غير مراجعة حال التصنيف ، وكان على ثقة اليقين بما يقوله ، فقد روى أنه قال . (لو لم أعلم أن تبقى مدة عشرة آلاف سنة ما وضعتها) .

وكان ملما بكل ما كتب قبله وموهوباً بقوة نقدية نادرة فى ذلك الوقت ، فلقد اشتهر بانتقاده لجالينوس الذى لم يجرؤ على نقده إلا قلة من العلماء ، وهذا ما أشير إليه فى عدة تراجم ، فلقد جاء فى مسالك الأبصار مثلا أنه كان يغض من كلام جالينوس ويصفه بالعى والإسهاب الذى ليس تحته طائل ، وتأكدت شدة كرهه لجالينوس كما جاء فى مخطوط بدار الكتب بالقاهرة .

(مخطوط بتاريخ ١١١٢ الجزء الثانى ص ٢٨٣) ذكره مابرهوف (٢٨) ، وكان يعظم كلام أبقراط ، وقيل . إنه شرع يكتبها كلها وإن لأكثرها شرحين مطولا ومختصرا .

وكان يجل ابن سينا ، ويحفظ كليات القانون ويشير به على المشتغلين بالطب.

لقد بدأ فى دراسة ابن سينا وبسطها بما كتبه لها من شروح ولذلك سمى ابن سينا الثانى .

وكان كريماً بمعلوماته وأوصى بوقف داره وما جمعه من الكتب للبيمارستان المنصورى ،

ومن المؤسف أنه لم يبق من سيل كتاباته إلا النزر اليسير ، ولعل سبب قلة ماوصل إلينا منها أنها كانت بسبب كبر أحجامها مما يصعب استنساخه كشف المثقفون فى خزائن الكتب فى المستقبل عن شيء مما ضاع منها كشرح الإشارات أو المقالة فى النبض أو شروح كتب أبقراط غير التى وصلتنا على أننا نعرف منها الآتى:

١ — كتاب الشامل فى الطب . ويرجح أن ابن النفيس قصد بهذا المؤلف الضخم تجميع كل ما وصل إليه الطب فى زمانه فى موسوعه تضاهى موسوعه (الحادى) للرازى ، ولا يوجد الآن من هذا المصنف إلا بعض فقرات فى مكتبه البودليان بأكسفورد (رقم ٥٣٦ — ٥٣٩) .

٢ — كتاب المهذب فى الكحل الموجود فى مكتبه الفاتيكان (٣٠٧ أرابو) ، وقد ذاع صيت هذا المؤلف فى زمانه ، ولم يصل إلى علمنا منه إلا نبذة اقتبسها منه صدقة ابن إبراهيم الشاذلى (عاش فى النصف الأخير من القرن الرابع عشر الميلادى) وهى خاصة بتدهور حالة المصابين بانسكاب صديدى فى الخزانة المتقدمة من العين إذا تحركوا ، ونبذة أخرى فى علاج الرمد الحبيبى ذكرها هرشبرج (٥٢) .

(٣) كتاب المختار فى الأغذية :

وهو كتاب لم يذكر فى أية ترجمة من تراجمه ، ولكنه فى مكتبة برلين وهو يعنى بالغذاء فى الأمراض الحادة ، ولذا فقد يكون إيحاؤه من مؤلف أبقراط المسمى الغذاء فى الأمراض الحادة ، وقد لقب ابن النفيس فى عنوان هذا الكتاب بالرئيس .

(٤) شرح فصول أبقراط : موجود فى مكتبات برلين وجوتا وأكسفورد وباريس والاسكوريال (٥٣) وفى أيا صوفيا نسخة مؤرخة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨م) ، أى سنة وفاته ، والظاهر أن هذا المؤلف الذى كرسه لأشهر كتابات أبقراط نال شهرة واسعة ، وقد طبع فى إيران سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨١ م) .

(٥) شرح تقدمات المعرفة: وهو تعليق على تكهنات أبقراط وذكره حاجى خليفة ، وبروكلمان (٥٣) .

(٦) تعليق كتاب الأوبئة لأبقراط : (موجود فى أيا صوفيا رقم ٣٦٤٢) .

(٧) شرح تشريح جالينوس (أيا صوفيا ٣٦٦١) ، وهـذا المؤلف يبدأ من الـكتاب الثامن .

(٨) شرح مسائل حنين بن اسحاق ، ذكره بدر الدين محمود بن أحمد العينى (فى عقود الزمان) ، وأصله بمكتبة ليدن بهولنـدا (١٢٩١) ، وإن كان بروكلمان (٥٣) يشك فى أصالته .

(٩) شرح القانون ، وقيل : إنه شرح (فى عشرين مجلداً شرحاً حل فيـه الموضوعات الحكيمة ورتب فيه القياسات المنطقية ، وبين فيها الاستدلالات الطبية . وتوجد نسخة منها فى مكتبة أكاديميا طب نيويوك (٥٤) .

(١٠) شرح مفردات القانون ، ومنه نسـخة فريدة فى أيا صوفيا (فهرس ص ٣١٨ رقم ٣٦٥٩) .

(١١) كتاب موجز القانون ، وهو شرح مقتضب تناول كل أجزاء القانون ماعدا التشريح ووظائف الأعضاء ، أصـــله موجود فى باريس ، أكسفورد ، فلورنسا ، ميونخ ، الأسكوريال .

(١٢) تفاسير العلل وأسباب الأمراض ، وهو مؤلف ذكره بروكلمان (٥٣) .

(١٣) شرح الهداية فى الطب .

(١٤) شرح تشريح القانون وهو فى نظر الباحثين معجزة الطب العربى .

لم يكن ابن النفيس مجهولا لدى المؤرخين المعاصرين كما زعم البعض ، فلقد ذكر ليـكلير فى كتابه فى الطب العربى ، وأفرد صفحتين لمؤلفاته (٢٣) .

وإنما الذى كان مجهولا لديهم هو أهمية كشوفه . فلقـد اكتفى هذا المؤرخ وهو يشير إلى شرح تشريح القانون الذى يحوى النظرية الثورية التى ابتـكرها بقوله : إن نسخاً منه فى مكتبات باريس والأسكوريال وأكسفورد وبرلين من دون أن يشفع ذلك بتعليق منه .

ويرد ذكر اسم ابن النفيس ويلمع على يد طبيب مصرى هو الدكتور محي الدين التطاوى فى خلال مطالعاته للمخطوطات العربيه بمكتبة برلين عند اطلاعه على مخطوط رقم ٦٢٢٤٣ (٢٤) وعنـوانه : شرح تشريح القـانون ، أى قانون ابن سينا ، فعنى بدراسته وتدبج رسالة لنيل الدكتوراه من جامعة فرايبورج بألمانيا موضوعها الدورة الرئوية للقرشى (٢٥) ، فقد ذهل أساتذته والمشرفون عليه وما كاد يصدقونه لجهلهم باللغة العربيـة ، ولا بد لنا من أن نلم بجزء بسيط من تاريخ الطبيب المصرى الذى اكتشف عالمنـا العربى القـديم ، وهو الدكتور محي الدين التطاوى فلقد ولد فى ٧ من أكتوبر ١٨٩٦ فى محلة منوف ، ودرس طنطا والقاهرة وحصل على الشهادة الثانوية ١٩١٨ ، وكان ترتيبه ١٢٥ ، والتحق بالمهندسخانة ١٩١٨ و ١٩١٩ . وحين هبت الثورة المصرية رفت كثير من طلبة المدارس العليا، فلجأ كثير منهم إلى أوربا لتـكملة تعليمهم .وكان هو أحد المرفوتين

والتحق التطاوى ١٩٢٠ بكلية طب برلين ، وبعد تخرجه عمل طبيباً بوزارة الصحة المدرسية ، وتوفى سنة ١٩٤٥ . وهو يقاوم وباء التيفوس ، فمات شهيد الواجب والإنسانية .

لقد قدم رسالة عن الدورة الرئوية للقرشى ، وذهل الأساتذة الألمان لما جاء فيها ، فأرسلوا نسخة من الرسالة إلى الدكتور مايرهوف الطبيب المستشرق الألمانى الذى كان إذ ذاك يقيم بالقاهرة ، والتمسوا رأيه فيها ، فأيد مايرهوف الدكتور التطاوى وأبلغ المؤرخ جورج سـارتون الخبر ، فنشره فى آخر جزء من مؤلفه الضخم فى تاريخ العلوم .

ثم بادر مايرهوف إلى البحث عن مخطوطات أخرى لابن النفيس وعن تراجم له ، ونشر نتيجة بحوثه فى عدة مقالات ، وبذلك عاد نجم ابن النفيس يلمع بعد أن خبأ سبعة قرون .

وقد عثر الدكتور سامى حمارنة على نص فى مخطوط جاء فيه :

(علاء الدين أبى الحزم القرشى المتطبب، القرشى (القرش يتضمن قرية قرب الشام) كان شيخاً فاضلا كالبحر الخضم والطود الأشم للعلوم ، ولم يكن منفرداً بفن من الفنون ، ولو لم يكن له غير شرح غوامض القانون لـكفى به دليلا على غزارة فضله وعزارة علمه ... إلخ .

ولقـد عثر يوسف العش على نص ورد فى مسالك الأبصـار : ومنهم على ابن الحزم وهو الإمام الفاضل الحـكيم العلامة علاء الدين ابن النفيس القرشى بفتح الفاء لا ضمها) الدمشق فرد الدهر وواحده ، وأخو كل علم ووالده ، إمام الفضائل ، وتمام الأوائل ... إلخ .

وكان علاء الدين إماماً فى الطب لايضاهى فى ذلك ولا يدانى استحضاراً واستنباطاً .

نظرية ابن النفيس فى الدورة الدموية صفحة ١٢٢ من كتاب ابن النفيس للدكتور بول غليونجى .

يمكن حصرها أتى به ابن النفيس من جديد فى الفقرات التالية الخاصة بالروح والتى يتضح منها مبدئياً أن المؤلف قبل النظرية السائدة وهى أن البطين الأيسر والشرايين مملوءة بالروح ، وأن الروح تتولد فى التجويف الأيسر باختلاط الدم والهواء قال ابن النفيس :

(والذى نقوله نحن والله أعلم : إن القلب لما كان من أفعاله توليد الروح وهى إنما تتكون من دم رقيق جداً شديد المخالطة بجرم هوائى فلابد أن يحجل فى القلب دم رقيق جداً وهواء ليمكن أن يحدث الروح فى الجرم المختلط منها ، وذلك حيث يولد الروح وهو فى التجويف الأيسر .

ثم يفسر ضرورة الرقة الشديدة فى الدم الواصل إلى التجويف الأيسر وكيفية حدوث هذه الرقة يقول:(ولا بد فى قلب الإنسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر

يلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء ، فإن الهواء لو خالط بالدم وهو على غلظه لم يكن جملتها جسماً متشابه الأجزاء ، وهذا التجويف هو التجويف الأيمن .
نستطيع إذن أن نستخلص أن وجود تجويف آخر محتم فى نظره لضرورة تلطيف الدم لمخالطة الهواء ، وهذا استنتاج غائى بحت ، ونعنى بذلك استنتاجه وجود الشيء من ضرورته ، وربما قال البعض : إنه سبق فى ذلك (لامارك) وأمثاله فى نظريتهم القائلة بأن الوظيفة تكيف العضو ، ولكن العلماء كانوا — فى رأينا كثيراً مايبدأون بملاحظة واقعية ، ثم يشغلون أنفسهم بعد ذلك بمحاولة استنتاج ضرورتها ، ويسترسل ابن النفيس فى سرده لآرائه فيقول :

(وإذا لطف الدم فى هذا التجويف (الأيمن) فلابد من نفوذه إلى التجويف الأيسر حيث يولد الروح) .

وهذا بالطبع ضرورى لإتمام نظريته فى تكوين الروح ، ثم يضيف : ولكن ليس بينهما منفذ ، فإن جرم القلب هناك سميك ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ، ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظن جالينوس ، فإن مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ .

من أين إذن يكون مرور الدم ؟ ألم ينكر صراحة وجود مسام فى الحاجز ؟ لقد بحث ابن النفيس عن مكان هذا الاتصال فلم يزد على أن يقطع بأن الدم بعد أن يلطف فى التجويف الأيمن ينفذ إلى الرئة ، وهناك على حد قوله يخالط الهواء ويرشح ألطف مافيه ، وينفذ إلى الشريان الوريدى (الوريدى الرئوى) ليوصله إلى التجويف الأيسر ، ويكون قد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح ، ويضيف : « وما بقى منه أقل لطافة تستعمله الرئة فى غذائها » .

وقد أكد هذا فى موضع آخر بقوله : (فإن نفوذ الدم إلى البطين الأيسر إنما هو من الرئة بعد تسخينه وتصعده من البطين الأيمن كما قررناه أولا) .

وكأنه لم يكتف بكل هذا ، فأراد زيادة التأكيد بأن الدم إنما يجرى فى اتجاه واحد وأنه ليس موضوع مد وجزر .

فقال أيضاً : (قوله وإيصال الدم الذى يغذو الرئة إلى الرئة من القلب) هذا هو الرأى المشهور وهو عندنا باطل ، فإن غذاء الرئة لا يصل إليها فى هذا الشريان لأنه لا يرتفع إليها فى التجويف الأيسر من تجويفى القلب إذ الدم الذى فى هذا التجويف إنما يأتى إليه من الرئة لا أن الرئة آخذة منه ، وأما نفوذ الدم من القلب إلى الرئة فهو فى الوريد الشريانى (الشريان الرئوى) واستطرد فى معرض حديثه عن سبب نحافة جدار الوريد الرئوى فقال :

وليكون أطوع (أى جدار الوريد) ليرشح منه مايرشح إلى الرئة من الدم اللطيف هذا أيضاً على الرأى المشهور ، والحق أنه ليس كذلك ، بل ليكون أطوع لقبول ماينفذ منه من الدم الهوائى الذى يوصله من الرئة إلى القلب . يبدو بوضوح فى كل هذه الفقرات أن ابن النفيس اهتدى إلى العلم بأن اتجاه الدم ثابت وأنه يمر من التجويف الأيمن إلى الرئة حيث يخالط الهواء ، ومن الرئة عن طريق الشريان الوريدى (الوريد الرئوى) إلى التجويف الأيسر .

ولننظر الآن إلى ماقاله عن الشريان الوريدى (الوريد الرئوى والشريان الرئوى)

بدأ ابن النفيس بأن تناول الشريان الوريدى وهو مانسميه (بالوريد الرئوى) فقال : إن هذا العرق شبيه بالأوردة وشبيه بالشريان ، أما شبهه بالأوردة فلأنه من طبقة واحدة ، وأن جرمه نحيف ، وأنه على قوام ينفذ منه الدم لغذاء عضو .

ويفسر هذا فى فقرة أخرى بقوله : فلابد أن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ فى الوريد الشريانى (الشريان الرئوى) إلى الرئة ليثبت فى جرمها ويخالط الهواء ويصفى ألطف مافيه ، وينفذ إلى الشريان الوريدى ليوصله إلى التجويف الأيسر .

ثم فى مكان آخر يقول : (لذلك جعل الوريد الشريانى (الشريان الرئوى) ذا طبقتين ليكون ماينفذ من مسامه شديد الرقة وجعل الشريان الوريدى نحيفا ذا طبقة واحدة ليسهل قبوله لما خرج من ذلك الوريد ، ولذلك جعل من هذين العرقين منافذ محسوسة .

وفيما يتصل بهذه المنافذ يجب أن نتذكر أن العدسة المكبرة لم تكن قد اخترعت بعدوان وأن مالبيجى لم يكشف عن الأوعية الشعرية إلا بعد عدة قرون مما جعل الشرايين تعد منفصلة انفصالا تاما عن الأوردة ؛ ولذلك فإن ابن النفيس لم يبعد كثيرا عن الحقيقة عند ماقال : إن الدم يمر من مسام بين العرقين أو من منافذ محسوسة هى بمثابة الأوعية الشعرية .

وهناك نقطة لم يوافق فيها ابن سينا وهى عدد تجاويف القلب فى قوله: وفيه ثلاثة بطون ، وهذا كلام لايصح ؛ فإن القلب له بطنان فقط أحدهما مملوء من الدم ، وهو الأيمن ، والآخر مملوء من الروح ، وهو الأيسر ، ولامنفذ بين هذين البطنين البتة ، وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح ، فيفسد جوهرها ، والتشريح يكذب ماقالوه .

* * *

وهذه العبارة الأخيرة جديرة بالتأمل ، فقد سبق أن قال لنا فى ديباجة (شرح التشريح) : « وقد حدنا عن مباشرة التشريح وازع الشريعة وما فى أخلاقنا من الرحمة » وها هو ذا يقدم لنا الدليل على اعتماده على هذا التشريح إذ يقول : « والتشريح يكذب ذلك » وهو بطبيعة الحال لايعنى تشريح جالينوس ولاابن سينا ، ولسنا نجد تفسيرا لهذا التناقض الظاهرى سوى أنه حرص على عدم إثارة حنق رجال الدين ، شأنه فى ذلك شأن كثيرين من العباقرة

المجددين أمثال كوبرنيكوس وجليليو عندما استهلوا مؤلفاتهم الثورية بتأكيد تبعيتهم للعقائد الدينية السائدة فى عصرهم . كما أنه حرص على ألا يتهم بالجهل كما كان يتهم كل من ينكر تعاليم جالينوس ، إذ اعتذر عن هذا النقد حين قال فى الديباجة نفسها : « إلا فى أشياء يسيرة ظننا أنها من أغاليط النساخ » وذلك لإثارة الشك فى أمانة النساخ لا فى علم الفاضل جالينوس .

وإلى هذا فإن فى هذا الكتاب فقرات عدة تستحق الذكر وتحض على التأمل والاعتبار ، وحسبي أن أذكر عبارة واحدة لها أهميتها بالنسبة لتاريخ الطب ، وهى خاصة بتغذية عضلة القلب التى كان قد قال عنها ابن سينا إنها عن طريق الدم الموجود فى تجويفه . يقول ابن النفيس : « قوله ليكون له مستودع غذاء يتغذى به وجعله الدم الذى فى البطين الأيمن منه يتغذى القلب لا يصح البتة فإن غذاء القلب إنما هو من الدم المار فيه من العروق المارة فى جرمه .

وهذه العبارة تجعل إبن النفيس أول من فطن إلى وجود أوعية داخل عضلة القلب تغذيها ، وهى تضيف دليلا آخر على أن ابن النفيس مارس التشريح ، كما أنها تجعل منه أول من وصف الشريان الإكليلى وفروعه .

ولعلنا نستطيع الآن أن نتصور الدورة الدموية كما كان يتصورها ابن النفيس مستندين فى ذلك إلى ماسبق أن استشهدنا به من فقرات وردت فى « شرح تشريح القانون » .

فقد كان يرى أن الدم يأتى غليظا من الكبد إلى التجويف الأيمن حيث يلطف ، ثم يمر فى الوريد الشريانى (الشريان الرئوى) وهو وعاء غير نابض يتحرك بحركة الرئة حركة معتدلة هى سبب غلظ جداره ، ثم يصل إلى الرئة حيث ينقسم قسمين : قسم رقيق يصفى من مسام الشريان الرئوى ، وقسم غليظ يتبقى فى الرئة لتغذيتها : أما القسم الرقيق فإنه يختلط بالهواء القادم إلى الرئة عن

طريق القصبة الهوائية ، ويدخل الشريان الوريدى (الوريد الرئوى) عبر جداره النحيف ، وعلة هذه النحافة أولا ضرورتها لتسمح بمرور الدم الرقيق ، ثم كثرة حركتها إذ أنها كانت — فى زعمه — نابضة تلقائيا بالإضافة إلى أنها متحركة تبعاً لحركة الرئة ، ثم يصل الدم الرقيق المخلوط بالهواء إلى التجويف الأيسر حيث تتكون الروح التى تخرج منه إلى الأورطة فالشرايين فالأنسجة ، أما غذاء القلب فيكون عن طريق أوعية خاصة تمر فى صميم عضلة القلب .

٤ — على بن رضوان

هو أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر ، كان مولده ومنشؤه بمصر وبها تعلم الطب ، وقد ذكر على بن رضوان فى سيرته كيفية تعلمه صناعة الطب فقال ما نصه (إنه لما كان ينبغى لكل إنسان أن يتخير أليق الصنائع وأوفقها له وكانت صناعة الطب تتاخم الفلسفة طاعة لله عز وجل ، وكانت دلالات النجوم فى مولدى تدل على أن صناعتى الطب ، وكان العيش عندى فى الفضيلة أكثر من كل عيش — أخذت فى تعلم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة تقريباً .

ولقد بدأت فى التعليم فى سنتى السادسة ، ولما بلغت العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى ، وأجهدت نفسى فى التعليم ولما أتممت اربع عشرة سنة تقريبا أخذت فى تعلم الطب والفلسفة ، ولم يكن لى مال أنفق منه فلذلك عرض لى فى التعليم صعوبة ومشقة ، فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا إلى النجوم ، ومرة بصناعة الطب ، ومرة بالتعليم ، ولم ازل كذلك وأنا فى غاية الاجتهاد فى التعليم إلى السنة الثانية والثلاثين فإنى اشتهرت فيها بالطب ، وكفانى ما كنت أكسبه بالطب من مال ، وكان يفضل عنى إلى وقتى هذا ، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين ، وكسبت مما فضل عن نفقتى أملاكا فى هذه المدينة إن كتب الله لها السلامة وبلغت سن الشيخوخة كفانى فى النفقة منها ، وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومى هذا أعمل تذكرة لى وغيرها فى كل سنة إلى أن قررتها على هذا التقرير الذى أستقبل به السنة الستين من ذلك أتصرف فى كل يوم فى صناعتى بمقدار ما يغنى ومن الرياضة التى تحفظ صحة البدن واغتذى بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة ، وأجتهد فى حال تصرفى فى التواضع والمداراة وغياث الملهوف وكشف كربة المكروب وإسعاف المحتاج

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة تلخيص نزار رضا ٥٦ .

وأجعل قصدى فى كل ذلك الالتذاذ بالأفعال والانفعالات الجميلة ، ولا بد أن يحصل مع ذلك كسب ما ينفق فأنفق منه على صحة بدنى وعمارة منزلى ، وما فضل بعد ذلك صرفته فى إعطاء الأهل والإخوان والجيران .

وأجعل ثيابى قريبة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة ، وألزم الصمت وكف اللسان عن معايب الناس .

وأجتهد ألا أتكلم إلا بما ينبغى ، وأتوقى الأيمان ومثالب الآراء ، فأحذر العجب وحب الغلبة ، وأطرح الهم والاغتمام لا أسلف ولا أتسلف إلا أن أضطر إلى ذلك .

وما بقى من يومى بعد فراغى من رياضتى صرفته فى عبادة الله سبحانه وتعالى بأن أتنزه بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، وأتدبر فعاله وأقرأ أرسطاطاليس فى التدبير ، وآخذ نفسى بلزوم وصاياها بالغداة والعشى ، وأتفقد فى يوم خلوتى ماسلف فى يومى من أفعالى وانفعالاتى ، فما كان خيرا أو جميلا أو نافعا سررت به ، وما كان شرا أو قبيحا أو ضارا اغتممت به ، ووافقت نفسى بألا أعود إلى مثله .

وأقتصر على خمسة كتب من كتب الأدب وعشرة كتب من كتب الشرع وكتب أبقراط وجالينوس فى صناعة الطب وما جانسها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس وكتب روفس وأريباسيوس وبولس وكتاب الحاوى للرازى ، ومن كتب الفلاحة والصيدلة أربعة كتب ، ومن كتب التعليم المجسطى ومداخله وما انتفع به فيه والمربعة لبطليموس ، ومن كتب أفلاطون وأرسطاليس والإسكندر ومحمد الفارابى ، وكانت داره بمدينة مصر فى قصر الشمع .

وتغير عقله فى آخر عمره لأن جاريته سرقت عشرين ألف دينار هى مجموع ثروته .

وكان كثير الرد على معاصريه من الأطباء وعلى من تقدموه وله كتاب يتضمن أن تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين ، ورد عليه ابن بطلان فى ذلك وردد الأسباب .

١ — الفهم فى التسبب وهو العلم أقرب وأسهل من غير التسبب وهو الكتاب .

٢ — النفس العلامة علامة بالعقل .

والتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتب .

٣ — إذا استعجم المتعلم لفظا انتقل به المعلم إلى لفظ آخر .

٤ — العلم موضوعه اللفظ .

٥ — وصول اللفظ عن حاسة السمع .

٦ — سقم النسخ ورداءة العقل .

٧ — الاعتياض عن المسألة البسيطة بالموجة المعدولة .

قال ابن رضوان عن الصفات التى يجب أن تتوافر فى الطبيب :

الطبيب على رأى أبقراط هو الذى اجتمعت فيه سبع خصال .

الأولى : أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، حسن الروية عاقلا ذكورا خير الطبع .

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوما لأسرار المرضى لا يبوح بشىء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته فى إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته فى علاج الفقراء أكثر من رغبته فى علاج الأغنياء .

الخامسة . أن يكون حريصا على التعليم والمبالغة فى منافع الناس .

السادسة . أن يكون سليم الخلق ، عفيف النظر ، صادق اللهجة لا يخطر

يباله شي ، من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأغنياء فضلا على أن يتعرض إلى شيء منها .

السابعة : أن يكون مأمونا ، ثقة على الأرواح والأموال ، فلا يصف دواء قتالا ولا دواء يسقط الأجنة ، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

ثم قال : والمعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه هذه الخصال بعد استكماله لصناعة الطب ، والمتعلم لها هو الذي فراسته تدل على أنه ذو طبع خير ونفس ذكية ، وأن يكون حريصا على التعلم ذكيا ذكورا لما قد تعلمه .

وقال :

وتعرف العيوب بأن ينظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتعتبر أفعال الأعضاء الباطنية والظاهرة مثل أن ينادى من بعيد ليختبر بذلك حال سمعه ، وأن يختبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ولسانه في جودة الكلام .

وقوته بحمل الثقل والإمساك بالشيء والضبط والمشي ونحو ذلك بأن ننظر مشيه مقبلا ومدبرا ، ويؤمر بالاستلقاء على ظهره ممدود اليدين قد ينصب رجليه ويصفهما ويعتبر بذلك حال أحشائه ، ويتعرف حال مزاج قلبه بالنبض وبالأخلاق ومزاج كبده بالبول وحال الأخلاط ، ويعتبر عقله بأن يسأل عن أشياء وفهمه لها وطاعته بأن يؤمر بأشياء وأخلاقه بما يميل إليه ، وعلى هذا المثال يجرى الحال في تفقد كل واحد من الأعضاء والأخلاق ، أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس .

هذا الوصف يعتبر جزءاً مما سجل الطب في الكشف الاكلينيكي الآن .

مؤلفاته :

قام بشرح كتب جالينوس ، فشرح كتاب الصناعة الصغيرة ، ثم كتاب النبض الصغير ، وكتاب المزاج وكتاب جالينوس ، ووضع رسالة في الجذام ، وكتاب تتبع مسائل حنين وكتاب النافع في كيفية تعلم صناعة الطب وهو ثلاث

مقالات : مقالة فى أن جالينوس لم يغلط فى أقاويله فى اللبن على ما ظنه قوم ، ومقاله فى دفع المضار عن الأبدان فى مصر ، ومقالة فى سيرته ، وله مقال خاص فى الشعير وما يعمل منه.. ومقال فى مذهب أبو قراط فى تعليم الطب ، وله أيضاً تفسير ناموس الطب لأبو قراط وتفسير وصية أبو قراط المعروفة بترتيب الطب ، وله كلام فى الأدوية المسهلة . . و كتاب فى عمل الأشربة والمعاجين ، ومقالة فى إحصاء عدد الحميات ، و كتاب فى حل شكوك الرازى على كتب جالينوس ، ويقع فى سبع مقالات .

ومقالة فى نقض مقالة ابن بطلان فى الفرخ والفروخ ، ومقالة فى النار ، ومقال فيما قد أورده ابن بطلان ، ومقالة فى أن ماجهله بيقين وحكمة ، وماعمله ابن بطلان غلط وسفسطة ، ومقال فى أن ابن بطلان لا يعلم كلام نفسه فضلا عن كلام غـــيره ورسالة إلى أطباء مصر والقاهرة فى خبر ابن بطلان ، و كتاب فى مسائل جرت بينه وبين ابن الهيثم فى المجرة والمـكان .

ورسالة فى أزمنة الأمراض ، ومقالة فى النظرية بالطب والسعادة، ومقالة فى الأورام ومقالة فى شرف الطب ورسالة فى بقاء النفس بعد الموت ، ومقالة فى بناء النفس على رأى افلاطون وأرسطوطاليس ، ومقال فى كل السياسة ، ومقال فى توحيد الفلاسفة وعبادتهم و كتاب فيما ينبغى أن يـكون فى حانوت الطبيب ، ومقالة فى هواء مصر ، ومقالة فى مزاج السكر ، ومقالة فى البيئة على ما فى الـكلام لابن بطلان فى الهذيان .

٥ — ابن بطلان

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان نصرانى من أهل بغداد ، وكان قد اشتغل على أبى الفرج عبد الله بن الطيب ، وتتلمذ له ، واتقن عليه قراءة كثير من الكتب والحكمة وغيرها ، ولازم أيضاً أبا الحسن بن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحرانى الطبيب ، واشتغل عليه ، وانتفع به فى صناعة الطب وفى مزاولة أعمالها .

وكان ابن بطلان معاصراً لعلى بن رضوان الطبيب المصرى ، وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ، ولم يكن أحد منهما يؤلف كتابا ولا يبتدع رأيا إلا يرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه .

وقد رأيت أشياء فى المراسلات التى كانت فيما بينهم ووقائع بعضهم فى بعض .

وسافر ابن بطلان من بغداد إلى ديار مصر قصداً منه إلى مشاهدة على ابن رضوان والاجتماع به ، وكان سفره من بغداد سنة ٤٣٩ هـ ، ولما وصل فى طريقه إلى حلب أقام بها مدة ، وأحسن إليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه إكراماً كثيراً ، وكان دخوله الفسطاط فى مستهل جمادى الأخرى من عام ٤٤١ هـ وأقام بها ثلاث سنوات ، وذلك فى دولة المستنصر بالله من الخلفاء المصريين ، وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة فى ذلك الوقت ونوادر ظريفة لا تخلو من فائدة ، وقد تضمن كثيراً من هذه الأشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر .

وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الطبية وما يتعلق بها ، وكان أسود اللون ، ولم يكن بالجميل الصورة وله مقال فى ذلك يرد فيها على من غيره بقبح

---

(١) عيون الأنباء تحقيق الدكتور نزار رضا .

الخلقة ، وقد بين فيها بزعمه أن الطبيب الفاضل يجب ألا يكون وجهه جميلا ، وكان ابن بطلان أكثر مايقع فى على ابن رضوان من هذا القبيل وأشباهه ، ولذلك يقول فيه فى الرسائل التى سماها دعوة الأطباء .

(فلما تبدى للقوابل وجهه نكص على أعقابهن فى الندم ، وقلن وأخفين الكلام تسترا : ألا ليتنا كنا تركناه فى الرحم) ، وكان يلقبه بتمساح الجن ، وسافر ابن بطلان من ديار مصر إلى القسطنطينية وأقام بها سنة ، وحدثت فى زمنه أوبئة كثيرة ولابن بطلان كثير من الكتب منها :

كناش الأديرة والرهبان ، وكتاب تقويم الصحة ، ومقالة فى شرب الدواء المسهل ، ومقالة فى كيفية دخول الغذاء فى البدن وهضمه وخروج فضلاته وسق الأدوية المسهلة وتركيبها ، ومقالة إلى على ابن رضوان جوابا عما كتبه إليه .

ومقالة فى علم نقل الأطباء المهرة .

وكتاب المدخل إلى الطب ، وكتاب دعوة الأطباء ١٣٦٥ ميلادية



البابُ السّادسْ

الطب فى عصر التخلف

الباب السادس :

الطب فى عهد التخلف

وأطباء عصر التخلف

من نهاية القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر وتعتبر هذه المدة عصر انحطاط وانحلال فى الخلافة وكان الطب يسير تبعاً لحالة الدولة : فإذا كانت قوية ارتقت حضارتها وارتفع طبها .

ولقد نقلت نماذج من الأطباء لم أجد فى عملها اجتهاداً أو فكرة ، وإنما كان عصر انحدار عام نحو الهاوية التى تمكن الأوربيون فيها بعد عصر نهضتهم من القبض على أعناقنا ، ومنعنا من التقدم والازدهار .

أحمد بن أبى الأشعث [1]

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبى الأشعث كان وافر العقل سديد الرأى محباً للخير ، كثير السكينة والوقار متفقها فى الدين عمر طويلا، وله تلاميذ كثيرة، وكان فاضلا فى العلوم الطبية متميزاً فيها ، وله تصانيف كثيرة فى ذلك تدل على ما كان عليه فى العلم وعلو المنزلة، وله كتاب فى العلم الإلهى فى نهاية الجودة ، وكان عالما بكتب جالينوس خبيراً بها ، وقد شرح كثيرا منها .

وهو الذى فصلها إلى أبواب وفصول وجمل ، وفى ذلك معونة كثير لمن يشتغل بكتاب الفاضل جالينوس فإنه يسهل عليه كل ما يلتمسه منها .

وفصل أيضاً كذلك كثيراً من كتب أرسطاطاليس ، وجاء فى كتاب عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع عن أحمد بن الأشعث أن أصله من فارس ، وكان متصوفا ، وصودر وخرج هاربا إلى الموصل .

واتفق أنه كان لناصر الدولة ولد عليل لم ينجح الأطباء فى معالجته ، ونجح هو . وأقام بالموصل إلى آخر عمره .

ومات فى سنة ثلثمائة وسبعين ونيف هجرية ، وكان له أولاد أشهرهم محمد فى صناعة الطب . وكتبه كثيرة منها :

كتاب الأدوية المفردة كتبه لتلاميذه .

وكتاب الحيوان ، وكتاب فى العلم الإلهى، وكتاب فى الجدرى والحصبة، وكتاب فى البرسام ، وتاريخ الإملاء والكتابة ، وكتاب فى القولنج أصله ومداواته والأدوية النافعة له .

وكتاب فى البرص والبهق ومداواتها، وكتاب فى الصرع الماليخوليا وكتاب الاستسقاء ، وكتاب فى ظهور الدم .

وكتاب ، ومقالة فى النوم واليقظة . وشرح كتاب الحميات .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أصيبعة تلخيص الدكتور نزار رضا

أوحد الزمان ابن البركات هبة الله بن على ملكا[1]

البلدى لأن مولده ببلد ، ثم أقام ببغداد ، وكان يهودياً وأسلم بعد ذلك وكان فى خدمة المستنجد بالله ، وتصانيفه فى نهاية الجودة وكان مبدأ تعلمه صناعة الطب أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين كان من المشايخ التميزين فى صناعة الطب ، وكان له تلاميذ عدة يتناوبونه فى كل يوم للقراءة عليه ، ولم يكن يقرىء يهوديا أصلا ، وكان أبو البركات يشتهى أن يجتمعا معا وأن يتعلم منه ويتقل عليه بكل طريق ، فلم يقدر على ذلك ، فكان يتخادم للبواب الذى معه،ويجلس فى دهليز الشيخ بحيث يسمع جميع مايقرأ عليه ، ومايجرى معه من البحث ، وهو كلما سمع شيئا تفهمه وعلقه عنده ، فلما كان بعد مدة سنة أو نحوها جرت مسألة عند الشيخ وبحثوا فيها ، فلم يعرفوا ، فلما تحقق ذلك أبو البركات دخل مع خدم الشيخ وقال : ياسيدنا عن أمر مولانا أتكلم فى هذه المسألة .

فقال : قل إن كان عندك شيء فيها ، فأجاب بشيء من كلام جالينوس ، وقال ياسيدنا هذا جرى فى اليوم الفلانى من الشهر الفلانى فى ميعاد فلان، وعلق بخاطرى من ذلك اليوم ، فبقى الشيخ متعجباً من ذكائه وحرصه واستخبره عن الموضع الذى كان يجلس فيه ، فأعلمه به فقال : من يكون بهذه المثابة لا يستحيل أن نمنعه من العلم ، وقربه من ذلك ، وصار من أجل تلاميذه .

ومن نوادر أوحد الزمان فى المداواة أن مريضاً ببغداد كان قد عرضت له الماليخوليا . وكان يعتقد أن على رأسه دناً وإنه لايفارقه أبداً فكان كلما مشى يتعمد عن المواضع التى سقوفها قصيرة ، ويمشى برفق ولايترك أحدا يدنو منه حتى لايميل الدن أو يقع على رأسه ،وعالجه كثير من الأطباء دون فائدة ، وأتو بأوحد الزمان ، فقال لأهله : إذا كنت فى الدار فائتونى به ، وأمر أحد الغلمان أنه إذا

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أصيبعة تحقيق وتلخيص الدكتور نزاررضا — ص ٣٥٤

دخل يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذى يزعم أنه على رأسه، وأمر غلاما آخر بإيقاع دن بسرعة على الأرض حين يضرب المريض، فشفى المصاب لأنه قد توهم أن الدن الذى على رأسه قد كسر.

وهذا باب عظيم فى المداواه بالوهم .

رأى أوحد الزمان رجلا به داحس إلا أن الورم كان نافضا ، وكان يسيل منه صديد وحين رأى ذلك بادر إلى سلامية إصبعه فقطعها ، فلامه تلاميذه ، فلم ينطق بحرف ، فلما مرض آخر فى اليوم الثانى ، وكان به داحس تركهم لمعالجته ، وقال لهم افعلوا ماترونه صوابا .

فداووه بما يداوى به الداحس فاتسع المكان ، وذهب الظفر ، وانتهى الأمر بذهاب السلامية الأولى .

وما تركوا دواء إلا داووه به ، وفى كل يوم يؤكل الإصبع بأسرع مايمكن، وآل أمر الإصبع إلى القطع .

قال : فلما فشا هذا المرض فى تلك السنة ،وغفل جماعة من الأطباء عن القطع فأدى أمر بعضهم إلى قطع اليد ، وبعضهم إلى هلاك أنفسهم، وقد عمى أوحد الدين فى آخر عمره ، وكان يملى على تلاميذه ، وقيل: إن أوحد الزمان كان سبب إسلامه أنه دخل إلى الخليفة ، فقام جميع من حضر إلا قاضى القضاة ، فإنه كان حاضراً ولم ير أنه يقوم مع الجماعة لكونه ذميا ، فقال ياأمير المؤمنين ، (إن كان القاضى لم يوافق الجماعة لكونه يرى أنى على غير ذمته فأنا أسلم بين يدى مولانا ولا أتركه ينتقصنى بهذا) وأسلم .

وكان يسكن فى محلة اليهود ببغداد ، وترك ثلاث بنات وعاش نحو ثمانين سنة .

وكان أوحد الزمان لما أسلم يتنصل كثيراً من اليهود ويلعنهم ويسبهم .

ولأوحد الزمان من الـكتب كتاب المعتبر وهو من أجل كتبه وأشهرها فى الحـكمة ، ومقالة فى سبب ظهور الـكواكب واختفائها نهار ،واختصار التشريح اختصره من كلام جالينوس ولخصه بأوجز عبارة .

وكتاب الأفرياذى : ثلاث مقالات ، ومقالة فى الدواء الذى ألفه المسمى برشعثا استقصى فيه صفته وشرح أدويته ، ومقالة فى معجون آخر ألفه وسماه أمن الأرواح ، ورسالة فى العقل وماهيته .

العنترى[1]

هو أبو المؤيد محمد ابن المجلى بن الصائغ الخرزى ، كان طبيباً مشهوراً وعالماً مذكوراً حسن المعالجة جيد التدبير فيلسوفاً متميزاً فى علم الأدب ، وله شعر كثير فى الحكمة وغيرها .

وكان العنترى فى أول أمره يكتب أحاديث عنترة البيسى ، فصار مشهوراً بنسبته إليه .

ومن كلامه فى الحكمه قال :

بنى تعلم العلوم فلو لم تنل من الدنيا إلا الغنى عمن يستعبدك بحق أو بباطل لكفى .

وقال : الحكمة دواء من الموت الأبدى .

وقال : العالم المجرم أشرف من الجاهل المرزوق .

وقال : الجاهل يطلب المال ، والعالم يطلب الكمال .

وقال : العلم ليل القلب ، والسرور نهاره ، وشرب السم أهون من معاناة الهم .

وقال لابنه مؤيد الدين .

احفظ بنى وصيتى واعمل بها ... فالطب مجموع بنص كلام

قدم على طب المريض عناية ... فى حفظ قوته مع الأيام

أقلل نكاحك ما استطعت فإنه ... ماء الحياة يراق فى الأرحام

واجعل طعامك كل يوم مرة ... واحذر طعاما قبل هضم طعام

لا تحقر المرض اليسير فإنه ... كالنار يصبح وهى ذات ضرام

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة تلخيص الدكتور نزار رضا .

وإذا تغير منك حال خارج فاحتل ليرجع حل عقد نظام
لاتهجرن القيء وأهجر كل ما كيموسه سبب إلى الأسقام
أن الحمى عون الطبيعة مسعد شاف من الأمراض والآلام
لاتشربن بعقب أكل عاجلا أو تأكلن بعقب شرب مدام
والقيء يقطع والقيام كلاهما بهما وليس بنوع كل قيام
وخذ الدواء إذ الطبيعة كررت بالإحتلام وكثرة الأحلام
وإذا الطبيعة منك قفت باطنا فدواء ما فى الجلد بالحمام
إياك تلزم أكل شيء واحد فتقود طبعك للأذى بزمام
وتزيد فى الأخلاط إن نقصت به زادت فتقضى فضلها بقوام
والطب جملته إذا حققته حل وعقد طبيعة الأجسام
ولعقل تدبير المزاج فضيلة يشفى المريض بها وبالأوهام
(الكامل)

وقال أيضا :

نفسى تطالبنى بما فى طبعها والعقل يزجرها عن الشهوات
والنفس تعلم أن ذلك واجب والطبع يجذبها إلى العادات
والطبع يقصر عن مراد كليهما فكلاهما وقف على الحسرات
والنفس من خمر الحياة وسكرها ستفيق بين عساكر الأموات
(الكامل)

وقال أيضا

عدل مزاجك ما استطعت ولا يكن كسوف أودى به التخليط
واحفظ عليك حرارة برطوبة تبقى فتركك حفظها تفريط
واعلم بأنك كالسراج بقاؤه مادام طرف الذبال سليط

وللمنترى من الكتب : كتاب النور من روض الندما .
وتذكار الفضلا الحكما ، ونزهة الحياة الدنيا . وكتاب الجانة فى العلم الطبيعى والإلهى ، وكتاب الأقرباذين ، ورسالة العشق الإلهى والطبيعى ، وكتب أخرى .

أمين الدولة بن التلميذ[1]

هو الأجل موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبى العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ أوحد زمانه فى صناعة الطب وفى مباشرة أعمالها ، ويدل على ذلك ما هو مشهور من تصانيفه وحواشيه على الكتب الطبية وكثرة من رأيناه ممن قد شاهدوه ، وكان ساعور البيمارستان العضدى ببغداد إلى حين وفاته ، وكلمة ساعور معناها المتقدم فى صناعة الطب ، وهنا بمعنى رئيس الأطباء وكان فى أول أمره قد سافر إلى بلاد العجم وبقى بها وهو فى الخدمة سنوات كثيرة وكان جيد الكتابة .

وقد رأيته كثيراً وهو فى نهاية الصحة ، وكان خبيراً باللسان السريانى والفارسى متبحراً فى اللغة العربية .

وكان والده أبو العلاء طبيباً فاضلا مشهورا .

وكان أمين الدولة فى خدمة المستضىء بأمر الله .

وكان بينه وبين أوحد الزمان « أبو البركات » اليهودى أولا والمسلم أخيراً عداوة .

وقال فيه أمين الدولة .

لنا صديق يهودى حماقته ... إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب أعلى منه منزلة ... كأنه بعد لم يخرج التيه

ولبعضهم فى أمين الدولة وأوحد الزمان .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ص ٣٤٩ (تلخيص الدكتور نزار رضا)

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه أبو البركات فى طرف نقيض
فهـــذا بالتواضع فى الثريا وهذا بالتكبر فى الحضيض
(الوافر)

وله أعمال فى الطب مشهورة منها :

أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها . أفى الحياة هى أم فى الممات ؟ وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدها وصب المـاء البرد عليها صبا متتابعاً كثيراً ، ثم أمر بنقلها إلى مجلس دافىء قد بخر بالعود والند ، ودثرت بالفراء ساعة فعطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها .

ودخل إليه رجل منزف بعرق دما فى زمن الصيف ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع بادنجان مشوى ، ففعل ذلك ثلاثة أيام ، فبرأ ، فسأله أصحابه عن العلة فقال : إن دمه قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

ومن مروءته أن ظهر داره كان يلى النظامية فإذا مرض فقيه نقله إليه ومرضه، فإذا أبل وهب له دينارين وصرفه .

وكان أمين الدولة لا يقبل عطية إلا من خليفة أو سلطان ، وعالج أحد الملوك وأرسل له مع تاجر مالا مقداره ٤٠٠٠ دينار وأربعة تخوت ، وأربعة مماليك وأربعة أفراس ، فامتنع عن قبولها وقال : (على يمينا ألا أقبل من أحد شيئاً) .

فقال له التاجر سأعتع بالمال .

فقال : ألست أعلم ما فى نفسى أنى لم أقبله ، فنفسى تشرف بذلك علم الناس أم جهلوا .

ودخلت عليه امرأة ومعها صبي صغير فقـــال لها : إن هذا به حرقة بول وهو الرمل .

فسأله تلاميذه عن العلامة قال : حين دخل الولد رأيته يولع بإحليله ويحكه، ووجدت أنامل يديه مشققة قاحلة ، فعلمت أن الحكة لأجل الرمل ، وأن تلك المادة الحادة الموجبة للحكة والحركة ربما لامست أنامله عند ولوعه بالقضيب فتشقق فحكمت بذلك ، وكان موفقا ، وكان يمتحن الذى يداوى الناس .

وكان أمين الدولة من المتبحرين فى اللغة العربية .

وكان يحضر مجلسه فى صناعة الطب خلق كثير .

وكان له ولد لم يكن مدركا لصناعة أبيه ، بعيداً عن سائر أحوال أبيه .

فقال فيه .

أشكو إلى الله صاحباً شكسا ... تسمفه النفس وهو يضعها

فنحن كالشمس والهلال معا ... تكسبه النور وهو يكسفها

وكان أمين الدولة يؤنب ولده أيضاً بقوله :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

وكان بعض الناس يعتبره جاهلا خفيف العقل .

ومات أمين الدولة نصرانياً وله من العمر ٩٤ سنة ، سنة ٥٦٠ هجرية .

وأسلم أبنه قبل موته وقيل . إنه كان شيخا قد ناهز الثمانين .

وقال فى مدحه السيد النقيب الكامل بن الشريف الخليل .

أمين الدولة أسلم للأيادى ... على رغم المنادى والمعادى

وللمعروف تنشره إذا ما ... طواه تناوب النوب الشداد

فأنت المرء تلقى حين تدعى ... جواداً بالطريف وبالتلاد

وصول للخليل على التنائى ... ودود لا يحول عن الوداد

سديد الرأى والأقوال يأبى ... نهاه أن يميل عن السداد

وكم من منة لك لا توازى ... بلا من لدى ولا أعتداد

وكان أمين الدولة شاعراً ، وكتب إلى الوزير سعد الملك نصير الدين فى صدر كتاب :

لا زال خيرك بالإقبال موصولا — وجد ضدك بالأذيال مغلولا
ولا عدمت من الرحمن موهبة — يغير ربعك بالعافين مأهولا

ولأمين الدولة من الكتب .

أقر بأذنيه العشرين بابا ، أقر بأذنية الموجز للبيمارستان ، وهو ثلاثة عشر كتابا ، واختصار كتاب الحاوى للرازى واختيار كتاب ماسكويه فى الأشربة واختصار شرح جالينوس لكتاب فصول أبقراط ـ تتمة جوامع الإسكندرانيين لكتاب حيلة البرء لجالينوس ـ شرح أحاديث نبوية تشتمل على طب مختصر الحواشى على كتاب القانون للرئيس ابن سينا ، مختارات من كتاب إبدال الأدوية لجالينوس .

رشيد الدين أبو حليقة[1]

هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبى الخير بن أبى سليمان داود بن أبى المنى بن أبى فانة ، ويعرف بأبى حليقة — كان أوحد زمانه فى صناعة الطب والعلوم الحكيمة متقناً فى العلوم والآداب وحسن المعالجة لطيف المداواة ، رءوفا بالمرضى ، محباً لفعل الخير مواظبا على الأمور الشرعية التى هو عليها ، كثير العبادة ، واشتغل بصناعة الطب فى أول أمره بدمشق ، ثم مصر بعد ذلك .

ولقد ولد فى سنة ٥٩١ هجرية بقلعة جبير ، وخرج إلى الرهاد ، وبقى بها سبع أو ثمانى سنوات ، وكانت داره تسمى دار الزعفرانى وكانت ملاصقة لدار السلطان ، ولقد أخذ الملك الكامل بيده وتعلم صناعة الطب على يد عمه مهذب الدين « أبو سعيد » فى دمشق ، وخدم بصناعة الطب الملك الكامل .

ولقد أقطعه الملك الكامل فى مصر نصف بلد يعرف بالعزيزية والخربة من أعمال الشرقية .

وخدم بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب .

وخدم ابنه طوران شاه

وحين جاءت دولة الترك أصبح فى خدمتهم وأجروه على كان باسمه ، وخدم الملك الظاهر بيبرس .

ومن نوادره أنه كان يعرف الشخص بنبضه ، وعرف منهم نبض الملك الكامل

ومن حكاياته أنه أمره بعمل الترياق الفاروق ، فاشتغل بعمله مدة طويلة ساهراً عليه الليل حتى حقق كل واحد من مفرداته ، ولما طال عليه عمل الترياق الفاروق

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعة — تلخيص الدكتور نزار رضا

لتعذر حضور أدويته الصحيحة من الآفاق عمل ترياقاً مختصراً توجد أدويته فى كل مكان ونوى أنه لا يقصد به قربا من ملك ولا طلب مال ولا جاها فى الدنيا ، وبذله للمرضى ، فكان يخلص به المفلوجين ، ويقوم به الأيدى المتقوسة لوقته بحيث كان ينشىء فى العصب زيادةفى الحرارة الغريزية وتقويه وإذابة البلغم الذى فيه ، فيجد المريض الراحة به لوقته ، ويسكن وجع القولنج من بعد الاستفراغ لوقته ، ويقال : إنه مر على بواب الباب الذى بين السورين بالقاهرة المحروسة واسمه على وهو ملقى على ظهره لا يمكنه أن يقوم ، فشكا إليه حاله فأعطاه شربة وطلع القلعة وباشر المرضى ، وعاد فى الساعة الثامنة من النهار ، فقام المفلوج يدعو له ويعدو فى أركان الشارع ، وأعطى الترياق مؤذن الملك الكامل ففتت حصاه .

ومن حكاياته أنه ركب صلصا مقوياً للمعدة بالشكل الآتى :

يؤخذ من البقدونس جزء ، ومن الريحان الترجانى جزء ، وقلوب الأترج الفضة المحلاة بالماء والملح أياما ، ثم بالماء الحلو أخيراً من كل واحد نصف جزء يدق فى جرن الفقاعى ، كل منها بمفرده حتى يصير مثل المرهم ، ثم يخلط الجميع فى الجرن المذكور ، ويعصر عليه الليمون الأخضر المنتقى ، ويذر عليه من الملح الأندرانى مقدار ما يطيبه ، ويرفع فى سلات صنار ، ويختم بالزيت الطيب .

وقال : إن هذا الصلص ينفع لمدة شهر .

ولرشيد الدين أبى حليقة من الكتب :

مقالة فى حفظ الصحة — كتاب فى أن الملاذ الروحانيـــة ألذ من الملاذ الجسمانية — كتاب فى الأدوية المفردة سماه المختار فى الألف عقار — كتاب فى الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركبة التى قد أظهرت التجربة نجاحها .

مقالة فى ضرورة الموت ، ولما ذكر من التحليل فى هذه المقالة أن الإنسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة التى فى داخله وبحرارة الهواء الذى من خارجه — كانت نهايته إلى الفناء بهذين السببين .

وإحداهما قاتل : فكيف إذا استجمعا ؟

المتطبب نظر على العجمي المعروف عند العامة بالسيد على العجمى[1]

كان فردا فى معارف الطب ، إليه انتهت الرياسة ، وكان لا يقرأ القرآن ولا يحفظ الخط العربى ، بل كانت له كتب مكتوبة بالقلم العبرانى الإنجيلى ، خدم حكماء اليونان ، وألقى به الجديدان إلى اليمن سفراً فـكان يتعجب منه الشاهد والسامع ؛ فإنه لما أصاب الضرر والعمى هذا المترجم له سأل الدواء ، فقال : نظر العجمى سأعطيك قلنسوة أضعها على رأسك تبقى يومين ، وفى اليوم الثالث تنزع ، وإن نزعتها قبل مضى اليومين هلـكت ، اتصبر على ذلك ؟ قال : نعم ، فعمل له دواء لهذه العلة وأودعه غضون القلنسوة ، فألقاها على رأسه ، وحذر من رفعها إلى أن يجىء ، ثم راح عنه ، واختفى ، فوجد المترجم له ألما ، فطلبوا الحـكيم ، فلم يوجد ، فما زال الأمير أحمد فى لهيب كلهيب النار إلا أنه خشى على نفسه من الموت إن نزعها ، فلما مر الوقت الذى حدده جاء إليه ، وكان كالمحتضر فنزعها عنه ، وشرط بموسى جبينه وبين كتفيه ، فعاد إليه بصره .

ولهذا الحـكيم ماجربات طويلة الذيل : منها معرفته للنبض بحيث لا يكاد يخطىء ، وقد منع بعض النساء من أكل العنب لعلة أصابتها فلم تجدبدا من أكل العنب ، فأكلت خفية ، فازدادت علتها لحضر ، فقيل له ، العلة زادت ، فقال : نستمع النبض . بماذا ينبينا فجسه ، فقال . أكلت عنباً ، فأنـكرت ، ففصدها فى عرق مجهول ، فاستفرغت فى تلك الحال ما أكلته فـكان عنبا .

ومنها أنه شكا إليه مجذوم علته ، فاشترط عليه مالا بعد أن أمره أن يبعث من يأتيه بحنش عظيم فجىء به ، فقطع رأسه وذنبه فى حلة واحدة وربط أعلاه وأسفله ، وألقاه على النار فانتفخ حتى صار كالزق ثم أخرجه وأفرغ ودكه ، فأمر المجذوم باستعماله صبحاً وليلا فبرىء .

---

(١) معجم الأطباء : تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ٥٠١ .

وحدث أنه كان ممن انضم فى جيش طهماسب وأنه أرسل طهماسب فى توجهه إلى بلاد الروم إلى أهل الفلك والحكام بالنجوم فسألهم عن مسيره فقالوا إنك إن بلغت موضع كذا فلاتتجاوزه ؛ فإنك من ذلك المحل منحوس ، فأمرهم أن يجتمعوا ويحددوا المحل بشىء ، فأجمعوا على حجرة بالصحراء وقالوا . إنك إن تجاوزتها لم يتم لك مأرب ، فلما قارب تلك الحجرة أمرهم أن يدحرجوها بين أيديهم لئلا يتجاوزها أحد من أصحابه ، وأخبر العجمى أنه استفتح أراضى بسبب تقديمه للحجر بين يديه .

وكان العجمى هذا جريئاً خبيثاً رافضيا مدمنا للخمر نهاه سيف الإسلام أحمد بن المنصور عن هذه الرذائل وضربه أسواطا متتابعة ، وسفَّره عن اليمن ، وكان له قوة ما رأيتها فى بشر ، كان يضع الرجل الضخم البدن بالأرض ، ثم يقضم ثيابه بفمه ، ويقوم به وكان يلوى سبابته الوسطى من أصابعه على بندق الرامى فيرفعها ، وعانى ذلك كثير من الأقوياء ، فلم يقدروا ، وكان فارسا راميا تياها معجبا بنفسه ، وإنما نبهنا على يسير من كثير .

ومما أخذ عنه أنه قال متعجبا من حكماء الهند قال . قالوا إذا سد الإنسان منخره الأيمن وتنفس بالأيسر زالت منه الحرارة المفرطة ، وفى البرد يسد الأيسر ويتنفس بالأيمن تزول عنه زيادة البرد المفرطة ، وإذا تنفس النهار بالأيسر والليل بالأيمن ودوام حتى تصير له عادة مستمرة لم يلحقه ألم ولا يلحقه سقم ، ولا يضره حر ولا برد ، ويبقى شابا لا يهرم ، ولا تضعف قواه وإذا أكل طعاما وتنفس من الأيمن انهضم ، وإن كان من الأيسر فبضده .وكان يقول دعاوى لا تقرر صحتها إلا بعد التجربة وكان حيا (١٢٠٨) هجرية (نيل الوطر لمحمد بن يحى زباده ج ١ ص ١٨٦)

عبد القادر بن العربى المنبهى المدغرى المعروف بابن شقرون المكناسى [1]

ففيه نحوى أديب أريب لغوى حكيم طبيب ماهر خير فاضل علامة مشارك كامل مدرس نفاع ، رحل إلى الحج وزيارة قبر الرسول ، ودخل الإسكندرية ومصر وغيرهما من البلاد ، وأفاد واستفاد ، قال فى حقه أبو عبدالله محمد بن الطيب الشريف العلمى فى أنيسه المطرب مانصه . شاعر مصيب رتع فى البلاغة بمرعى خصيب ، وأحرز من الديانة أوفر نصيب ، ودخل بيوت العربية من أوضح المسالك ، وطرز فى حديث السنن نحو بن مالك بفقه مالك ، واختار الوحدة ، ورغب عن الولدان ، واعتزل الأخوان والأخدان ، وضم إلى علم الأديان علم الأبدان فركب الأدوية وانتشرت له بين الحكماء أى ألوية ، وعرف الأمراض وأرسل سهام الرقى ، فأصابت الأغراض ، ورحل إلى المشرق ، فأدى فرضه ، ثم رجع قاصداً أرضه ، فناهيك من علم اجتلب ، ومن در نظم ودر اجتلب قال . ولقيته بمسجده من مكناسة الزيتون عند ضريح ولى الله تعالى أبى العباس أحمد بن خضراء رضى الله عنه ، فتلقانى بوجه وسيم ، ومر لى معه حديث أروى من النسيم ، واستنشدنى فأنشدته للحال .

ولما أن خلا المغنى وبتنا ... جميعاً بالعفاف مؤزرين
قضينا الحج ضما والتماسا ... ولم نشعر بما فى المشعرين

قال وسألته (يعنى صاحب الترجمة) عن أشياء من الأطعمة والأشربة وأى شىء أنفع للإنسان أن يأكله أو يشربه فأدلى بأشياء نافعة رافعة للأمراض دافعة قال ، لى رعاه الله . (دماغ الجمل) من شرب منه مثقالا بخل وعسل نفعه لغشاوة البصر .

---

(١) معجم الأطباء : تأليف الدكتور أحمد عيسى ص ٢٧١

(ألبان الإبل) تدفع وجع الأسنان .

(دم الثور) إذا قطر على الجراحات التى يسيل منها الدم حبسه . وإذا قطرت مرارته فى الأذن مر الطنين .

(شعر العنز) إذا بخر به البيت طرد الهوام .

(ورق الزيتون الأخضر) إذا طبخ بالماء ورش به البيت هرب منه الذباب .

(ورق الأترج) من جففه وسحقه وعجنه بدهن زيت ولوز وأطعمه من شاء أحبه حباً شديداً .

(ورق التفاح) إذا سحق مع السكر الأبيض واللوز وأطعمه من شاء ملك قلبه .

(عظم الكبش) إذا حرق وسحق وعجن بلبن النساء وجعل فى قطنة ووضع على نهش الهوام وعلى القروح الردية الخبيثة أبرأها وألحمها من غير ألم .

(البابونج) يبرىء من وجع الكبد .

(الحلبة) إذا طبخت بالعسل ، وشربت — أخرجت ما فى الأمعاء من الأخلاط الردية .

(دهن اللوز الحلو) ينفع للحصى ويسهل خروجها .

(الحبة السوداء) إذا شربت بماء وعسل فتت الحصاة .

(أغصان الفجل) بلا ورق إذ شرب من عصيرها أوقية فتتت الحصاة كبيرها وصغيرها .

أخذ بفاس عن جماعة من الشيوخ ، وأخذ الطب عن الطبيب أبى العباس أحمد بن الطبيب أبى عبد الله محمد أدراق إذ أخذ عنه مسائل كثيرة من الطب .

وأخذ بمكناسة الزيتون عن جماعة من الشيوخ ، وأخذ الطب عن الطبيب الماهر أبو إسحاق إبراهيم بن القائد على الطبيب الأندلسى المراكشى ، ثم المكناسى وهو من أطباء الجد الأكبر السلطان مولانا إسماعيل ، أخذ عنه مسائل كثيرة

من الطب ، وأخذ بمصر عن الشيخ أحمد الزيدانى مسائل كثيره من كتاب ابن النفيس الذى اختصر فيه القانون لابن سينا ومسائل كثيرة من كتاب الإرشاد لابن جميع .

وأخذ عنه كثير ، وله شعر كثير وقصائد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

مؤلفاته. منها شرحه مع البسط والتعريف للشيخ المكودى والأرجوزه فى علم الطب والمعروفة بالشقرونية نظمها بإشارة من أبى المعالى الصالح بن المعطى الشرقاوى العمرى لما قدم على مكناسة الزيتون عام ١١١٣ هـ . فطلب من المترجم فى أبيات رجزية أن يقيد له فى الطب أرجوزه تتضمن مسائل مخصوصة منه عينها الشيخ المذكور فى أبياته المذكورة . ولم أقف على تاريخ وفاته غير أنه كان حيا يرزق سنة ١١٤٠ هـ .

الباب السابع

الطب فى عصر اليقظة

الباب السابع

الطب فى عصر اليقظة

وأطباء عصر اليقظة

ابتدأت النهضة الحديثة بعد مجىء الفرنسيين إلى مصر ، فلقد أتت بعثة فرنسية من العلماء درست جميع أحوال مصر ورأى المصريون الذين كانوا رازحين تحت حكم المماليك نوعا من التقدم والمعرفة ، ففتحوا عيونهم على جمع أنواع الحضارة ، ومنها الطب ، وأحضر محمد على بعد ذلك كلوت بك الفرنسى إلى مصر ، وأنشأ مدرسة الطب المصرية ، وأرسل البعثات المختلفة فى مختلف العلوم ومنها الطب من أبناء الفلاحين إلى أوربا ، فاغترفوا من ثقافتها ومن علمها .

وحذا حذوه إسماعيل ، وكان هؤلاء العلماء نبراساً للحضارة الحديثة فى مصر .

كلوت بك[1]

ولد الدكتور كلوت بك فى مدينة جريوبل ببلاد فرنسا من عائلة فقيرة فى أواخر سنة ١٧٩٣ م ، ويتم من أبيه وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، ولم يتسن له أن يتعلم سوى ، المبادىء البسيطة ، لـكنه أقام مدة مع جراح كان يعالج أباه قبل موته فرغب فى صناعة الجراحة ، وصار يعمل بعض العمليات الصغيرة ، ويطالع الـكتب الطبية ، ثم قصد المستشفى فى مرسيليا ليدرس العلوم الطبية ، ولقى من المشاق فى هذا السبيل مايضعف العزائم لما كان فيه من الفقر ، لـكنه صبر على مضض الأيام وثبت ثبات الأبطال ، فنال ماتمناه ، وعين طبيبا ثم جراحا فى ذلك ، المستشفى ، وقصد مدرسة مونيلييه ، وامتحن فيها سنة ١٨٢٠ ونال إجازة الدكتورية ، ولما عاد إلى مرسيليا عين طبيبا ثانيا فى مستشفى الرحمة ، وجراحاً مستشاراً فى مستشفى الأيتام .

وكان علم الطب قد أهمل فى القطر المصرى قبل أيام محمد على باشا بسنين كثيرة وكان الناس تحت رحمة الحلاقين ينزفون دماءهم بالفصد والحجامة ، ولما رأى محمد على باشا أنه لايستطيع منع هؤلاء الدجالين وقطع دابرهم كما قطع دابر المماليك عزم على نشر العلوم والمعارف الطبية فى البلاد ، ولما كان همه تنظيم جنوده والاهتمام بصحتهم استحضر لهم الأطباء من أوربا . ففى سنة ١٨٢٥ م استقدم الدكتور كلوت بك من فرنسا ، وجعله رئيس أطباء الجيش المصرى ، فوجد الخلل مستحكما فى الإدارة الطبية ، ولم تـكن هنا قوانين أو غيرها للأطباء تنظم أحوالهم ، فأشار على بوزارى طبيب محمد على الخاص باتباع القانون الفرنسى ، وإنشاء مجلس للصحة يرأسه بوزارى نفسه ، ففرض الأمر على مسامع محمد على باشا ، وبعد قليل أنشىء مجلس الصحة ، وكان ثلاثة أعضاء يرأسهم بوزارى ، ولم يـكن كلوت واحدا منهم ، واجتمع هذا المجلس اجتماعه الأول فى الخانقاة

---

(١) معجم الأطباء : تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٣٤٩

على بعد سبعة أميال من القاهرة إلى الشمالى الشرقى منها ، وذلك فى ٢٥ مارس سنة ١٨٢٥ م وخوله محمد على باشا السلطة على الأطباء ، فكتب إلى كلوت بك يمينه فى وظيفته ، وبعد قليل عين كلوت بك ولويجى ألسندرى (وهو صيدلانى صيدلية القلعة) عضوين فيه ، فلم يلبث كلوت حتى أدخل النظم الصحية الفرنسية فى هذا المجلس ، ثم وجه اهتمامه إلى تنظيم أحوال الجيش الصحية بالنظام الفرنسى ، وكان أطباء الجيش يلبسون كالضباط وتوجه إليهم النياشين وألقاب الشرف مثلهم .

ولما كان مقام الجنود فى الخانقاة عزم كلوت بك إنشاء مستشفى لهم ، وكان بالقرب من ذلك المكان بناء رحب أصله ثكنة للفرسان ، فاستخدمه لهذه الغاية ، فكان خاصاً بمرضى الجيش فقط فى أول الأمر ثم جعل عاما لجميع المرضى، فتكللت أعماله بالنجاح ، وحينئذ خطر له أن ينشىء مدرسة للطب بجانب هذا المستشفى رغبة فى تكثير سواد الأطباء الوطنيين للجيش ، وعرض الأمر على محمد على باشا فاستصوبه ، وأمر بالشروع فيه فأنشئت مدرسة أبى زعبل الطبية، وقد رأى كلوت بك من وراء ذلك صعوبات شتى تعترضه ، ولكنه بحزمه وعزمه تغلب عليها جميعا ، والصعوبة الأولى التى اعترضته كانت مسألة اللغة لعدم معرفة الأساتذة المراد استخدامهم اللغة العربية ، وعدم معرفة التلاميذ للغة الفرنسية أو غيرها من اللغات الأوربية فأقام المترجمين بين الأساتذة والطلبة.

والصعوبة الثانية هى اعتقاد الأهالى أن تشريح جثث الموتى ممنوع دينياً فتباحث هو ومشايخ الدين فى هذه المسألة ، وأثبت لهم أن تشريح الموتى من أنفع الغايات للأحياء وعلاجهم،وكان محمد على باشا من أكبر المساعدين لكلوت بك فى هذا الأمر ، ولكنه أخذ الأمور بالتؤده ، فلم يرخص بالتشريح ترخيصاً صريحاً ولكنه وعده بألا يعترضه أحد .

ومما يذكر مع الأسف والاستغراب أن أحد التلامذة دنا من كلوت بك وهو فى قاعة التشريح ، وطعنه بخنجر فى رأسه فلم يصبه ، فطعنه ثانية فى جوار

بطنه ، فلم يصبه أيضاً بمكروه ، وفى الحال بادر التلامذة إلى الحيلولة بين التلميذ المتعدى وبين كلوت وألقوا القبض عليه .

ولما تغلب كلوت على كل المصاعب عين مديراً للمدرسة الطبية فى غرة ١٨٢٧م فاختار لها الأساتذة من الفرنسيين والإيطالين ، وهذه أسماؤهم :

شروبينى للتشريح والفسيولوجيا ، وبرنار للصحة والطب الشرعى ، وسيليزيا للطبيعة والتشريح ، وريفيير للمادة الطبية والعلاج ، وفيجارى للنبات ، ودوفنيو للباثولوجيا والإكلينيك الباطنى ، وبارتيلمى للمادة الطبية ، ولاسبيرنزا للتشريح الباثولوجية ، وغايتانى للتشريح العام والوصفى .

وسلم المستشفى إلى هؤلاء المدرسين لكى يطبقوا العلم على العمل وقسم التلاميذ إلى فرق عشر ، وجعل التلميذ الأنجب بينهم عريفا فى كل فرقة ، وفى سنة ١٨٣٢م اختار كلوت ١٢ تلميذا من أنجب التلاميذ ، ورحل بهم إلى باريس ، وقدمهم إلى الجمعية العلمية الطبية ، واختيرت لجنة لأمتحانهم من أشهر أطباء باريس برياسة أورفيلا ، وجرى ذلك باحتفال عظيم ، وكان اهتمام كلوت بنوع خاص بالأمراض التى يكثر وجودها فى مصر وفى البلدان الحارة ، فامتحنتهم اللجنة فى فى هـــذه الأمراض ، وسرت كثيرا من أجوبتهم وحسن أدائهم ، فهنئوا على فوزهم .

وفى سنة ١٨٣٧ م نقلت المدرسة الطبية من أبى زعبل إلى القاهرة ، وفتحت مدرسة لتعليم القابلات فن التوليد ، ولما انتشر الطاعون بمصر سنة ١٨٣٠ م كان كلوت وتلاميذه من أكبر المساعدين على استئصاله وتقلص ظله ، فأنعم محمد على باشا عليه برتبة بك ، وفى سنة ١٨٣٥ م فشا فى مصر الطاعون ، فنهض لمقاومته هو وثلاثة من الأطباء حتى استأصل شأفته ، فأنعم عليه محمد على باشا برتبة جنرال ولما دخل إبراهيم باشا بلاد الشام توجه كلوت بك إليها وزار بلدانها كدمشق وبيروت وصيدا وعكا وحيفا ونابلس وبيت المقدس وغزة الخ ، فأبقى فى الشام الشام أحسن الأثر . ولما تولى عباس باشا مصر أقفل المدارس ومنها المدرسة

الطبية ، وعاد كلوت بك إلى فرنسا ، وبقى فيها إلى تولى سعيد باشا ، فعادإلى مصر ليعيد فتح المدرسة الطبية وإرجاعها إلى ما كانت عليه من الانتظام والتقدم ، فنجح فى ذلك النجاح التام ، وبقى فى مصر إلى سنة ١٨٦٠ م ثم رجع إلى مرسيليا وطنه ، وأقام فيها إلى أن توفى فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٦٨ ومن تأليفه .

رسالة فى الطاعون طبعت سنة ١٢٥٠ هـ — مايجب اتخاذه لمنع الجرب والداء الإفرنجى طبع سنة ١٢٥١ هـ — مبلغ البراح فى علم الجراح طبع سنة ١٢٥١ هـ ترجمة المنحورى — نبذة فى تطعيم الجدرى ترجمها الرشيدى وطبعت سنة ١٢٥٢ هـ نبذة فى أصول الفلسفة الطبيعية ترجمها النبراوى طبعت سنة ١٢٥٣ هـ — المجالة الطبية فيما لابد منه لحكماء الجهادية ترجمها السكاكينى طبعت سنة ١٢٥٦ هـ — رسالة فى مرض الحمى طبعت سنة ١٢٥٩ هـ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة الدور النوال فى معالجة أمراض الأطفال ترجمها الشافعى ، وطبعت سنة ١٢٦٠ هـ — نبذة فى التشريح المرضى ترجمها النبراوى ، وطبعت سنة ١٥٥٣ هـ — القول الصريح فى علم التشريح ترجمة المنجورى طبع سنة ١٢٤٨ وهو أول كتاب طبع فى أبى زعبل — لمحة عامة فى تاريخ مصر ترجمة محمد مسعود وطبع أخيرا .

محمد على باشا الحكيم (البقلى)[1]

هو السيد محمد على بن السيد على البقلى بن السيد محمد الفقيه البقلى ، ولد فى زاوية البقلى التابعة لمديرية المنوفية سنة ١٢٢٨هـ ، ونشأ بها وترعرع ، فأدخله أهله مكتباً فى تلك البلدة ، فتعلم بادىء الكتابة ، وقرأ القرآن ، فلما بلغ التاسعة من سنه جاء به أحمد أفندى البقلى إلى القاهرة ، وأدخله مدرسة أبى زعبل التى كان قد بناها محمد على باشا الكبير فى قرية أبى زعبل ، وفيها مكتب ديوانى فمكث فيه ثلاث سنين أتم فيها قراءة القرآن ، وتلقى بعض مبادىء العلوم اللغوية فنقله إلى المدرسة التجهيزية هناك فمكث فيها أيضاً ثلاث سنين وأظهر من الذكاء والاجتهاد ما حبب فيه أساتذته ، فنقلوه إلى مدرسة الطب ، وكانت تحت إدارة المرحوم الدكتور كلوت بك ، ففاق أقرانه حتى إذا صدر أمر محمد على باشا بإرسال نخبة من تلاميذ تلك المدرسة إلى باريس للتبحر فى العلوم الطبية كان صاحب الترجمة من جملة المنتخبين وعددهم اثنا عشر شاباً ، وقد أتموا دراسة الفنون الطبية وفيهم من نال رتبة اليوزباشية .

وكان راتب السيد محمد على البقلى عند سفرته هذه مائة وخمسين قرشاً فأوصى بخمسين منها لوالدته ، وأبقى لنفسه مائة ، فدخل مدرسة باريس الطبية وبذل غاية جهده فى تحصيل علومها ، فنال حظاً وافراً من سائر علوم الطب والجراحة ، وشهد له أساتذته بالامتياز على سائر رفاقه ، وقد كان أصغرهم سناً ، فأتموا دروسهم ، وامتحنوا شفهياً ، وقدم فى الامتحان الخطى رسالة طبية فى الرمد الصديدى المصرى ، فنح الإجازة ، وعاد إلى مصر سنة ١٢٥٣ هـ ، وكانت شهرته قد سبقته إليها ، فعين حال وصوله جراحاً أول وأستاذاً للعمليات الجراحية والتشريح الجراحى ، وأنعم عليه محمد على باشا برتبة صاغقول أغاسى ، ولم تمض بعد ذلك مدة حتى نال رتبة البكباشى ، وفى ولاية عباس باشا الأول حصلت بينه وبين بعض أطباء المستشفى الأوربى مناقشة ، فأمر بنقله إلى ثمن قيسون من أثمان القاهرة

---

(١) معجم الأطباء تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٤٧١

ليتولى التطبيب فيه على نفقة الحكومة ، ولذيوع صيته تحول المرض من مستشفى قصر العيني إلى ثمن قيسون ، وزادت شهرته بالفنون الطبية ولا سيما الجراحة ، ولبث يطبب فى ذلك الثمن خمس سنين متوالية ، فأنعم عليه برتبة قائمقام وعين رئيساً لأطباء الآلايات السعيدية ، فلم يلبث فى منصبه هذا إلا قليلا ، واعتزل المناصب ولزم منزله ، ثم عين رئيساً لجراحى قصر العيني وأستاذاً للجراحة ووكيلا للمستشفى والمدرسة الطبية فقام بعمله خير قيام ، وأنعم عليه برتبة أميرالاى ، وكان ذلك فى عهد سعيد باشا فقر به وجعله طبيبه الخاص ، وألحقه بمعيته مع بقائه فى مناصبه المشار إليها ، ثم أنعم عليه برتبة المتمايز .

ولما سافر سعيد باشا إلى أوروبا أخذه فى صحبته ، ولما توفى سعيد باشا وخلفه إسماعيل باشا أبقاه فى مناصبه بالمستشفى والمدرسة .

وفى سنة ١٢٩٠هـ نال الرتبة الأولى من الصنف الثانى ، وفى أواخر سنة ١٢٩٢هـ انقطع عن العمل ولزم بيته ، ولم يعلم السبب فى ذلك ، فلما كانت الحرب بين مصر والحبشة صحب الحملة المصرية التى وجهت إلى الحبشة برفقة الأمير حسن باشا نجل الخديو إسماعيل باشا ، وأدى هناك أجل الخدمات ، ثم عالجته المنية ودفن هناك سنة ١٢٩٣هـ الموافقة لسنة ١٨٨٧م ، ولم يعلم أحد مكان ضريحه ، وتضاربت فيه الأقوال ، ومنها ما رواه حضرة مصطفى أفندى صبرى قومندان حملة طوكر إذ قال : « بلغنى من بعض الأحباش أن المرحوم الدكتور محمد على باشا البقلى قد أقيم له قبر ببلدة تسمى جراع بين عدوى وأسمرة إلا أنه أقرب إلى هذه من تلك ، وشهدت فوق القبر قبة عظيمة يزوره فيها الأحباش على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم تعظيما له وتخليداً لذكره » .

وكان رحمة الله حائزاً للنشان المجيدى من الرتبة الثالثة ناله مكافأة له على جهاده فى مقاومة الهواء الأصفر سنة ١٨٦٥م .

وله فى الطب مؤلفات حسنة : منها كتاب فى العمليات الجراحية الكبرى

سماه « غاية الفلاح فى فن الجراح » طبع سنة ١٨٦٤م فى جزأين ، وكتاب غرر النجاح فى أعمال الجراح أيضاً فى الجراحة فى مجلدين طبع سنة ١٨٤٣م ، وكتاب روضة النجاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى طبع سنة ١٨٤٣ م وله كتب أخرى غيرها لم تطبع أولم يتم تأليفها ، وأصدر مجلة شهرية أسمها اليعسوب، سنة ١٨٦٥م ، وكان يساعده فى تحريرها الشيخ إبراهيم الدسوقى مصحح المطبعة الأميرية ، وهى أول مجلة طبية صدرت باللغة العربية ، وباشر تأليف قانون فى الطب وقانون فى الألفاظ الشرعية والمصطلحات السياسية ، ولم يتمهما ، وكان رحمة الله عاملا على بث العلوم والمعارف بين أبناء وطنه شفيقاً بالفقراء طويل الأناة فى علاجهم حسبة لا يلتمس منهم عليه أجراً .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم الأساتذة ممن تولى رياسة المدرسة الطبية من بعده كانوا من تلاميذه ، وقد أعقب أولاداً نجباء منهم الدكتور أحمد بك حمدى (الخطط لعلى باشا مبارك ج ١١ ص ٨٥) .

سالم سالم باشا [1]

هو سالم باشا بن الشيخ سالم الشرقاوى من علماء الأزهر الشريف ، ولد ببلدة القنايات من بلاد مديرية الشرقية غرب مدينة الزقازيق ، كان والده الشيخ سالم قد صحب الآيات المصرية المتوجهة إلى الشام بوظيفة واعظ سنة ١٢٤٨هـ ، وفى غيبته فى الشام ولد سالم ، وسمى بأسم أبيه ، ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده فى المكاتب الأهلية ، فتعلم القرآن ثم جوده فى الأزهر الشريف ، ثم أدخله فى مدرسة الألسن بالأزبكية ورئيسها المرحوم رفاعة بك ، وقضى بها من سنة ١٢٥٨ إلى سنة ١٢٦٠ هـ .

وفى آخر تلك السنة ألحق بمدرسة الطب ، وكان ناظرها الدكتور « بيرون الفرنسى » ، ولم يزل مواظباً على الدراسة بها إلى سنة ١٢٦٥ هـ وكان والده إذ ذاك مصححاً لكتب الطب بتلك المدرسة ، فكان مع مواظبته على الدرس بمدرسة الطب يحضر درساً بالأزهر بعد المغرب فى فقه الشافعى .

ولما تولى إبراهيم باشا فى أواخر سنة ١٢٦٤ هـ أختاره أدهم باشا مدير المدارس وكلوت بك رئيس الطب بالديار المصرية للتوجه إلى فرنسا لاكتساب العلوم الطبية بها وتعيينه بعد رجوعه مدرساً فى دار الفنون التى كان إبراهيم باشا عازماً على إنشائها فى حوش الشرقاوى ، ولكنه إنتقل إلى دار البقاء قبل أن ينفذ مشروعه . وفى أوائل سنة ١٢٦٤ هـ تولى عباس باشا الأول ، فأمر بالغاء جميع المدارس وإنشاء مدرسة واحدة سماها الأورطة المفروزة فى قرية الخانقاه وهى عسكرية ، فدخلها سالم تلميذاً لتعلم الفنون العسكرية ، وكان قد بقى له على إتمام دروسه الطبية ثلاثة أشهر حتى يحصل على إجازة طبيب .

---

(١) معجم الأطباء تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ١٩٧

فكان ذلك من دواعى كدره وألمه العظيم جزعاً من ضياع ماصرفه من سهر الليالى فى علم الطب ، وبينما هو غارق فى همومه إذ صدر أمر عباس باشا الأول باختيار بعض تلاميذ مدرسة الطب لإرسالهم إلى ألمانيا بصفة إرسالية لإكمال تعليمهم ، فحضر الدكتور برونيير بك إلى المفروزة وكانت صورة وحالة سالم لاتزال عالقة فى مخليته ، فتعاون هو وناظر المدرسة محمد بك الشافعى معلم سالم القديم على اختيار سالم ، وقد ساعدته المقادير ، واختير طالباً للبعثة ، وصدر أمر عباس باشا الأول بذلك فحضر من الخانقاه إلى القاهرة ، واختير معه ثمانية من الطلبة من مدارس أخرى ومن مدرسة الطب الملغاة ، فأرسلوا ألى مونيخ قاعدة باڤاريا من أعمال ألمانيا وكانوا لم يروا السكة الحديدية اصلا ، فلما رأوها فى ألمانيا تعجبوا منها كثيراً ، وكانوا فى مونيخ تحت إشراف رجل متشرع يسمى البارون دوبريل فعنى بهم وأحسن تربيتهم ؛ فتعلموا اللغة الألمانية مع باقى اللغات الضرورية كالفرنسية والإنجليزية ، ومايلزم من اليونانية واللاتينية ، وظلوا فيها أربع سنين يتلقون العلم على أكابر علماء ألمانيا كليبج الكيماوى وسيبلد المشرح ورووت موند الجراح وفينفر الطبيب ويتنكوفر حتى حصلوا على الدكتوراه فى الطب والجراحة والولادة وشهادة الأمتياز ، وفى سنة ١٢٧٠ هـ توجه إلى ڤينا عاصمة بلاد النمسا بأمر عباس الأول للحصول على المعلومات الطبية العلمية ، طبقا لأمر سعيد باشا .

وفى آخر هذه السنة انتقل إلى برلين لزيادة الاطلاع ، ثم عاد إلى فينا ، ودرس فيها سنة على أشهر الأساتذة ، وفى أواخر سنة ١٢٧١ هـ صدر الأمر برجوع الهيئة كلها إلى مصر ، وعين أعضاؤها أطباء بالأورطة السعيدية ، وأسس مستشفى خاص بالعساكر السعيدية بالقناطر الخيرية ، واستمر كذلك إلى سنة ١٢٧٣ هـ ، ورقى إلى رتبة اليوزباشى بمرتب ١٢٠٠ قرش ، ولما أعيد فتح المدرسة الطبية انتخبه كلوت بك ليكون مدرساً مساعداً فيها لعلم الفسيولوجيا ، ثم مساعداً لأستاذ علم الرمد وكلف ترجمة دروس الجراحة من الفرنسية إلى العربية للأستاذ راير .

وفى سنة ١٢٧٤ هـ عين معلماً ثانياً للأمراض الباطنية بالمدرسة وطبيباً مساعداً لمستشفى قصر العينى مع الدكتور برجين بك ، وكان إذ ذاك ناظراً للمدرسة ومديراً للمستشفى ، وفى سنة ١٢٧٥ هـ رقى إلى رتبة صاغقول أغاسى ، وفى سنة ١٢٧٧ هـ اختاره سعيد باشا طبيباً خاصاً له فى سفره إلى الحجاز للزيارة ، وعقب رجوعه من الزيارة عين حكيمباشى الآلايات ، وفى سنة ١٢٧٨ هـ رقى إلى رتبة قائمقام ، وعاد بتلك الرتبة إلى مدرسة الطب ، وفى سنة ١٢٧٩ هـ رقى إلى وظيفة معلم أول للأمراض الباطنية وطبيب أول لها بمستشفى قصر العينى وفى سنة ١٢٨١ هـ منح الرتبة الثانية ، وعين طبيباً أول للدايرة وطبيباً خاصا لوالدة الخديو ، وفى سنة ١٢٨٢ هـ توجه إلى الآستانة طبيباً منتدباً من الحكومة المصرية للمؤتمر المنعقد بها للنظر فى أمر الكولرة ووسائل الوقاية منها والحجر الصحى وحصل على النشان المجيدى من الدرجة الثالثة .

وفى سنة ١٢٨٤ هـ توجه إلى جزيرة كريت لخدمة العساكر المصرية ، وفى سنة ١٢٨٦ هـ توجه إلى النمسا طبيباً خاصاً للخديو توفيق باشا ، وأنعم عليه إمبراطور النمسا بنشان من الدرجة الثالثة ، وفى سنة ١٢٨٨ هـ أنعم عليه برتبة التمايز مع بقائه فى جميع وظائفه ، وظل يرتقى إلى أن أنعم عليه برتبة الميرميران ، وجعل رئيساً للمدرسة الطبية ، وطبيباً خاصاً للخديو توفيق باشا ، وفى سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) عين رئيساً للجنة المكلفة بإعادة تنظيم مصلحة الصحة ، ثم رئيساً لمجلس الصحة العمومية وعضواً فى مجلس المعارف ، وفى سنة ١٨٨٣ م أضطر إلى أن يهرب إلى الإسكندرية من وجه رجال الثورة ، وبقى مع الخديو بها إلى أن أخمدت الفتنة فعاد إلى القاهرة ، وفى سنة ١٨٨٤ م . أنعم عليه الخديو توفيق باشا برتبة روملى بكلربك ، وبقى طبيباً خاصاً لسموه حتى توفاه الله سنة ١٨٩٣ م (١٣١٢ هـ) .

وللدكتور سالم باشا من الكتب (١) كتاب وسائل الابتهاج فى الطب الباطنى والعلاج وهو ترجمة كتاب الدكتور نيمر (٢) وله كتاب أخر نقله عن كتاب كنزه . ولم يتم طبعه

(٣) كتاب الينابيع الشفائية والمياه المعدنية طبع سنة ١٨٨٣ م

وله غير ذلك جملة مقالات نشرتها المجلة الطبية ومجلات أخرى (الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا جزء ١٤ ص ١٢٥) .

الدكتور محمد شكرى باشا

ولد بالقاهرة ، وتعلم فى مدارسها ، ثم انتقل إلى مدرسة الطب بقصر العينى ، وأتم دروسه بها سنة ١٨٧١ م وعرفت فيه المدرسة النبوغ والذكاء فعين مساعدا لتدريس علم التشريح ، ثم عين بعد ذلك أستاذاً لعلم قانون الصحة ، ثم مساعدا لتدريس الأمراض الباطنة ، ثم أسند إليه الدكتور عيسى حمدى باشا وظيفة مدرس لأمراض النساء والولادة ، وكان الدكتور عيسى باشا وقتئذ ناظرا لمدرسة الطب ، فأظهر محمد شكرى باشا فى كل أدواره كفاية نادرة ومقدرة فائقة فى وظيفته ، وكان حسن الأسلوب فى التدريس حلو الحديث مع تلاميذه ، وكانت له نظرات صائبة وآراء سديدة فى تشخيص الأمراض ، وحاز شهرة كبيرة ومرتبة عظيمة عند تلاميذه والمثقفين ، وأنعم عليه بالرتب وآخرها رتبة الباشوية ، ولما اعتزل الخدمة منحته مدرسة الطب لقب مدرس شرف بها ، وكان رحمه الله يتقن عدة لغات كالفرنسية والألمانية والطليانية ، توفى فى ١٤ يناير سنة ١٩١٧ م ، ودفن بالقاهرة ، وقد رثاه بعض الشعراء ، ومنهم إحدى تلميذاته وهى الست عيوشة سامى الحكيمة قالت :

رزء أناخ على بنى الإنسان ... فبكت له الدنيا بدمع قان

ثار القضاء فطاح فى إعصاره ... الشيخ الحكيم خادم الأوطان

أبتى العزيز ظفرت منك بمنة ... لا زال يذكرها فمى وجنانى

أرثيك أم أرثى الفضيلة والحجا ... أم حظ شعب دائم الأحزان

عار على الدنيا تكيد لمصرنا ... وتدك صرح العلم والعرفان

* * *

يا بانى المجد المريض وقد مضى ... هذا البناء فأين راح البانى

معجم الأطباء — تأليف الدكتور أحمد عيسى بك ص ٤٦١ .

وَارَوْكَ فى جوف التراب وأسكنوا
ذاك الضريح محجة الإنسان

«شكرى» دعاك الله جل جلاله فتركتنا ونزلت فى الرضوان
سلب القضاء من البلاد طبيبها من للمريض بها ومن للعانى
الله أكبر ما مصابك هين موت الرجال مصيبة الأوطان
مسكينة هذه البلاد فقد هوى من مجدها رجل رفيع الشأن
يا ساكن القبر الرفيع تحية من مصر أرفعها بكل أمان

ورثاه الشاعر حافظ إبراهيم بك بقصيدة أشرك معه المرحوم الدكتور إبراهيم باشا حسن ، وكان هذا قد توفى فى زمن قريب من زمن وفاته قال :

لا مرحبا بك أيهذا العام لم يُرعَ عندك للأساة زمام
فى مستهلك رعتنا بمآتم للنافعين من الرجال تقام
علمان من أعلام مصر طواهما فيك الردى فبكتهما الأهرام
غيبت «شكرى» وهو نابه عصره وأصبت «إبراهيم» وهو إمام
خدما ربوع النيل فى عهديهما والطب نبت لم يجده غمام
والناس بالغربى فى تطبيبه ولعوا على بعد المزار وهاموا
حتى انبرى «شكرى» فأثبت سبقه أن ابن مصر مجرب مقدام
وأقام «إبراهيم» أبلغ حجة أن العرين يحله ضرغام
وترسم المتعلمون خطاهما فانشق عن عليهما أعلام
قد أقسموا للطب أن يَسْمُوا به فوق السماك فبرت الأقسام
وغدت ربوع الطب تحكى جنة فيها لبقرط الحكيم مقام
ورأى عليل النيل أن أساته بزوا الأساء فلم يرعه سقام

***

يا مصر حسبك ما بلغت من المنى صدق الرجاء وصحت الأحلام
ومشى بنوك كما اشتهيت إلى العلا وعلى الولاء كما علمت أقاموا

ومددت صوتك بعد طول خفوته فدعا بعافية لك الإسلام
ورفعت رأسك عند مفتخر النهى بين الممالك حيث تحنى الهام
كم فيك جراح كأن يمينه عند الجراحة «بلسم» وسلام
قد صيغ مبضعه وإن أجرى دماً من رحمة فجريحه بسام
وموفق جم الصواب إذا التوى داء العليل وحارت الأفهام
يلقى يسمع لا يخون إذا هفت أذن وخان المسمعون صمام
وإذا عضال الداء أبهم أمره عرفت خفى دبيبه الإبهام
يستنطق الآلام وهى دفينة خرساء حتى تنطق الآلام
كم سل من أيدى المنايا أنفسا وثنى عنان الموت وهو زؤام

* * *

ومطبب للعين يحمل ميله نوراً إذا غشى العيون قتام
وكأن إثمده ضياء ذرة عيسى ابن مريم فانجلى الإظلام

* * *

ومطبب للطفل لم تنبت له سن ولم يدرج إليه فطام
يشكو السقام بناظريه وماله غير التقزز والأنين كلام
فكم استشف وكم أصاب كأنما فى نظريته الوحى اوالإلهام
ومولد عرف الأجنة فضله إن أعسرت بولادها الأرحام
كم قد أثار لها بحالكة الحشى سبلا تضل سلوكها الأوهام
لولا يداه سطا على أبدانها كرب المخاض وشفها الإيلام
فبهؤلاء الغر يا مصر أهنئى فبمثلهم تتفاخر الأيام
وعلى طبيبك اللذين رماهما رامى المنون تحية وسلام

الدكتور محمد الدرى باشا

هو ابن المرحوم السيد عبد الرحمن أحمد من تجار محلة أبى على القنطرة من أعمال الغربية ، ولد الدكتور درى باشا بالقاهرة فى سنة ١٢٥٧ هـ ـ ١٨٤١ م ، ولما بلغ السابعة من عمره سنة ١٢٦٤ هـ أدخله والده مدرسة المبتديان المعروفة بمدرسة الناصرية، ولم يقم فيها سوى بضعة أشهر، ثم ألغاها عباس باشا الأول فى تلك السنة التى عرفت بسنة البرار والبراماز، أى ما ينفع وما لا ينفع بالتركية، فإنتقل إلى المدرسة التجهيزية ، وكانت فى الأزبكية ومكانها الآن فندق شبرد ، وبعد بضعة أشهر انتقل تلامذة هذه المدرسة إلى مدرسة أبى زعبل ، ثم انتخب منها تلميذاً لمدرسة المهندسخانة ؛ وكانت فى بولاق وناظرها المرحوم على مبارك باشا ، وكان أكثر ميله إلى تعلم الطب ، فصار يترقب الفرص لذلك حتى أتيحت له سنة ١٢٦٩ هـ ـ ١٨٥٣ م ، فألحق بمدرسة الطب ، وبعد أن أتم نصف الدروس خطر لسعيد باشا أن يلغى مدرسة الطب والتعليم الطبى ، فحضر إلى المدرسة وبصحبته الدكتور محمد بك شافعى ناظر المدرسة الطبية وغيره ، فاصطف أمامه التلامذة وميزهم ثلاث فرق بحسب أعمارهم . فصغار السن طردوا من المدرسة ، والمتوسطون ألحقوا بالشوشخانة السعيدية (أورطة عسكرية) ، والمتقدمون فى السن ألحقهم بالمدرسة العسكرية الحربية فى بلدة طرة ، وكان صاحب الترجمة من المتوسطين فى السن ، فألحق بالعسكرية وألبسوا ملابسها ، وأقفلت مدرسة الطب ، وخلت البلاد من تعليم علم الطب ، وبعد حين أصدر سعيد باشا أمره بالعفو عنهم ، وجعلهم تمورجية (ممرضين) فى الجيش . واستمر صاحب الترجمة يعمل فى خدمة المرضى بالجيش حتى نال رتبة الجاويش .

ثم جاءت هيضة سنة ١٢٧٢ هـ ـ ١٨٥٥ م ، فاشتغل فى معالجة المرضى والعناية بهم ، ووضع بعد ذلك رسالة فى هذا المرض دون فيها مشاهداته

معجم الاطباء تأليف الدكتور احمد عيسى بك ص ٤٥٢ .

وخبرته به ، وفى سنة ١٢٧٣ هـ ـ ١٨٥٦ م عاد إلى مصر الدكتور كلوت بك الشهير مؤسس المدارس الطبية بمصر ، والتمس من سعيد باشا الوالى إعادة المدرسة االطبية إلى ما كانت عليه ، فأجيب إلى ذلك،وصدر الأمر بجمع تلامذتها من الايات الجيش وإرجاعهم إلى المدرسة ، فعادوا إليها ، ومازال صاحب الترجمة فيها حتى أتم دراسة الطب ، وتخرج طبيبا وعين بها مساعدا ومعيدا لعلم الجراحة بمرتب شهرى قدره ثلاثة جنيهات فى الشهر .

وفى سنة ١٢٧٩ هـ ـ ١٨٦٢ م بعث سعيد باشا ارسالية إلىأوربا لإتقان فن الطب،وفيها صاحبالترجمة،وكان أصغرهم سنا ورتبة، وبعد وفاةسعيد باشا وتولى إسماعيل باشا مكانه استرجعت الإرسالية من أوربا إلا صاحب الترجمة فإنه استمر بها حتى اتم دروسه فى المدرسة ، وعلى أيدى أشهر الجراحين فى ذلك الوقت كالدكتور نيلاتون ، ونال إجازة الدكتورية ، وفى تلك الأثناء كان الخديو إسماعيل قد توجه إلى فرنسا فلقيه الدكتور نيلاتون أستاذ محمد الدرى ، وأطنب له كثيرا فى صاحب الترجمة وأثنى على أعماله واجتهاده فأمر الخديو بأن يعطى الدكتور محمد الدرى عدة كتب وبعض الآلات الجراحية ومائة بنتو ، فأخذ صاحب الترجمة هذا المال المنعم عليه به ، وأضاف إليه ما كان معه من المال واشترى بها كل القطع التشريحية التى أحضرها معه إلى مصر ، وبقيت أثرا خالداً له فى مدرسة الطب المصرية .

وفى عام ١٢٨٦ هـ — ١٨٧٠ م رجع إلى مصر وأنعم عليه برتبة الصاقول أغاسى وعين حيكمباشى قسم المطارين فى الإسكندرية ، ثم عين جراحا ثانيا لقسم الجرحة فى مستشفى الإسكندرية ، وبقى فيها إلى سنة ١٢٨٨ هـ — ١٨٧٢م ثم نقل إلى مصر وعين معلماً ثانياً لعلم التشريح وجراح باشى إسبتالية النساء بقصر العينى ، وظل بها إلى سنة ١٢٩١ هـ — ١٨٧٤ م .

ثم عين معلماً أول لفن التشريح وجراح باشى إسبتالية النساء ، وأنعم عليه

برتبة البكباشي في سنة ١٢٩٤ هـ — ١٨٧٧م وأنعم عليه برتبة أمير الاي في سنة ١٢٩٩ هـ. وأنعم عليه برتبة التمايز سنة ١٨٨٢ م ، وفي سنة ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٧م أنعم عليه برتبة أمير ميران الرفيعة الشأن .

وفي هذه المدة قلد عدة نياشين منها نيشان الحرب بين الدولة العلية وروسيا ، فإنه كان قد أرسل مع الجيش المصري وعين حكيمباشي إسبتالية صوفيا ، وما زال أستاذا أول للجراحة في المدرسة ومستشفى قصر العيني حتى قلب التعليم في المدرسة باللغة الإنجليزية ، فأحيل إلى المعاش ، وتفرغ إلى أعماله الخاصة ، ثم دهمه فقد صهره وفقد ابن أخيه الدكتور حامد بك صدقي ، فأثرت وفاته على صحته ، وتوالت عليه العلل حتى توفاه الله في ليلة ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٠ م (١٣١٨ هـ) ، ودفن بالقاهرة .

وكان رحمه الله رضي الخلق حسن الطباع ميالا إلى فعل الخير محسنا جواداً كريم السجايا رءوفا بالفقراء كثير العطف على المساكين يواسيهم ويعالجهم من محض ماله ، وكان مشغوفا بالعلم ، وأنشأ مطبعة خاصة له مستوفاة جميع ما يلزم الطبع المتقن يطبع فيها مؤلفـــــاته ومؤلفات من يريد من زملائه دون مقابل ، فكانت له اليد الطولى في نشر علم الطب وإذاعة مؤلفاته ، وكان كل ما يحصل عليه من مال من صنعته يصرفه على خدمة مهنته وأمته وبلاده حتى مات لا يملك إلا القليل مما لا يناسب ما قام به من الأعمال الجليلة ، واتصف به من الشهرة الفائقة ومع تكسبه من عمله .

وقد ترك المرحوم الدكتور محمد الدري باشا من آثاره مجموعة تشريحية عظيمة وصوراً ملونة من المصيص لجميع الأمراض كانت معروضة في متحف مدرسة الطب في قاعة خاصة مكتوب عليها مجموعة الدكتور محمد الدري باشا ومن مصنفاته :

كتاب بلوغ المرام في جراحة الأقسام ظهر منه ٤ مجلدات ضخمة ـ كتاب التحفة الدرية في مآثر العائلة المحمدية العلوية ـ كتاب تذكار الطبيب طبع مرتين

كتاب فى الأورام الليفية ــ ترجمة حياة المغفور له على باشا مبارك ــ كتاب الإسعافات الصحية فى الأمراض الوبائية طبع سنة ١٣٠٠ هـ ــ ١٨٨٣ م ــ كتاب عموميات على الجمرة وخلع الفخذ طبع سنة ١٨٨٩ م ــ كتاب بلوغ المرام فى جراحة الأقسام طبع سنة ١٨٩٠ م كتاب جراحة الأنسجة طبع سنة ١٨٩٢ م ــ كتاب الجراحة العامة طبع سنة ١٨٩٢ م وكلها مطبوعة فى مطبعته رحمه الله تعالى ــ رسالة فى الهيضة الوبائية ــ تذكار الطبيب يشتمل على التذاكر الطبية التى كان يضعها مشاهير الأطباء بقصر العينى .

محمد بدر بك

من أهل زاوية البقلى بمديرية المنوفية ، أخبر عن نفسه أنه من عائلة القفيمية، وكان أهله فقراء ، فدخل أولا مكتب بلده ، ولما بلغ سبع سنين أدخله أخوه مدرسة قصر العينى ، ففرح بذلك لأنه كان يرغب فى التعلم من صغره .

ثم انتقل إلى مدرسة الخانقاه ،وانتقل بعد ذلك إلىمدرسة المبتديان بالناصرية ، وقرأ العلوم الابتدائية كالأجرومية والسنوسية على الشيخ أحمدشلبي وشيئاً من الحساب والخط واللغة التركية ، ثم دخل المدرسة التجهيزية والألسن ، فزاد عليه علم الهندسة ، ثم انتخب لمدرسة الطب ، وكان يرغب فى علومها فتعلم بها علم الكيمياء والطبيعة والنبات والتشريح العام والخاص والجراحة الكبرى والصغرى والرمد والأمراض الباطنة ، وأخذ عن المرحوم محمد على باشا البقلى الحكيم وغيره، وكان أول أقرانه هو وسالم باشا سالم ، فاختارهما أحد مشاهير علماء فرنسا الجراحين لأخذهما معه إلى مونبيليه بفرنسا لنباهتهما.

ثم تركهما ، لصغر سنهما ، ثم ألغيت مدرسة الطب فى عهد عباس باشا ، وأخذ تلامذتها لمدرسة المفروزة ، ثم رجع إليها نحو العشرين من نجباء التلاميذ ، فكان أولهم ، ثم تعين حكيما للمرحومة حرم عباس باشا وقادن فى عهد جريسنجر ورايز ، وكان يومئذ برتبة ملازم ثان ، ثم سافر مع أربعة من التلامذة إلى بلاد الإنجليز لإتقان العلوم ، وهناك أظهر من النجاح ما خوله الحصول على نيشان شرف أول درجة ، وثلاثة نجوم شرف وأراد حكيم المملكة أن يتخذه مساعداً له ويمكث فى بلاد الإنجليز ، ورتب له ماهية مائة وخمسين جنيها غير الأكل والنوم بمنزله فأبى ، وآثر الرجوع إلى وطنه لخدمته ، وكان هذا الطبيب الإنجليزى يلقبه بنجمة المشرق .

معجم الاطباء تأليف الدكتور احمد عيسى ص ٤٥٠

ولما عاد إلى مصر أمر سعيد باشا بجمله حكيم أورط المعية السوارى وأعطاه رتبة ملازم أول ، وبعد ثلاثة شهور رقاه إلى رتبة يوزباشى ، وبعد إلغاء السوارى جعل طبيباً أول لمديرية الشرقية والقليوبية ، ثم جعل معلما ثانياً فى علم الرمد مع الدكتور حسين عوف بك بقصر العينى ، ثم نقل إلى معلم ثان فى الأمراض الباطنة ثم إلى معلم أول فى الطب الشرعى وقانون الصحة ثم إلى معلم أول فى الأمراض الباطنة ، ثم جعل معلما فى علم المادة الطبية وفن العلاج ، وحكيم أمراض الجلد بالمستشفى .

وقد سافر كثيراً وتوظف بوظائف عدة : فكان حكيم الانجرارية ببولاق وسافر مع السائحين إلى صعيد مصر الأعلى خمس مرات ، فكان فى كل مرة موضع تقدير كرام السائحين ، وسافر سنة ١٨٦٧ م بوظيفة حكيم الإرسالية ثم عاد وسافر إلى اليمن حكيما للمعدنجى المشهور للبحث عن الفحم الحجرى .

وعند إفتتاح قناة السويس كان متعينا به ، فلقب حكيما للبرنس هنرى شقيق ملك الفلمنك، وأنعم عليه هذا الملك بنشان شرف ثم سافر فى حرب الحبشة مع البرنس حسن باشا نجل الخديو إسماعيل ثم عاد وأنعم عليه الخديو إسماعيل باشا برتبة أميرالاى ، وأنعم عليه فى سبتمبر سنة ١٨٧٦ م بالرتبة الثانية .

ثم عين مدرساً بمدرسة الطب ، وطبيباً بإحدى عيادات المستشفى ، وحكيما للسكك الحديدية ولحسن باشا نجل الخديو ودائرته. توفى سنة ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ) وله من الكتب : الفرائد الدرية فى علم الشفا والمادة الطبية طبع سنة ١٨٩٠ م — ١٣٠٧ هـ ، والدرر البدرية النضيدة فى شرح الأدوية الجديدة طبع سنة ١٨٩١ م — ١٣١٠ هـ .

والصحة التامة والمنحة العامة طبع بعضها سنة ١٨٧٩ م — ١٢٩٦هـ (الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا ج ١١ ص ٨٨) .

الدكتور حسن محمود باشا

ولد فى سنة ١٨٤٧ فى قرية صغيرة على طريق أهرام الجيزة يقال لها الطالبية ، وتلقى مبادىء العلوم فى مدارس مصر ، وفى أبريل سنة ١٨٦٢ م أرسل ضمن الإرسالية العلمية إلى مونيخ بألمانيا لتعلم العلوم الصحية بها ، ولبث فيها إلى أواخر سنة ١٨٦٣ م ، ثم انتقل إلى فرنسا حيث أتم علومه بباريس ، وفى أوائل سنة ١٨٦٨ م عاد إلى مصر وعين مساعداً لأستاذ التشريح بمدرسة الطب ، ثم عين أستاذاً له ، وتولى تدريس علوم أخرى ، وانتظم قبل رجوعه إلى مصر من باريس عضواً فى جمعيتين علميتين ، وانتخبته أكاديمية البرازيل عضوا فيها ، وتقلب فى مناصب كثيرة : منها أنه عين فى ١٩ من أكتوبر سنة ١٨٧٩ مفتشا لصحة القاهرة ، واختير طبيبا خاصاً فى دوائر الأمراء والمعية السنية ، وفى ٧ من ديسمبر سنة ١٨٧٩ م أنعم عليه برتبة التمايز ، وتولى إدارة مجلس الصحة البحرية والكورنتينات (المحاجر) ، وعين رئيساً لمدرسة الطب من سنة ١٨٨٩ م إلى سنة ١٨٩١ م ، وأنعم عليه برتبة الباشوية ، وانتدبته الحكومة المصرية إلى عدة مؤتمرات طبية ، وكانت وفاته سنة ١٩٠٦ م ، وعمره ٥٩ سنة ومن مصنفاته :

١ — كتاب الفرائد الطبية فى الأمراض الجلدية طبع سنة ١٢٩١ هـ .

٢ — كتاب الخلاصة الطبية فى الأمراض الباطنية طبع سنة ١٨٩٢ م .

٣ — البواسير ومعالجتها طبع سنة ١٢٩٥ هـ .

٤ — تحفة السامع والقارى فى داء الطاعون البقرى السارى طبع سنة ١٨٨٣ م .

معجم الاطباء تأليف الدكتور احمد عيسى ص ١٦٨

٥ — رسالة فى حمى الدنج طبعت سنة ١٢٩٩ هـ .

٦ — رسالة فى الهيضة طبعت سنة ١٨٨٣ م بالفرنسية .

٧ — الاستكشاف العصرى فى الدمل المصرى طبع سنة ١٢٩٠ هـ .

٨ — الرمد الصديدى للدكتور دوثريو الكحال ترجمة طبع سنة ١٢٩٥ هـ .

٩ — رسالة فى داء الفقاع ألفها بالفرنسية ، ونال بها إجازة الطب .

١٠ — ينبوع شفاء الأبدان فى حمامات حلوان طبع سنة ١٢٩٤ هـ . ١٨٧٧ م

(تاريخ البعثات للأمير عمر طوسون ص ٥٣١ وغيره من المراجع) .

محمد علوى باشا

ولد الدكتور محمد علوى باشا بمصر ، وينتسب إلى أسرة عريقة ، أتم دراسته الثانوية بالمدرسة التجهيزية بالقاهرة ، وفى سنتى ١٨٦٨ — ١٨٦٩ م نال مكافأة عظيمة ، والحق بمدرسة الطب ، وأمضى فيها ستة امتحانات فى ست سنوات ، وحصل على درجات عالية ، وفى سنة ١٨٧٥ م توجه إلى فرنسا ، والحق بجامعة الطب بمونبيليه وأدى الأمتحان فى آخر السنة بدرجة فائقة ، وبعد أن أتم دراسته بمونبلييه انتقل إلى جامعة ليون الطبية ، وفى ٢٠ من ديسمبر سنة ١٨٨٠ م قدم رسالة عنوانها « مباحث فى أنسجة الملتحمة فى القرنية عند الحيوانات ذات الفقار فحازت هذه الرسالة إعجاب لجنة الإمتحان ، ونال فى السنة نفسها مدالية فضية ، وفى السنة التالية تعين رئيساً لعيادة أمراض العيون بجامعة الطب بليون ، ولما عاد تعين طبيباً أول لمدارس الحكومة المصرية ، فقام بعمل إحصائيات سنوية لمختلف الأمراض المدرسية ، وفى سنة ١٨٨١ م قدم إحصائيات دلت على انتشار أمراض العيون بالقطر المصرى ، فتقرر بناء على طلبه إنشاء عيادة بدرب الجماميز لمعالجة الفقراء المصابين بمرض العيون مجاناً ، وكان هذا العمل بأمر خيرى باشا وزير المعارف إذ ذاك ، وتصرف عليها وزارة المعارف ، ثم أقفلت هذه العيادة بعد سبع سنوات من فتحها .

وفى سنة ١٨٨٤ م قدم لنظارة المعارف جملة تقارير بين فيها نسبة الأمراض المنتشرة بين الطلبة ، وقدر أمراض العيون فيها بنسبة ٨٥ ٪ وأمراض المعدة بنسبة ٢٨ ٪ والبلهارسيا بنسبة ٤٠ ٪ ، وأشار على نظارة المعارف باتخاذ بعض الأحتياطات التى رآها ضرورية لحفظ صحة الطلبة كزيادة النور والهواء وإصلاح مياه الشرب وتحسين الأثاث وتغيير مواعيد مساحات المدارس. وجعلها فى الصيف اتقاء لشدة الحرارة فيه ، وأدخل الرياضة البدنية فى المدارس ، وأدخل التلقيح

معجم الاطباء تأليف الدكتور احمد عيسى ص ٤٦٩

الإجبارى بعادة الجدرى فى جميع المدارس عند دخول الطلبة ، وكل سبع سنين .

وفى سنة ١٨٩٣م عين مدرسا لفن الرمد بمدرسة الطب وألف كتابا فى أمراض العيون أسماه « النخبة العباسية فى الأمراض العينية » وانتدب الدكتور محمد علوى إلى السفر فى عدة مؤتمرات لطب العيون كمؤتمر سنة ١٩٠٢ بمدينة بروكسل ،وكان الغرض من هذا المؤتمر تحسين حالة العميان ، فقدم رسالة فى « العمى وتحسين حالة العميان فى مصر » بين فيها بالإحصاء أنه فى ١٨٫٠٠٠ مريض مقدار ٣٫٥٪ مصابون بالعمى ،وأثبت كذلك النقص التدريجى المحسوس فى الرمد الحبيبى بمصر ولا سيما فى مدارس الحكومة .

ولما عقد المؤتمر الطبى المصرى فى ديسمبر سنة ١٩٠٢ م فى القاهرة كان الدكتور محمد علوى باشا رئيساً لقسم الرمد ، وقدم رسالة موضوعها « دراسة حبوب الملتحمة ونوعها ومعالجتها بالمدارس » الحبوب الحقيقية والحبوب الكاذبة، وفى سنة ١٩١١ م عقد مؤتمر فى مصر لتحسين حال العميان ، وكان للدكتور اليد الفعالة فى عقدة ، وكان الدكتور علوى باشا عضوا بالجمعية التشريعية ومجلس المعارف الأعلى ، وفى سنة ١٩٠٧ م أحيل إلى المعاش ، وفى مارس سنة ١٩١٤ م عين مراقبا عاما للجامعة المصرية اعترافا بفضلة فى سعية لدى الأميرة فاطمة هانم فاضل، فتفضلت بالتبرع للجامعة المصرية بهبات وأوقاف عظيمة ، واستمر يعمل لخدمة الجامعة المصرية حتى وافاه القدر المحتوم فى مساء الأربعاء ٢٣ من أكتوبر سنة ١٩١٨ م الموافق ١٧ من محرم سنة ١٣٣٧ هـ .

وقد ألقى الشاعر إبراهيم أفندى حسنى هذه الأبيات على قبره :

عيون وقد كنت نور العيون   ستبكيك من دمعها بالهتون

إلى أن قال :

هنا تستفيض دموع العيون   فقد خلقت للدموع العيون
لك الذكر بعد الحياة وكان   لك المال زينتها والبنون
لك الله ياراحلا للخلود   إلى جنة وعد المتقون

ورثاه الشاعر الأديب محمد أفندى الهراوى قال :

أما المصاب ففى العيون أودت بقرتها المنون
ياجالى البصرين كا د الناس بعدك يعمهون
فالمبصرون أولو النهى كانوا برأيك يهتدون
والذاهبات عيونهم كانوا بنورك يبصرون
منن على الألباب منـ ـك ومثلهن على العيون
نسج الحوادث أنت يا علوى وبنيان السنين
وذخيرة مما أصبـ ـنا من تراث الأولين
هل كنت إلا مجد دنـ ـيا للبلاد وعز دين

* * *

أودى بشبليك الردى فقضى بك الحزن الدفين
كانا جناحى طائر قصا فعاجله السكون
يا ثاويا وعيوننا ترويه بالدمع الهتون
لو يستطاع كرامة واروك مابين الجفون

الدكتور ظيفل حسن باشا بن حسن أفندى الورداني المهندس

ولد بالقاهرة فى سنة ١٨٦٧ م ، ونشأ بها فأدخله والده فى مدرسة المبتديان ، ثم انتقل منها بعد انتهائها إلى المدرسة التجهيزية ، وما كاد يتم دروسه بها حتى بوغت بوفاه والدة ، فكفله أخوه محمد ناصف الورداني الذى كان ضابطاً بأركان الحرب ، ثم أدخله مدرسة الطب بقصر العينى ، وتخرج منها سنة ١٨٩٠ م ، فعين طبيباً لمركز أسيوط ، ثم نقل منه إلى مستشفى دمنهور طبيباً له ، ولبث فيه ثلاث عشر سنة كان له فيها أحسن الذكر ، واكتسب محبة المرضى وتقديرهم لمارفة خدمته للفقراء . وأنعم عليه برتبة البكوية من الدرجة الثالثة ، وفى سنة ١٩١١ م نقل إلى مستشفى الإسكندرية رئيساً لقسم الجراحة فيه ، وفى سنة ١٩١٥ م أنعم عليه برتبة البكوية من الدرجة الأولى ، وأنتخب عضوا بمجلس بلدية الإسكندرية ، وفى سنة ١٩١٧ م استقل بأعماله ، وتفرغ لمالجة مرضاه ، وحاز شهرة كبيرة ، وكثر مرضاه والراغبون فى علاجه وعنايته .

وفى سنة ١٩٢١ م أنعم عليه برتبة الباشوية وأنتقل حوالى عام ١٩٢٣ إلى القاهرة ، وعرض عليه أن يرأس القسم الطبي بوزارة الأوقاف وإدارة مستشفى الملك ، فقبل هذا التكليف احتساباً مسروراً فى سبيل الخير ، ولم ينل على ذلك أجراً ، وفى افتتاح أول برلمان مصرى سنة ١٩٢٤ م عين عضوا بمجلس الشيوح وظل يعمل فى هذا المجلس وفى وزارة الأوقاف إلى أن وافته المنية فى يوم الأحد ١٩ من أبريل سنة ١٩٢٥ م .

وكان رحمه الله رضى الخلق حسن الطباع بارا بالفقراء شفيقاً بالضعفاء والمعوزين يحبه جميع عارفيه ، مجداً فى عمله مطلعاً على أحدث أساليب العلاج ، لا يدع فرصة لايستفيد منها فى علمه وفنه .

معجم الاطباء تأليف الدكتور احمد عيسى ص ٢٢٩ .

الدكتور محمد توفيق صدقي[1]

ولد فى ٢٤ شوال سنة ١٢٩٨ هـ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ م ، فلما أشتد وترعرع دخل المكتب فاستظهر القرآن الكريم ، وكان ذلك هو السر فى ميله إلى الأبحاث الدينية وتطبيقها على مبادىء العلوم العصرية وفى طلاقة لسانه وقلمه ، ثم دخل المدرسة الابتدائية ، ونال إجازتها سنة ١٨٩٦ م ، ثم دخل المدارس الثانوية ونال إجازتها عام ١٩٠٠ م ، ثم دخل مدرسة الطب المصرية ، ونال إجازتها عام ١٩٠٤ م ، وكان متقدما على أقرانه، فاستحق أن تشكره وزارة المعارف على اجتهاده بمكتوب خاص مؤرخ فى ٢ من يوليو سنة ١٩٠٤ ولما تخلص من عناء الدراسة أنطلق كالجواد المصلى فى أبحاثه موليا وجهه شطر ما تشبعت به نفسه وأمتلأ بحبه عقله وقلبه ، فكان يكتب تارة فى المنار وتارة فى الجرائد السياسية السيارة كالمؤيد واللواء والشعب والعلم وغيرها من الصحف اليومية يضرب فى كل مبحث بسهم صائب حتى بلغ ما كتبه من المقالات والرسائل عدداً كبيراً عدا المؤلفات الممتعة ، منها رسالة الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الإسلامية وغيرها من الرسائل فى الدين الإسلامى ، ومن كتبه : دين الله فى كتب أنبيائه ، دروس سنن الكائنات جزءان .

وتقلب فى الوظائف ففى سنة ١٩٠٥ م عين طبيباً لسجن طرة ، ورقى إلى طبيب درجة أولى سنة ١٩١١ م ، وأنعم عليه بالنيشان المجيدى الخامس سنة ١٩١٣ م ، ثم نقل إلى سجن مصر ، ثم إلى إصلاحية الأحداث عام ١٩١٤ م ، ثم مرض بحمى التيفوس وكانت شديدة الوطأة عليه فلم تمهله إلا أسبوعا ، وانتقل إلى رحمة ربه فى يوم الأربعاء ٢١ من شهر أبريل سنة ١٩٢٠ م الموافق اليوم الثانى من شهر شعبان سنة ١٣٣٨ هـ ، وكان رحمة الله ذا تقوى ودين قوى الحجة خالص النية كاتبا بارعا عظيم الإهتمام بالدين الإسلامى ونشر آدابه ومحاسنه بين الناس من مسلمين وغيرهم من الديانات الأخرى حتى كان على يديه إسلام كثير من أصدقائه من الملل الأخرى رحمه الله .

---

[1] معجم الاطباء تأليف الدكتور احمد عيسى

الدكتور على إبراهيم رامز بك[1]

هو ابن المرحوم الدكتور إبراهيم باشا حسن ناظر مدرسة الطب ، ولد فى القاهرة سنة ١٨٧٥ م ، وتربى فى بيئة طبية ، ولما نفى إسماعيل باشا الخديوى عن مصر استصحب والد المترجم معه فى منفاه إلى إيطاليا ، وأخذ الدكتور إبراهيم باشا حسن معه ولديه على ويوسف ، فتلقى الأخوان التربية المدرسية الأولى مع الأمراء أنجال الخديو إسماعيل فى مدينة نابلى ، ثم سافر النجلان بعد ذلك إلى ألمانيا لإتمام تعلمها ، فحصل على أجازة البكالوريا فى سنة ١٨٩٤ م ثم حضر إلى القاهرة ، وأقام بها مدة قصيرة ، ثم لحق أخاه يوسف فى مونيخ من أعمال ألمانيا ، ودرس الأثنان علم الطب فى مدرستها ، ونجحا نجاحا عظيما يخولهما الحصول على كفالة حكومة بافيير لهما لولا جنسيتهما الأجنبية ، وبعد أن حصل على إجازة الطب قضى زمنا طويلا يعمل مساعدا فى مستوصفات مونيخ ومتطوعا للعمل فى مستشفيات لوندرة ، وفى سنة ١٩٠١ م عاد الدكتور على إلى وطنه مصر وتزوج سيدة ألمانية هى كريمة أستاذ من علماء التاريخ بمونيخ ، وكان فى ذلك الوقت ممتلئا همة ونشاطا وآمالا كبارا

وفى سنة ١٩٠٢ عين فى أول الأمر جراحا مساعدا فى مستشفى قصر العينى ، وبعد أربع سنين كلف بالتدريس فى مدرسة الطب ، وفى سنة ١٩١٩ م عين أستاذا للجراحة الوصفية بمدرسة الطب ، فاكتسب الدكتور على بك شهرة واسعة ، وازدهى التعليم الجراحى فيها بإسناده إلى أستاذ مستنير واسع الخبرة ، فثابر على نشر تقاريرها السنوية العلمية بما عهد فيه من الكفاية وسعة العلم ، وكانت له فى فى الطب مشاهدات كثيرة ودراسات واسعة فى كثير من الأمراض طيلة أستاذيته ، وكانت أعماله من الدقة فى البحث والوضوح فى التحرير فى الدرجة العليا ، وكانت تتجلى مهارته وتظهر سمة علمه على الخصوص فى فحصه للمرضى

---

(١) معجم الأطباء تأليف الدكتور أحمد عيسى ص ٢٩٦

وفي قاعة العمليات الجراحية ، وقد أحبه تلاميذه ، لأن قد وهب لهم نفسه وقلبه وما عدا المدرسة والمستشفى فقد كرس نفسه للمرضى وهم كثيرون أغنيائهم وفقرائهم على حد السواء حتى حاز تقديرهم وميلهم إليه أبتداء من الملك الذى جعله طبيبا مستشاراً له إلى أصغر فلاح .

وكان الدكتور على رامزيك عدا ذلك مولعا بالطبيعة وفنانا كبيرا ، وكان ميله وحبه للنبات والأزهار يضطرانه إلى تضحية الكثير من راحته فى دراسة نباتات مصر ، وكانت له حديقة غناء فى منزله غرس فيها من كل نبات غريب حتى إنه قد جعل الكثير منه بلديا وكان كثير الحنوعظيم الشغف بورودموريحانه، وقد صنف فى نباتات البلدان الحارة كتابا عظيما ، وجمع بصبره وجلده ومثابرته مجموعة نباتية وحيدة فى بابها ، وألحق بها الشروح المستوفاة على نباتات أوربا وأمريكا وإفريقية ، وقد كان نيته أن يعطى النباتات التى شرحها ألوانها الطبيعية فلم يمهله الأجل بعد أن شرع فيها

وقد كان للدكتور على إبراهيم رامزيك معرفة جيدة بالموسيقى والتصوير والرسم والتصوير الشمسي ، وكان يصور الأمراض فى دروسه لطلبته ويتركها لهم، ويستفيدون منها . وفى يوم من الأيام بينما هو متمتع بكمال صحته وقائم بخدمة الإنسانية لم يغنه الحذر من القدر فجرح اصبعه بسلاحه عندما كان يجرى إحدى العمليات فى جرح متعفن ، فتلوث دمه ، وأصيب بحمى عفنة سممت جسمه ، وضاعت فى إنقاذه جهود زملائه الجبارة فراح ضحية علمه وأمانته وإنسانيته فمات فى اليوم التاسع من شهر يونيه سنة ١٩٢٨ م رحمه الله .

البابُ الثامن

الطب فى عصر النهضة

الباب الثامن :

الفصل الأول

تاريخ الطب فى عصر النهضة

لقد رأى عصر النهضة تقدم الطب ، وظهر فيه الترمومتر والميكروسكوب ، وتعليم الطب على أسس إكلينيكية وجراحة تجميل الوجه ، وظهر تقدم الصحة العامة والاهتمام برعاية الطفولة والأمومة وتقييد المواليد، ومعرفة الأمراض المعدية.

وظهر فى القرن التاسع أ كتشاف البكتريا وصلتها بالأمراض .

وأهم اكتشاف ظهر اكتشاف التخدير الذى قلل من أهمية السرعة فى الجراحة وأعطى الطبيب فسحة من الوقت ليكون دقيقاً فى عمله .

واكتشف أيضاً التعقيم ومواده اللازمة للجراحة ، وكان الجراحون يخافون من تقيح الجروح قبل التعقيم ، وفى نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين ظهر التطعم ضد الأمراض وجراحة القلب والمخ وتحسنت جراحة التجميل ، واستعملت الأشعة ، وظهرت المضادات الحيوية وتعتبر أدوية سحرية فى العلاج ، وظهرت التخصصات المختلفة فى أدق فروع الطب، واهتمت الحكومات بالصحة العامة.

ويتكلم بعض الأطباء اليوم عن كبد صناعية — معدة صناعة — بنكرياس ومصارين من المعادن والبلاستيك .

وهذه كلها تحتاج لتجارب طويلة ليمكن الجراح أن يستفيد منها أو يغيرها أولا يعتمدها كما جرى فى جراحة القلب ووضع القلب مكان آخر فالجراحة تتغير يوما بعد يوم لأسباب طبية لا داعى لمناقشتها هنا .

ما موقف البلاد الإسلامية فى ذلك كله ؟

أصيبت البلاد الإسلامية بنكبات متتالية منذ حل بها الظلام التركى ، فلقد كانوا مستعمرين مثل الأوروبيين تماماً ، فأذاقوا البلاد الإسلامية أنواع الظلم والعسف . فضلا عن غطرستهم .

واستمر فى عهدهم حكم المماليك فى مصر والولاة فى مختلف البلاد الإسلامية عنوانا على الجهل والفساد .

ولذلك كان عصرهم عصر انحطاط للحضارة حتى أتت الحملة الفرنسية، وأتت ببعثة من العلماء الذين درسوا مصر وأحوالها ، وهنا ابتدأت الحضارة الحديثة .

وأرسل محمد على بعض البعثات المختلفة فى مختلف العلوم، ومنها الطب من أبناء الفلاحين المصريين إلى أوربا ، فاغترفوا من ثقافتها ومن علمها .

أما القرن العشرون فقد كان ابتداء عصر النهضة فى مصر ، إذ أرسل سعد زغلول باشا زعيم الثورة المصرية سنة ١٩١٩ مئات من البعثات إلى أوربا كانوا هم نواة الجامعة المصرية الأولى فى القاهرة ، وبعد ثورة ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢ بزعامة الرئيس جمال عبدالناصر فتحت الجامعات وزيدت الكليات ... أسيوط المنصورة — طنطا زيادة على فتح أقسام جديدة فى جامعات القاهرة — إسكندرية — عين شمس .

ولأول مرة فى تاريخ الشرق الأوسط يصبح العلاج حقا لكل مواطن،وتفتح وحدات ريفية تملأ كل القرى المصرية ومستشفيات مركزية ومستشفيات عامة جديدة تملأ جميع عواصم المحافظات .

وأصبح فيها مستشفيات متخصصة للسرطان والقلب وشلل الأطفال .

وأصبح الاتصال بجميع العالم سهلا .

وصار يؤم مصر علماء ليحاضروا ويشاهدوا ما نعمل .

وأصبح للأطباء المصريين سمعة طيبة فى جميع المؤتمرات الطبية،وتقيم الجمعية

الطبية المصرية مؤتمرا لها كل عام فى عاصمة كل قطر عربى بحيث أصبحت مؤتمراتها مثلا يحتذى لجميع الأمم .

ولقد جاء فى الميثاق فى الباب السابع .

حق كل مواطن فى الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواء مجرد سلعة تباع وتشترى ، وإنما تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى، ولا بد أن تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن فى ظروف ميسرة وقادرة على الخدمة . ولقد حدد الميثاق التأمين الصحى وسيلة لامتداد الحق فى الرعاية الصحية إلى جميع المواطنين فى سهولة ويسر تقدم عن طريق الرعاية لكل مواطن على حسب حاجته ، وليس على حسب امكاناته أو قدرته المادية على تحمل أعبائها .

لقد انتشر تقدم الطب سريعا فى جميع البلاد الإسلامية ، بل وأمم الطب فى بعضها ، ووجدت فيها الكليات الطبية المختلفة، وبرز من أبناء المسلمين من يفضلهم حكام الغرب على بنى جنسهم، فلقد قام طبيب جزائرى مسلم بعمل عملية البروستاتا للجنرال ديجول بالرغم من وجود فطاحل الأطباء الفرنسيين .

ولقد ظهر العلاج الطبي فى لبنان بعد أن أرسل الأمير بشير الشهابى خمسة من أبناء لبنان ليتعلموا فى مدرسة الطب بقصر العينى .

ولقد بنت لبنان أول مدرسة طبية بها سنه ١٨٦٧ تحت إشراف كلية البروتستانت السورية ، وسميت بعد ذلك الكلية الأمريكية ببيروت .

وبنيت مدرسة ثانية سنة ١٨٨٣ فى كلية سان جوزيف .

وافتتح السودان أول مدرسة طبية به سنة ١٩٢٤ .

وافتتح العراق أول كلية طبية به سنة ١٩٢٧ .

وافتحت تونس والجزائر ومراكش كليات طبية أخيرا .

وتبنى العربية السعودية الآن أول كلية طبية بها، إذ فى العربية السعودية ٧٣ مستشفى و١٦٧ صيدلية وعيادة خارجية و٢٥٠ مركزاً صحياً .

وفى الكويت الآن التى ابتدأت عنايتها بالصحى سنة ١٩٤٩ عشرة مستشفيات ومصحات .

وصرفت البحرين ٥٥٪ من ميزانية ١٩٦٧ على التعليم والصحى .

وقطر بها ٥ مستشفيات و٦٠٠ سرير .

وفى منتصف القرن التاسع عشر كانت مجلة طبية واحدة فى العلم العربى وبه الآن ٥٠٠ مجلة .

ونسبة الأطباء للشعب فى الكويت ١ : ٧٨٠ .

وفى السويد ١ : ٩٦٠ .

وفى سويسرا ١ : ٦٨٠ .

وفى بريطانيا ١ : ٨٣٠ .

وفى الولايات المتحدة ١ : ١٧١٠

وظهر فى العصر الحالى أطباء تعلموا فى البلاد الإسلامية والعربية واستنزفتهم الولايات المتحدة الأمريكية ولقد غيروا أسماءهم مع الأسف الشديدة، وأصبح الطب عالميا الآن ، ومن العسير التفرقة كما كان فى الماضى بين طب وطب .

فوسائل المواصلات ووسائل المعرفة قد فاقت كل حدود ، ولذلك لا يمكن أن نسمى الآن أى طب طبا إقليميا .

وفى معظم البلاد الإسلامية نهضة طبية . وسأخص بالذكر مارأيته فى تركيا حين زيارتى لها ولمستشفياتها فلقد رأيت مستشفياتها القديمة فى أستمبول وكانت صورة طبق الأصل من مستشفيات أوربا فى ذلك الوقت .

ورأيت مستشفياتها الحديثة فى أنقره ، وهى صورة طبق الأصل من النظام الألمانى .

ورأيتهم يقومون بعملية استئصال سرطان الحنجرة بكميات كثيرة كأنهم يقومون بعملية فتق .

ولقد تفضلت حكومة الباكستان ، فأرسلت لى مجلات وكتباً طبية ، فوجدت فيها ما يجمع بين الدين والدنيا .

ولم أصادف فى حياتى أبحاثاً من هذا النوع فى جميع المجلات الطبية فى العالم .

فهم يقومون بأبحاث فى مختلف الفروع الطبية تساوى فى عمقها أحدث أبحاث فى العالم المادى ، ويقومون بترجمة ونقل ما هو موجود فى مختلف البلاد الأوربية والأمريكية .

وسأنقل فقط نوعاً من الأبحاث التى ينقلونها فى مجلة طبية واحد فى شهر واحد تحت عنوان تقدم فى الطب .

١ — طبيب باكستانى (الدكتور نانسيم خواجة) يكتشف بالتعاون مع الأستاذ (الدكتور شارلس هيد ليرجر الأمريكى) دواء ضد سرطان الدم .

٢ — نقل الدم فى عظام الكعب (طريقة الدكتور ميخاتيلوبرونى اليوغوسلافى).

٣ — أبحاث مؤتمر الصحه العالمية المنعقد فى كراتشى .

٤ — علاج الأمراض العقلية بالموسيق .

٥ — تقدم فى أبحاث السرطان .

نقلت ذلك لأبين مدى إهتمام الباكستان بالعلوم الطبية وهى الدولة المسلمة التى اتخذت من القرآن الذى يحض على العلم والتطلع فى آفاق الأرض وآفاق السماء دستوراً لها .

وسأنقل جزءاً من بحث من مجلة همدارد العدد يناير — مارس ١٩٦٨ وهى لسان حال المعهد الصحى والأبحاث الطبية .

جاء فى صفحة ٤٥ تحت عنوان :

الحياة فى الأجرام السماوية

زوار من الفضاء الخارجى

بقلم الدكتور خواجة عبد الرشيد

السؤال الذى يوجه دائماً : (إلى أى مدى يمكن أن نصدق معرفة القدماء وكيف نعالج المعرفة القديمة فى ضوء الوقائع الجديدة ؟ .

وسأقف نفسى على المعرفة التى جاء بها القرآن الكريم ، وسأملاء الثغرة :

لقد أتى القرآن بمعلومات محددة عن الخلق على هذه الأرض وفى الاجرام السماوية .

ولقد قرأت عن الآراء العلمية الحديثة وعن الحفريات القديمة ، ووجدت أن القرآن يشير إلى أن هناك حياة فى الأجرام السماويه كما هى على الأرض .

والقرآن قد كشف ذلك منذ ١٤٠٠ سنة قبل أن يفكر أحد فيه .

إن القرآن يحتوى على حقائق أبدية تظهر تدريجياً . . وخلق الله الحياة على الأرض والكواكب السيارة بإرادته .

وأتى الباحث بالآيات الكريمة الآتية :

١ — وجعلنا من الماء كل شىء حى . .

٢ — والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه . . ومنهم من يمشى على رجليه . . ومنهم من يمشى على أربع .

وفسر الآية الأولى بأن الله سبحانه وتعالى خالق الحياة من الماء .

وفسر الآية الثانية بأن كل الحياة خرجت من الماء وأن كل المخلوقات خلقت فى الماء وأن كل أنواع المخلوقات ترجع فى تطورها إلى هذا التقسيم : الزواحف — الثدييات — ذوات الأربع .

ويبدأ ذكر الآيات الكريمة الآتية :

١ — الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

٢ — إنا خلقناهم من طين لازب .

٣ — يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفه ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا .

وفسرها بطريقة علمية حديثة ، وبين أن نظرية التطور ليست نهائية ، وقال عن الإنسان الموجود اليوم : إنه لم يخرج من القردة ، وإنه خرج من خلية خاصة وجدت فى الطمى الرطب الذى فى الأنهار الحلوه .

ولقد أخبرنى العالم الجليل والباحث الإسلامى الأستاذ الدكتور عزت خيرى عميد كلية علوم القاهرة بما يلى :

حول نظرية التطور وأصل الإنسان :

(نستطيع القول بأنه بالرغم من الشواهد والأدلة الكثيرة التى ثبتت صحتها فى عالم الحيوان والنبات مؤيدة لأسس نظرية التطور وتعديلاتها فإن العلماء قد أجمعوا مؤخراً فى الستينات من هذا القرن نتيجة لدراساتهم للحفريات والطبقات والجماجم والهياكل المختلفة التى عثروا عليها على أن أصل الإنسان لا بد أن يكون إنسانا بنفس التكوين البشرى، ولا يمكن أن يكون من أصل حيوانى كقرد الجامبو أو الشمبانزى أو ما إلى ذلك ، وقد ثبتت هذه الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك فيها ومن العلماء الذين قرروا ذلك العالم الألمانى . (بورجنر) الذى زار مصر فى أوائل عام ١٩٦٧) .

وذكروا أن قوماً من الفضاء نزلوا الأرض من ١٢٠٠٠ سنة ، وأن الإنسان سينجح فى زيارة كوكب الفضاء .

هذا جزء يسير من عدد واحد من مجلة طبية .

وحين يقرأ الطبيب كلام الأطباء الباكستانيين عن الطب القديم وتحليله ومحاولة وصله بالجديد يدهش من سعة الاطلاع وعمق البحث والمقدرة على الوصول بك من السفح الى القمة .

إنى أحنى رأسى لزملائى الباكستانيين ، فقد رفعوا اسم الأطباء المسلمين عالياً وأرجوا أن يكونوا مثلا يحتذى للعالم كله .

والباكستان زاخرة بكبار الجراحين وكبار الأطباء فى مختلف التخصصات .

الباب الثامن :

الفصل الثانى

الدكتور على إبراهيم

إذا أردنا أن نحدد ابتداء العصر الزاهر الحديث فى الطب العربى والإسلامى يمكننا أن نحدده بوجود الدكتور على إبراهيم .

وإذا أردنا أن نجد اسماً لطبيب أو أطباء تتحدد فيهم معان عدة فسيكون على القمة اسم على إبراهيم ، فاسمه وحده ترتسم فيه صفات كثيرة : فهو الطبيب العبقرى لأنه أول طبيب عربى مسلم فى العصر الحديث أقام للطب المصرى مكاناً فى مصر ذاتها وفى العالم كله لعبقريته الفذة فى الجراحة .

وهو الطبيب المجاهد الذى أرسل فى بعثة طبية إلى تركيا فى أثناء حرب البلقان مشاطرة من مصر المسلمة لتركيا مهد الخلافة فى ذلك الوقت موفداً من جمعية الهلال الأحمر المصرية التى أنشئت على غرار جمعية الصليب الأحمر الدولية .

وهو الطبيب الوطنى الذى ساهم فى جميع المؤسسات الاجتماعية ، ولذلك يمكن أن يحدد أول عهد من عهود النهضة الطبية العربية الإسلامية بعد عهد الظلام التركى باسم عهد على إبراهيم .

وكان نابغة عصره فى الجراحة فى وقت لم تكن فيه هذه التخصصات الكثيرة فى الجراحة وغيرها على أسس تنظيمية ، وكان عصامياً لم يسعده مال موروث أو جاه مكتسب .

فلقد كان والده الحاج إبراهيم عطا ضابطاً فى جيش عرابى من صميم الفلاحين من عائلة عطا المشهورة بمطوبس مركز فوة بمحافظة كفر الشيخ ، وفقد يده اليمنى

ماعدا إبهامها فى معركة قلعة القضا بالإسكندرية فى أثناء ضرب الأسطول الإنجليزى لها بقيادة الأدميرال سيمور فى ١١ من يوليو عام ١٨٨٢ م .

وكانت والدته السيدة مبروكة خفاجى من صميم أهل الإسكندرية .

ولقد ولد فى ١٠ من أكتوبر سنة ١٨٨٠ فى جنينة البسيونى من قسم العطارين بالإسكندرية ، وربته والدته ولاقت الكثير من المتاعب فى تربيته وكفلته حتى أصبح طبيباً يشار إليه بالبنان .

وهو الذى قام فى حفلة تكريمه عند بلوغه سن الستين يشيد بفضلها وفضل زوجته عليه ويقول : إنه لولا والدته ما تعلم شيئاً ، وما وصل إلى ما وصل إليه ، ولقد أكبر المحتفلون به منه ذلك ، وكانوا يمثلون الدولة كلها بجميع طوائفها فى ذلك الوقت .

ولقد أخذه جده لوالدته ليهرب من الإسكندرية فى ١١ من يوليو ١٨٨٢ ، أثناء ضرب الإنجليز لها فلم يتمكن من الهرب لازدحام القطارات ، فرجع إلى منزله بعلى إبراهيم الصغير قائلا (العمر واحد والرب واحد) .

كانت جدته لوالدته كفيفة وعندها صفيحة صغيرة بهـا جنيهات ذهبية وضعتها تحت البلاطة لتستعين بها ضد حوادث الزمان ، وهذه الجنيهات القليلة هى التى ساعدت والدة على إبراهيم فى التمكن من الصرف عليه فى أثناء دراسته الطبية .

ووضعت والدته مكانها شلنات بعددها ، فكانت الجدة تعدها عدة مرات فتجدها كاملة العدد ، وحين تخرج على إبراهيم من مدرسة الطب وفتح الله عليه بالمـال أعاد الجنيهات الذهبية إلى مكانها ، وأعطى جدته ووالدته ما زاد على حاجتهما .

وقد دخل على إبراهيم مدرسة رأس التين الابتدائية باسم على عطا ، وكان

ناظرها إنجليزيا ، وضحك الأولاد الصغار من اسم عطا فبكى على إبراهيم أمام الناظر الإنجليزى من سخرية التلاميذ به ، وسأله عن سبب بكائه فقال : إن الأولاد يعيرونه باسم عطا ، فسأله عن اسم أبيه فقال : إبراهيم عطا فاستدعى الناظر سكرتير المدرسة وقال له : (اشطب على عطا واكتب على إبراهيم) .

وحين أخذ الشهادة الابتدائية وكانت فى ذلك الوقت لها قيمة عينه أبوه بالبوستة بماهية مقدارها ثلاثة جنيهات شهرياً ، ولم ترض والدته الطموح لابنها هذا المصير ، فهربته إلى القاهرة ، وأدخلته المدرسة الخديوية بالقسم الداخلى ، ورجعت إلى الإسكندرية ، واستمرت فى كفاحها معه فى أثناء الدراسة الثانوية حتى أخذ شهادة البكالوريا فى ذلك الوقت وكان الأول فيها .

ومن طريف ما يذكر أن والده أهدى إليه كوفية فى أواخر سنى دراسته الثانوية تمزقت حين لبسها زملاؤه للتبرك ، ومروا بها تحت وابل المطر من مزاريب المدرسة ، ودخل بعد ذلك مدرسة الطب وابتدأ فى التشريح ، ولم يكن تحنيط الجثث كما هو اليوم بل كان بالنطرون ، وكان على إبراهيم دائماً فى دراسته أول من يحضر وآخر من يخرج ، ويزيد دائماً مدة من الوقت بعد الطلبة .

وابتدأ بتشريح الجثة قبيل الغروب مبتدئاً بالذراع وبينما هو يشرح إذا بيد الجثة ترتفع وتضربه بالقلم على وجهه ، ففر هارباً من المشرحة ومدرسة الطب كلها مصمماً على ألا يعود إليها أبدا ، ولكنه نظر إلى خلفه وهو يجرى ، فرأى أن اليد كانت مشدودة بمشبك ، وفلت المشبك ، فارتفعت اليد وضربته على وجهه .

وهنا عدل على إبراهيم عن الهرب ، من مدرسة الطب ، وكانت رؤيته المشبك يفلت نقطة تحول غيرت مجرى حياته كلها ، وكان يسكن بجوار مستشفى قصر العينى .

ومن طرائف ما يذكر أنه كان هو وزملاؤه يذهبون إلى قرافة زينهم ليقرءوا

القرآن على روح الأموات يوم الجمعة ، ليتكسبوا من ذلك ، وكان طلبة الأزهر الشريف (المجاورون) فى ذلك الوقت هم الأوائل فى هذه المهمة ، ولكن بعض طلبة المدارس المدنية شاركوهم فى هذه العملية ، وكان معظمهم لا يحفظ القرآن الكريم ، فكانوا يرفعون أصواتهم بالآيات التى يحفظونها حتى إذا اقتربت منهم امرأة عجوز سألوها أن يقرءوا لها لأنها طبعاً لا تحفظ القرآن فتجيبهم إلى ذلك وتعطيهم ما فيه القسمة .

ومن الطريف أيضاً أن « على إبراهيم » كان يسكن فى شقة مع زملائه وهو فى مدرسة الطب ، وكان أى طالب فيها فى ذلك الوقت يطلق عليه لقب دكتور ، وكانت تسكن فوقهم سيدة ثريه تعودت أن تأكل من مطبخ خارج المنزل يرسل لها الطعام إلى شقتها ، وكان الطلبة ينظرون الأكل وهو مار عليهم .

وتصادف أن « على إبراهيم » رأى ما تأكل فى ذلك اليوم وهو ملوخية ولبن زبادى ،وحدث أن شعرت السيدة بمغص شديد،واستدعت « على إبراهيم » الطالب بكلية الطب وكشف عليها وقال لها أ يظهر الكشف أنك أكلت أخضر شيئا هو الذى سبب المغص .

فقالت له : صحيح يا ابنى أكلت ملوخية ، ثم قال لها ويظهر أيضا أنك أكلت شيئا أبيض لا أعرف ماهو؟ فقالت له:صحيح يا ابنى أكلت « لبن زبادى » وعالجها بما يقدر عليه ، وأعطته ريالا واظهرت امتنانها من قدرة على إبراهيم ، واستمر فى علاجها بعد تخرجه وكانت لاتثق فى علاج أحد غيره حتى توفيت إلى رحمة الله .

ولقد تخرج من مدرسة الطب ١٩٠١ ، واشترك فى مكافحة الكوليرا سنة ١٩٠٢ وانتقل بعد ذلك مفتشا لصحة بنى سويف مدة من الزمن قصيرة ، وكان مفتش الصحة يعمل أيضا فى ذلك الوقت بالمستشفى ، ويقوم بعمليات فيه واصطدم بالمفتش الإنجليزى لأنه كان يصر على مرور خضار الطبيخ بغرفة

العمليات، فرفض على إبراهيم ذلك وعاقبه الإنجليز بنقله إلى أسوان وقضى بها مدة ونقل إلى أسيوط ١٩٠٤، واستمر بها حتى أواخر ١٩٠٩،ونقل إلى مستشفى قصر العيني فى أوائل سنة ١٩١٠ ، واشترك بعد ذلك فى حرب البلقان ١٩١١ — ١٩١٢ وكان يسميه الأتراك الدكتور « على بك المصرى » ومنح وساما تركيا ، وكان يذهب سنويا إلى النمسا إذ كانت جامعات ڤينا فى ذلك الوقت هى الجامعات الأولى فى العالم قبل الحرب العالمية الأولى ، وكانت كلية الطب بها على رأس القائمة ، كان يذهب ليرى أحدث عمليات جراحية وآخر مستحدثات الطب وليشترى ما جد من الأجهزة ليستعملها فى مصر فى العام الذى يليه

وكان يشترى الآلات من أكبر متجر للآلات فى ڤينا ، وكان صاحبه يهوديا يبيع له الآلات بنصف الثمن أو بربعه أو بأى ثمن ، وكان على إبراهيم يدهش من ذلك ، ولا يعرف لذلك سبباً ، ولما كان فى إحدى زياراته السنوية المعتادة دعاه اليهودى للعشاء ، وعرفه بإبنته الجميلة وقال له: لماذا لا تتزوج إبنتى ؟ فأجابه على إبراهيم : إنك أوربى وأنا مصرى ، وأنت يهودى وأنا مسلم وطبائعنا مختلفة .

فقال له اليهودى أليس اسمك إيلى إبراهام ؟

فأجابه على إبراهيم : إنه مسلم ، وإن اسمه على إبراهيم ، وهنا ساءت العلاقات ، وأصبح يضاعف له الثمن أضعافا مضاعفة ويضطر على إبراهيم للشراء .

وانتخب لأول مرة وكيلا لكلية الطب سنة ١٩٢٨ ، إذ كانت الوظيفة وفقاً على الإنجليز ومنح ١٩٢٨ شهادة الزمالة الفخرية لكلية الجراحين بلندن تقديراً لخدماته الطبية ، وكان الحاصلون عليها فى وقته ٢١ بينهم أمير ويلز ولى عهد بريطانيا .

وانتخب عميداً لكلية الطب ١٩٢٩ بعد انتحار الدكتور مادن فكان أول مصرى يلى العمادة ، وكان وكيلا للجامعة وقتها .

وعين وزيراً للصحة فى يونية سنة ١٩٤٠ ومديراً للجامعة فى سبتمبر سنة ١٩٤١ وكان أول نقيب للأطباء سنة ١٩٤٢ ، وأنشأ جامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٢ .

ماذا جدد الدكتور على إبراهيم فى الجراحة :

١ — هو أول جراح فى العالم قام باستئصال الطحال المتضخم فى المرضى المصابين بالبلهارزيا .

٢ — درس بدقة طريق الفلاريا وكيف تسبب داء الفيل .

٣ — قام بعمل عمليات جراحية خاصة بالقيلة المائية .

٤ — قام بدراسات دقيقة جداً حول التهاب الحبل المنوى (أسبابه وعلاجه)

٥ — قدم للمؤتمر الجراحى الدولى عام ١٩٢٨ دراسة كاملة عن جراحة البلهارزيا ، تعتبر المرجع الأول فى العالم كله حتى الآن .

وماذا عمل للأطباء :

١ — أنشأ الجمعية الطبية المصرية سنة ١٩٢٤ ، وأنشاء مجلتها حتى يتاح للمصريين نشر أبحاثهم دون تعنت المجلات الأجنبية، وكتبها بالعربية والإنجليزية لينتشر الطب باللغة العربية فى البلاد العربية كلها ، ويعرف العالم الغربى مقدار تقدم الطب المصرى حين يقرأ ما كتب بالإنجليزية .

٢ — قام بمجهوده الخاص وفى حدود دائرته الطبية بأكبر مجهود للوحدة العربية، إذ أقام المؤتمرات الطبية العربية فى جميع العواصم العربية واحدة بعد الأخرى كل عام ، فكانت أشبه بسوق عكاظ فى العهد العربى القديم .

٣ — قام بأكبر اهتمام لإنشاء جيل من الأطباء قادر على تحمل المسئولية ، وكان يكره احتكار الإنجليز والأجانب للطب فى مصر والبلاد العربية .

وكانت بعثاته لمختلف العواصم الأوربية حتى لاتكون تابعين لإنجلترا طبياً، فكان الأطباء فى الفرع الواحد يرسلون إلى مختلف الجامعات ، ليأخذوا مختلف الثقافات ، وتنصهر جميعاً فى كلية الطب المصرية .

وفى عهد كلية الطب الذهبى خلال عمادته من سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٨ كانت إحدى الكليات الطبية الأولى فى العالم ، وخرجت منها أبحاث جديدة عن الدورة الدموية ، وأصبحت أساساً لهذا الفرع من العلم فى العالم لدرجة أنه كان يرسل إليها بعثات من أمريكا وروسيا للتعلم على يد أستاذها أنرب أستاذ علم وظائف الأعضاء الذى اختاره على إبراهيم بالرغم من أنه ليس إنجليزيا وضد رغبة الإنجليز وتعلم على يديه كثير من الأساتذة المصريين .

٤ — مصّر كلية الطب ، وأصبح جميع أساتذتها مصريين فى عهده حاصلين على أعلى الشهادات العالية بعد أن كان جميع أساتذتها من الإنجليز .

٥ — أنشأ الدراسات العليا وجميع التخصصات فى كلية الطب المصرية بعد أن زاد عدد الاساتذة الحاصلين على الشهادات العليا من الخارج ، فأدخل دبلومات التخصص المختلفة والماجستير فى مختلف الفروع الطبية ، وتمركزت دراسة الطب فى مصر كلية لالمصر وحدها ، بل للعالم العربى كله .

وكان يكلمه ابنه الأستاذ الدكتور على إبراهيم أستاذ أمراض النساء والولادة بكلية الطب جامعة القاهرة عن بنائه كلية الطب الجديدة ومستشفى قصر العينى الجديد وهو من أكبر الأبنية فى العالم لتعلم الطب قال له :

(يابنى هذا حجر ، ولكنى فخور بأبنائى الأطباء الذين يعملون لافى كلية الطب فقط ، ولكنهم يعملون فى جميع أنحاء مصر والوطن العربى .

لقد أنشأت يابنى جيلا حديثاً من الأطباء هو الذى سيقود الطب فى مصر وفى البلاد العربية .

ولقد رأيت الدكتور « على ابراهيم » عميداً لنا فى عام ١٩٢٨ ، وهو أول عميد مصرى لكلية الطب المصرية بعد الإنجليز، فلقد تولى العمادة على إثر انتحار الدكتور مادن كما تقدم .

وكان على إبراهيم أسمر اللون نحيف الجسد ضامره لكنه كان يتقد ذكاء وفطنة ويمكنه أن يفهم بسرعة من يخاطبه .

وكان « على إبراهيم » يشتهر بإسم على إبراهيم الأسيوطى ، لأنه كان جراحاً بأسيوط ، واشتهر بها تمييزاً له عن سميه الدكتور على إبراهيم رامز وحينما توفى الأخير إلى رحمة الله ذهب إسم الأسيوطى وبقى إسم الدكتور على إبراهيم .

وتحدث على إبراهيم عن نفسه بأنه كان محظوظاً ، إذ قال : إنه دعى لعلاج حالة إلتهاب رئوى بعد أن عالجها الأطباء بمختلف العلاج الموجود فى وقته ، ولم تتحسن ، وكانت دورة المرض قد قاربت النهاية فأعطاها أيسر دواء ، وهبطت الحرارة وشفى المريض ، وهنا تكلم الناس عن مقدرة على إبراهيم .

وكان الدكتور على إبراهيم جراحاً بأحد المستشفيات حين اخترعت آلة تفتيت الحصاة بالمثانة ، وأتاه مريض بها ففتت له الحصاة بالآلة الجديدة ، وأنزلها بالغسيل وخرج المريض معافى دون شق المثانة كما هى العادة ، وهنا تكلم الناس عن مقدرة على إبراهيم .

وكان على إبراهيم يقرأ مستحدثات العمليات فى الطب ، ليسارع بعملها ولكثرة ما رآه من أمراض كان يمكنه أن يشخص المرض بمجرد وضع اليد على جسم المريض دون الاستعانة بجميع وسائل الطب الحديثة ، وإذا طلبها فإنما لتؤكد تشخيصه .

وكان جراحاً قديراً وحين إنتقل إلى أسيوط لم يقبل أحد على عيادته لوجود الجراحين الأجانب من الإنجليز والأمريكان بمستشفى الأمريكان فى أسيوط .

وصبر على عدم الإقبال على عيادته حتى ذهب الجراحون الأجانب فى إجازة صيفية ، وعند ذلك ذهب إليه المرضى من جميع طبقات الصعيد ووجدوا مصرياً يبز الأمريكان والإنجليز فأقبلوا عليه .

واشتهر اسمه باسم على إبراهيم الأسيوطى وهوصاحب يد على كل من اشتغل معه أو اتصل به هناك فى ذلك الوقت بل وتمدى ذلك إلى أبنائهم .

وكانت له صداقات مع مختلف الشخصيات والهيئات والأحزاب على اختلاف أنواعها ، ولذلك كانت تسير كلية الطب فى عهده بشخصه لا بوصفه عميداً ، فهو لم يرتفع يوما بالمكان الذى هو فيه بل هو الذى رفع من أى مركز تولاه سواء أكان وزيراً أم مديراً للجامعة أم عميداً لكلية الطب ، فلقد تولى وزارة الصحة مدة قصيرة فغير من أنظمتها الفاسدة وأحال إلى المعاش من كان لا يصلح فى نظر الحق والعدالة أن يكون فى الخدمة العامة ، وعد له فى سنى الخدمة لصلته برؤساء الحكومات المختلفين .

وأقام فيها أقساما جديدة هى الأساس الأول لما هو موجود فيها اليوم ، وكانت جامعة القاهرة وكلية الطب فى عهده تناطحان السحاب ، وكان على إبراهيم وفياً إلى أبعد مدى لأصدقائه وزملائه حتى الذين كانوا يحاربونه فى حياته الطبية الأولى ، ولكنه حين ارتفع نسى كل هذه الصفات الرذلة التى تنشأ بين بنى البشر ، فلقد حكم على أحد زملائه بالسجن لإتهامه فى قضية مخدرات مشهورة اتهم فيها بعض الأطباء ، بتسهيل تعاطى الأفيون بالحقن ، وحكم على بعضهم بالسجن وخرج زميله من السجن رجلا كبيراً فى السن محطما لا يملك شروى نقير ، فلم يلبث أن عينه على إبراهيم طبيبا باليومية حتى تتساوى مجموع أيام الشهر وماهيته التى كان يأخذها وحتى يكفيه هو وأولاده شر السؤال من أحد دون النظر إلى أى قوانين ، فقد كان لا يعترف بها .

ولقد عين أحد أطباء الأطفال الذين كان شهرتهم تعم الآفاق فى وقت من

الأوقات واجتاحتهم السياسة بغوائلها ، وكان قد دخل أحد البرلمانات السابقة وأبدى رأيه في شركات الاحتكار الأجنبية وما هي إلا شهور حتى صفيت أملاكه كلها بفعل هذه الشركات وقوتها ، فعطف عليه على إبراهيم وعينه طبيبا لرعاية الطفل بمكافأة مؤقتة لها صفة الدوام ، ونقله إلى أحد المستشفيات الكبرى رئيسا لقسم الأطفال بها ، ولكن شاء القدر أن يكون مدير المستشفى من الذين أتت بهم المحسوبية ، فعاقبه بخصم عشرة أيام لتأخره بضع دقائق وهو الذى لم يكن يجرؤ والده « أى والد مدير المستشفى » أن يعرضه على هذا الطبيب في عيادته وقت شهرته حين كان طفلا لضيق ذات يده ، ولكن هكذا شاء القدر » .

وكانت يد على إبراهيم الحانية هي التي تتلقفه وأمثاله حين يتنكر لهم الزمان.

ولقد صدر أمر الإنجليز باعتقال أستاذ الآثار الإسلامية بالجامعة المصرية لإتهامه كذبا بميول محورية ألمانية ، وكان على صلة بالدكتور على إبراهيم ، لأنه كان مغرما بالسجاد والآثار الإسلامية ، وما إن سمع على إبراهيم بالأمر حتى اتصل بمن بيدهم الأمر فأفرج عنه في الحال بل واستمر في عمله .

ومن قرأ كتاب الدكتور ساور بروخ الجراح الألماني العظيم ووصفه لمقابلة على إبراهيم له واستدعائه إياه لعمل عمليات جراحية حديثة خاصة بالصدر بمستشفى قصر العيني ليكون الأطباء المصريون أول من يستفيد منه خارج ألمانيا يدهش من وصفه إياه ، ويعتبر أن الأيام التي عاشها مع على إبراهيم هي الأيام التي تعد من الحياة ، وكأن بقية أيام حياته ليست أياما ، هذا مع معرفة أن الجراح الألماني العظيم كان طبيب قيصر ألمانيا والهر هتلر .

وعالج جورج الخامس ملك الإنجليز وأغنى أغنياء العالم ، وكان رئيسا لأطباء الجيش الألماني وكبير جراحيه في الحربين العالميتين .

وكان الدكتور على إبراهيم يبدأ عمله مبكرا ، فكان يصل إلى المستشفى (الإسرائيلي) في السادسة صباحاً ويقوم بعملياته ثم يقوم بمقابلاته الاجتماعية المتعددة ، ثم يذهب

إلى الـكلية لتيسير أعمالها ، ولم يـكن يعرف الروتين وأشباهه ، وإنما كان أمره قاطعا لا يجرؤ وزير على مخالفته بالنسبة لقوة شخصيته ، وعز عليه أن يعمل فى المستشفى الإسرائيلى، فسعى حتى أقام مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية ليقوم بأول عمليات جراحية فيه .

وحين أراد أهل عابدين وهى مقر عيادته أن يـكون أول نائب لها فى سنة ١٩٢٤ استدعاه سعد زغلول وقال له : عندنا كثير من الساسة ولـكن ليس عندنا غير جراح واحد هو على إبراهيم ، وطلب منه ترك الدخول فى المناقشات السياسية ، فتركها ليكون أول اجتماعى فى مصر وليقوم بإنشاء نقابة الأطباء التى ترعى مصالح الأطباء المختلفة

ولقد وجه الدكتور على إبراهيم همه إلى النواحى العلمية الأخرى غير كلية الطب، وكان له النصيب الأكبر فى تـكوين جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية.

ولقد رأس عدة مشروعات اجتماعية ، ولم يترك مؤسسة اجتماعية لها صلة بالطب إلا كان هو رأسها المدبر .

فلقد اتصل بجمعية الهلال الأحمر حين كان جراحا موفدا منها إلى تركيا فى حرب البلقان ، ولم تنقطع صلته بها حتى أصبح رئيسا لها فأحياها ونجحت نجاحا كاملا ، وأسست مستشفى الهلال الأحمر الذى يعتبر الآن من أكبر المراكز لعلاج الـكسور وجراحة العظام وللتدريب فيه .

ولقد كان محبا للفنون الإسلامية وجمع من السجاجيد القديمة والخزف القديم ما يعد من خير المجموعات التى لدى الأفراد ، وكانت مصدر سرور له فى حياته وموضع سلوته فى مرضه الطويل .

وليس ذلك كل ما يقال عن أعماله فهى كما يقول الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين كثيرة يقصر دونها الحصر ، وفى بعضها ما يـكفى أن يضعه فى الطليعة ممن

خدموا البلاد خدمات ستبقى على الزمن عنوان نهضتها وأساسا ثابتا لرقيها .

ولقد لقى ربه الكريم فى ٢٨ يناير ١٩٤٧ الساعة الخامسة مساء رحمه الله وأثابه . ؟

وقال أمير الشعراء « أحمد شوقى »[1] فى تكريم الدكتور على بك إبراهيم الجراحى العبقرى :

ابتغوا ناصية الشمس مكانا وخذوا القمـــة علما وبيانا

واطلبوا بالعبقريات المـــدى

ليس كل الخيل يشهدن الرهانا

أبعثوها سابقات نجبـا تملأ المضمار معنى وعيانا

وثبوا للعز من صهوتها وخذوا المجد عنانا فعنانا

لا تثيبـــوها على ماقلدت من أياد ، حسدا أو شنآنا

* * *

وضئيل من أساة الحى لم يمن باللحم وبالشحم اختزانا

ضامر فى سفعـــة تحسبه

نضو صحراء أرتدى الشمس دهانا

أو طبيباً آيبا من « طيبة » لم تزل تندى يداه زعفرانا

تنكر الأرض عليه جسمه واسمه أعظم منها دورانا

نال عرش الطب من « إمحوتب »

وتلـــق من يديه الصولجانا

بالإمحوتب من مستأله لم يلد إلا حواريا هجانا

خاشها الله لم يزه ولم يرهق النفس اغترارا وافتتانا

---

(١) الشوقيات : الجزء الثانى

يلمس القدرة لمسا كلما ... قلب الموت وجس الحيوانا
لو يرى الله بمصباح لما ... كان إلا العلم جلى الله شانا
فى خلال لفتت زهر الربا ... وسجايا أنت الشرب الدنانا
لوأتاه موجعا حاسده ... سل من جنب الحسود السرطانا
خير من علم فى « القصر » ومن ... شق عن مستتر الداء الكتانا
كل تعليم تراه ناقصا ... سلم رث إذا استعمل خانا
درك مستحدث من درج ... ومن الرفعة ما حط الدخانا

* * *

لا عدمنا « للسيوطى » يداً ... خلقت للفتق والرتق بنانا
تصرف المشرط للبرء كما ... صرف الرمح إلى النصر السنانا
مدها كالأجل المبسوط فى ... طلب البرء اجتهادا وافتنانا
تجد الفولاذ فيها محسنا ... أخذ الرفق عليها واللبانا
يد « إبراهيم » لو جئت لها ... بذبيح الطير عاد الطيرانا
لم تخط للناس يوما كفنا ... إنما خاطت بقاء وكيانا
ولقد يؤسى ذوو الجرحى بها ... من جراح الدهر أو يشفى الحزانى
نبغ الجيل على مشرطها ... فى كفاح الموت ضربا وطعانا
لو أتت قبل « نضوج » الطب ما ... وجد التنويم عونا فاستعانا

* * *

يا طرازا يبعث الله به ... فى نواحى ملكه آنا فآنا
من رجال خُلقوا ألوية ... ونجوما وغيوثا ورعانا
قادة الناس وإن لم يقربوا ... طبعات الهند والسمر اللدانا
وغذاء الجيل فالجيل وإن ... نسى الأجيال كالطفل اللبانا

وهمو الأبطال كانت حربهم　　منذ شنوها على الجهل عوانا

* * *

يا أخي : والذخر في الدنيا أخ　　حاضر الخير على الخير أعانا
لك عند ابني أو عندي يد　　لست آلوها ادكارا وصيانا
حسنت مني ومنه موقعا　　فجعلنا حرزها الشكر الحسانا
هل ترى أنت ؟ فإني لم أجد　　لجميل الصنع بالشكر اقترانا
وإذا الدنيا خلت من خير　　وخلت من شاكر هانت هوانا
دفع الله « حسينا » في يد　　كيد الألطاف وفقاً واحتضانا
لو تناولت الذي قد لمست　　منه ما زدت حذارا وحنانا
جرحه كان بقلبي ، يا أبا　　لا أنبيه بجرحي كيف كانا
لطف الله فعوفينا معـــا　　وارتهنا لك بالشكر لسانا

وقال أحمد شوقي أيضاً يهنيء الدكتور علي إبراهيم برتبة الباشوية (١٩٣٠) :

علي لقد لقبتك البلاد　　بآسي الجراح ونعم اللقب
سلاحك من أدوات الحياة　　وكل سـلاح أداة العطب
ولفظك بنــج ولـكنه　　لطيف الصبا في جنون العصب
أنامـل مثـل بنان المسيح　　تواسي الجراح مواصي الندب
تعالج كفاك بؤس الحياة　　فـكف تداوي وكف تهب
ومستمسك الدم في راحتيك　　وفوقهما لا يقــر الذهب
كأنك للموت موت أتيـح　　فـلم ير وجهك إلا هرب

وقال المرحوم الشاعر حافظ إبراهيم يصف الدكتور « علي إبراهيم » . .
في ٢٥ من يوليو عام ١٩٣٠ :

أيا يدا قـد خصها ربها　　بآية الإعجــاز في الخلق

ومشرطا جمّع من رحمة   وصيغ من يمن ومن رفق

وارتجل أيضاً فى حفل تكريمه :

قل للطبيب الذى تعنوا الجراح له   ماذا اعتددت لجرح العاشق العانى
قد كان مبضعه والجرح يرمقه   يمنى الحبيب تواسى صدر ولهان

وقال الدكتور إبراهيم ناجى عن :

الدكتور على إبراهيم فى يوبيله الفضى ما يلى :

إليك أزف فى اليوم الجليل   تحيات الزميل إلى الزميل
تحيات يرف عليك منها   ندى الأسحار فى ظل الخميل
سلاماً للإمام « على » جئنا   إليه بالعشير وبالقبيل
نبايع منه فنا عبقريا   وعقلا فى العقول بلا مثيل
تلفت يا على تجد وفاء   وما احتاج الوفاء إلى دليل
أقول لحاسب السنوات مهلا   وقعت على الحساب المستحيل
إذا أحصيت للأجسام عمرا   فكيف تعد أعمار العقول
ولو أن الألى أنقذت جاءوا   يؤدون القديم من الجميل
ولو أن الألى علمت جاءوا   يؤدون القليل من القليل
ولو منحوك عمرهم جميعا   وما هو بالكثير ولا الجزيل
إذن لرأيت عمرك عمر نجم   له فى اللانهاية ألف جيل

* * *

يريك كم وصلت حياة قوم   وكم حاربت من داء وبيل
وكم أنقذت من أسر المنايا   وكم نضو شفيت وكم عليل
إذا ما الموت أبدى ناجذيه   إذا انطفأت عيون فى الذبول

إذا غامت محاجرها ظماء ... كما غامت نجوم فى الأفول
فما هو غير أن أقبلت حتى ... تبدل كل أمر مستحيل
كأنك لمع برق فى الأعالى ... يحيى مقدم الغيث الهطول
كأنك واحة فى القفر لاحت ... رأتها أعين الركب الكليل
كأنك جنة فى البيد تندى ... بعذب الماء والظل الظليل
ولو أيامك العصماء جاءت ... بكل أغر مزدان حفيل
إذن لطلعن فى الظلمات بيضا ... من الغرر اللوامع والحجول
ولو أن المآثر ذات قول ... لقلت . تكلمى وصفى وقولى
أضفها فهى أعمار أضيفت ... وما تدرى لماضيك النبيل
تعال أذع لنا سر الفحول ... ودع صمت الحيى أو الخجول
سلالة عبقر وعشير جن ... بعد تم فى الحياة عن الشكول
فما للشيب من باب إليكم ... ولا للضعف يوما من سبيل
لقد جهل الألى حسبوك شيخا ... فلا تقبل حسابا من جهول
أعيذ صباك كيف يكون شيخا ... شعاع سلافة وسنا شمول
وما ظفروا بأثبت منك عودا ... ولا أقوى وأصلب فى الحمول
ولا ظفروا بأصفى منك روحا ... كأن مزاجها من سلسبيل
أرى سحر الشباب عليك غضا ... وقاك الله أنفاس الأصيل
تعالى الله كم من معجزات ... معلقة بإصبعك النحيل
محيل القسوة الكبرى حنانا ... ورافعها إلى فن جميل
معارك من دم أم ساح حرب ... أسنتها مغمدة الصليل
يسير المبضع الجبار فيها ... بكفك سير مطواع ذليل
معارك كم كسبت بها حياة ... ومالك فى المواقع من قتيل
تقاسمك الورى قوما فقوما ... ومالك بالورى ضجر الملول
تقضى فى مسائك ألف أمر ... وتقطع فى نهارك ألف ميل
وأما سرت عن حفل قصير ... فعن وعد بمؤتمر طويل

وأنت أب لذا وأخ لهـــذا   ومنك لمن رجاك يدا خليل

* * *

نبي الطب أدركنا إذا ما   تطلعت العيون إلى رســـول
فكم في مصر أجسام مراض   بأرواح كأشـــباح الطـلول
فيا أســفا إذا تركت فظلت   فراش للدعى وللدخيـــل

* * *

علىّ لقد ملـكت «عصاة» موسى   فقم واضرب بها أفعى الخمول
أقول لأعين الطب الحيـارى   وقمت من الفخار على سـليل
أبا « حسن » سلمت على الليالى   وعِشْ متعت بالعمـر الطويل

الدكتور سليمان عزمى

لما كان الأستاذ الدكتور محمد جعفر من ألصق الناس بالمرحوم الدكتور سليمان عزمى، وكان من أبر أبنائه وتلاميذه فاقد عمل معه طبيب امتياز بمستشفى قصر العينى، وعمل نائبا ومدرسا ومساعد أستاذ له فلذلك رجوته أن يقدم لى بحثا عن تاريخ حياة الدكتور سليمان عزمى باشا العلمى والعملى فقدم لى مشكورا هذا البحث :

تاريخ الميلاد : ١٣ من أبريل سنة ١٨٨٢ .

١ — التاريخ العلمى :

(أ) التاريخ الوظيفى

١ — عين طبيب امتياز بمستشفى قصر العينى (١٩٠٥) لمدة عام، ثم عين طبيباً فى المستشفيات الأميرية بالسويس، ثم فى سيوة .

٢ — عين مساعد مدرس لعلم وظائف الأعضاء بمدرسة الطب المصرية فى ١٤ من نوفمبر سنة ١٩١٨، وبعد عامين أوفد فى بعثة علمية إلى إنجلترا وفرنسا لمدة ثلاثة أعوام عين بعدها مدرسا بمدرسة الطب للأمراض الباطنية وطبيا بمستشفى قصر العينى .

٣ — عين أستاذاً للأمراض الباطنية بكلية الطب بالجامعة المصرية (١٩٢٧) وهو أول مصرى شغل هذا المنصب، وقد ظل رئيسا لأقسام الأمراض الباطنية بالكلية والمستشفيات الجامعية .

٤ — عين أستاذاً للدراسات العليا فى الأمراض الباطنية (١٩٣٩) .

٥ — انتخب عميداً للكلية من نوفمبر سنة ١٩٤٠ حتى نوفمبر سنة ١٩٤٣،

وأعيد انتخابه عميداً فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ حتى نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، وكان وكيلا للجامعة فى نفس الوقت ، ثم عين أستاذاً فخريا بالـكلية بعد ذلك تقديراً لخدماته التى أداها للـكلية والجامعة مدة أستاذيته وعمادته (قرار مجلس الجامعة فى ٧/٤/١٩٤٦).

٦ — عين وزيراً للصحة سنة ١٩٤٦ .

(ب) المؤهلات العلمية :

١ — دبلوم الطب المصرية سنة ١٩٠٥ .

٢ — دكتوراه فى الطب من الجامعة المصرية سنة ٣٠ .

٣ — m & H (London). M.R.C.S (England)

٤ — F.R.C.P (London)

(جـ) الجمعيات والهيئات العلمية المنتمى إليها فى الداخل والخارج :

١ — عضو بالجمعية الطبية المصرية منذ إنشائها ثم نائب لرئيسها ثم رئيس لها سنة ١٩٤٤ ، حتى انتقل إلى رحمة الله .

٢ — رئيس جمعية تاريخ الطب بالجمهورية العربية المتحدة .

٣ — رئيس فخرى لجمعية أمراض القلب المصرية .

٤ — رئيس فخرى للجمعية المصرية للجهاز الهضمى .

٥ — رئيس جمعية الهلال الأحمر .

٦ — نائب رئيس جمعية الإسعاف العامة .

٧ — رئيس مجلس إدارة مستشفى شبرا الخيرى .

٨ — رئيس جمعية يوم المستشفيات .

٩ — عضو مجلس إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ،

١٠ — رئيس الجمعية المصرية للمستشفيات .

١١ — عضو بلجنة تحسين حمامات حلوان الكبريتية (١٩٥٨ — ١٩٥٩) حيث ساهم فى النهوض بهذه المؤسسة العلاجية الهامة .

١٢ — نائب رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعى .

١٣ — رئيس جمعية الدراسات الإسلامية .

١٤ — رئيس اللجنة الطبية بجامعة الدول العربية .

١٥ — عضو جمعية طب المناطق الحارة بلندن .

(د) مظاهر التقدير العلمى فى الداخل والخارج :

١ — تعيينه أستاذا فخريا بالجامعة بعد انتهاء مدة خدمته لبلوغه السن القانونية .

٢ — منحه درجة الزمالة من كلية للأطباء الملكية بلندن (١٩٣٨) وهذه الدرجة لا تمنح إلا للممتازين من أساتذة الجامعات البريطانية ولعدد محدود من مشاهير العلماء البارزين فى المحيط الطبى خارج بريطانيا .

٢ — البحوث العلمية :

(ا) بحوث منشورة :

١ — ملاحظات عن حمى الباراتيفودية — المجلة الطبية المصرية المجلد ١ من مايو سنة ١٩١٧ .

٢ — استعمال خميرة الكبريت فى الروماتزم — المجلة الطبية المصرية المجلد ١ من ديسمبر سنة ١٩١٧ .

٣ — مناقشة علاج الحمى التيفودية وصبغة اليود — المجلة الطبية المصرية المجلد ١ من مارس سنة ١٩٢٨ .

٤ ـ مداواة الرمد بالأورنالين وبخلاصة الغدة التخامية ـ المجلة الطبية المصرية المجلد ١ من يوليو سنة ١٩١٨ .

٥ — الحمى الوافدة الجديدة الإنفلونزا المطلق عليها الحمى الإسبانيولية بالاشتراك مع الدكتور محمود سامى ـ المجلة الطبية المصرية المجلد ١ أكتوبر سنة ١٩١٨ .

٦ — حالة التهاب رئوى بلورى مسببة من عدوى بالبظر الشعاعى ـ المجلة الطبية المصرية المجلد ٦ ص ٢٦٦ أبريل سنة ١٩٢٣ وهى أول حالة شخصت فى مصر (عمل التشخيص قبل الفحص البكترولوجى) .

٧ — المياه المعدنية ـ المجلة الطبية المصرية المجلد ٩ ص ١١٧ مارس سنة ١٩٢٦ .

٨ — العلاج الشافى للرقص الزنجى (كوريا) — المجلة الطبية المصرية المجلد ١٠ ص ١ من يناير سنة ١٩٢٧ .

٩ — سقوط المدة وعلاجه وعلاج النحافة بالأنسولين — المؤتمر الطبى الدولى بالقاهرة سنة ١٩٢٧ :

١٠ — الأنيميا « فقر الدم » (ملاحظات على العلاج) — المجلة الطبية المصرية المجلد العاشر ص ٤٣٩ من يونية سنة ١٩٢٧ .

١١ — القياس الطبيعى لوظائف المدة بالاشتراك مع الدكتور حسين عرفان والدكتور محمد جعفر — المجلة الطبية المصرية المجلد ١٢ من يناير سنة ١٩٢٩ .

١٢ — علاج أمراض صمامات القلب المزمنة — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ١٣ عدد أغسطس سنة ١٩٣٠ .

١٣ — بحث وظائف الكبد فى حالة المرض تحليل لقيمة الأختبارات الشائعة للاستعمال بالاشتراك مع الدكتور سيد عفت مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ١٥ عدد ١ يناير سنة ١٩٣٢ .

١٤ — هبوط القلب الناتج من إرتفاع الضغط بالاشتراك مع الدكتور

سيد عفت مجلة الجمعية الطبية المصرية — مجلد ١٥ عدد ٢ — فبراير سنة ١٩٣٢ .

١٥ — تصلب الشرايين الرئوية نتيجة الإصابة بالبلهارسيا بالاشتراك مع الدكتور سيد عفت — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ١٥ عدد ٣ من مارس سنة ١٩٣٢ وهو أول وصف إكلينيكي لهذا المرض ظهر بمصر .

١٦ — المعدل الطبيعي لوظائف المعدة في المصريين بالاشتراك مع الدكتور محمد جعفر — مجلة الجمعية المصرية مجلد ١٥ عدد ١١ من نوفمبر سنة ١٩٣٢ .

١٧ — بحث حالات الأنيميا بمصر مع تحليل لخمسين حالة بالاشتراك مع الدكتور محمد جعفر والدكتور سيد عفت والدكتور حسين النشوقاني مجلة الجمعية الطبية المصرية المجلد ١٦ صفحة ٢٥٨ سنة ١٩٣٣ .

١٨ — ملاحظات على الأنيميا بمصر بالأشتراك مع الدكتور محمد جعفر — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ١٧ — ص ٨٣٩ سنة ١٩٣٤ .

١٩ — علاج الأمبيبا بالإنتروفيوفرم — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ١٧ ص ٨٠٩ سنة ١٩٣٤ .

٢٠ — بعض الملاحظات عن مرض التتاني مع وصف لحالتين بالاشتراك مع الدكتور محمد جعفر — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ١٧ ص ٥٩٤ سنة ١٩٣٤ .

٢١ — بحث في « الإسهال » بمصر بالاشتراك مع الدكتور سيد طه عبد البر مجلة الجمعية المصرية مجلد ١٨ صفحة ٤٩٧ سنة ١٩٣٥ .

٢٢ — استجابة المعدة للأغذية المصرية بالاشتراك مع الدكتور محمد جعفر مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢١ صفحة ٥٤٦ سنة ١٩٣٨ .

٢٣ — تقرير عن الأدوية المجهزة (باللغة العربية) — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢١ ص ٣٩٣ سنة ١٩٣٨ .

٢٤ — المياه المدنية (باللغة العربية) — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢٢ ص ٧٨٩ سنة ١٩٣٩ .

٢٥ — استجابة المعدة للأدوية المعدة بالاشتراك مع الدكتور محمد جعفر — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢٣ ص ٣٩٥ سنة ١٩٤٠ .

٢٦ — معالجة المضاعفات الكبدية — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢٥ ص ١ سنة ١٩٤٢ .

٢٧ — التسمم بالطعام — مجلة الجمعية المصرية مجلد ٢٧ ص ٥١٨ سنة ١٩٤٤ .

٢٨ — السياسة الصحية فى الريف (باللغة العربية) — مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢٧ ص ٤٢ سنة ١٩٤٤ .

٢٩ — مسير مصر الصحى من الناحية العلاجية (باللغة العربية) — مجلة الجمعية الطبية المصريه مجلد ٢٧ ص ٤٢ سنه ١٩٤٤ .

٣٠ ـ آراء فى تعليم الطب وتكوين الطبيب العام والطبيب الإخصائى وهيئة التدريس (باللغة العربية) مجلة الجمعية الطبية المصرية مجلد ٢٧ ص ٢٨٩ سنة ١٩٤٤ .

(ب) بحوث نشرت :

أثر الحالات العصبية والنفسية على أعراض الجهاز الهضمى .

بحث ألقى فى الأيام الطبية للجمعية الطبية المصرية سنة ٩٦١ ، ونشر فى العدد الخاص بذلك .

(ح) نبذة علمية مختصرة لتقديم هذه البحوث :

إن الاطلاع على هذه البحوث الكثيرة ليملأ النفس ثقة وإعجاباً بالعناية الفائقة التى أولاها الأستاذ عزى المتعددة فى الأمراض من الناحيتين الأكلينيكية والمعملية واهتمامه بجميع الأعراض التى تصيب شتى الأجهزة الجسمانية وخاصة

ما كان منها فى الجهاز الهضمى والأمراض المتوطنة ، كما تلمس عنايته بالناحية الصحية والوقائية والمشاكل القومية ، وكذلك ظهر اهتمامه القوى بالنواحى التعليمية لطلاب الطب فى مختلف المستويات ، ويلاحظ فى هذه البحوث روح الابتكار وسعة الاطلاع والإلمام الصحيح .

ويجدر بالذكر أن نشيد بما أبرزه الدكتور عزمى عن أهمية إصابة الأوعية الرئوية بمرض البلهارسيا فكان أول من استرعى النظر ووصف الأعراض الإكلينيكية لهذا المرض الخطير فى مصر وما يحدثه فى الدورة الدموية من مضاعفات . ولما كان الأستاذ الدكتور سليمان عزمى أول من شخص هذا المرض إكلينيكيا فقد اطلق عليه الأطباء (مرض الدكتور عزمى) كما أنه كان الرائد الأول فى تعميم المعدلات الطبيعية للعصارة الهضمية بالمعدة عند المصريين فى تأثير الأغذية المصرية على هذه المعدلات ، كما اهتم بأثر العقاقير الشائعة على عصارة المعدة وحركاتها ، وهذه لاشك موضوعات حيوية من الناحية المصرية والعلمية .

٣ — الكتب والمؤلفات العلمية :

(ا) كتاب باللغة العربية عن الإنفلونزا أو النزلة الوافدة طبع فى القاهرة سنة ١٩٢١ ، وهو من المراجع الهامة فى وصف هذا المرض ووبائيته وعلاجه بإستفاضة ، وبرغم مضى حوالى أربعين سنة على نشره فإنه لايزال محتفظاً بقيمته العلمية كمرجع « نافع عن هذا الوباء » :

(ب) كتاب « على هامش الطب » فى أربعة أجزاء كبيرة باللغة العربية ، وقد طبع بالقاهرة فى سنة ١٩٤٦ ، ووضع خصيصاً لتثقيف المتعلمين كافة علاوة على قيمته الفنية للأطباء ، وتعميما للفائدة قررت الدولة إعادة طبعه ضمن مشروع (الألف كتاب) ، وقد ظهر الجزء الأول من الطبعة الثانية ، وقصد المؤلف من هذا الكتاب تبسيط ما يجب أن يعرف من شئون الجسم والعقل والنفس والحالة الاجتماعية واتصال كل ذلك بالطب : فى الجزء الأول عالج المؤلف ما يجب أن

يعرفه المرء عن غذائه مبيناً تطور الأغذية من العهود البدائية إلى العصور الحديثة، كما أبان أثر الأغذية إبان السلم والحرب، ثم أسهب فى شرح عناصر الأغذية وفائدة كل منها والأمراض الناشئة عن نقص فى هذه العناصر وكيفية علاجها والوقاية منها.

وفى الجزء الثانى وصف المؤلف تشريح جسم الإنسان ووظائف الأعضاء بشكل مبسط يقرب هذا الوصف إلى أذهان غير الأطباء.

وفى الجزء الثالث شرح المؤلف ما يجب أن يعرفه المرء عن بيئته وعوامل الوراثة فيه، كما أفاض فى وصف العوامل التى تؤثر فى جسم الإنسان من الناحيتين الطبية والاجتماعية.

وفى الجزء الرابع أفاض المؤلف فى بيان الوسائل المختلفة لرفع مستوى المعيشة بين أفراد الشعب منوها بأهمية الدور الذى تؤدية المجالس المحلية فى الميادين الصحية والاجتماعية. وظهر فى الطبعة الثانية جزء خامس وشرح فيه المؤلف الأحوال النفسية وأعراض الشيخوخة وأسبابها وكيفية مقاومتها.

٤ — مدرسته العلمية :

سبق أن أشرنا إلى فضل الأستاذ الدكتور سليمان عزمى فى تنشئة الأجيال الحاضرة من أساتذة وأطباء، واهتمامه بتوجيه طلابه إلى البحوث الهامة والحيوية فى فروع الأمراض المختلفة مما يصعب حصره علماً بأنه حتى سنة ١٩٣٥ لم تنص اللوائح بكلية الطب على تقديم رسالة كجزء من امتحان الدكتوراه فى الأمراض الباطنية، ونقرر أن معظم الإنتاج العلمى الذى نشر لأعضاء هيئة التدريس بقسم الأمراض الباطنة فى أثناء رئاسته لهذا القسم كانت بتوجيهه وتحت إشرافه.

وفوق ذلك كان له الفضل فى توجيه بعض البحوث العلمية الهامة فى أقسام الكلية الأخرى مما كان له أثر كبير فى نشاط هذه الأقسام، ومن ذلك ما كان

من توجيهه لقسم الكيمياء الحيوية برياسة الأستاذ الدكتور على حسن والأستاذ الدكتور محمد شفيق الريدى بعده إلى توجيه البحث العلمى حول الخواص الحيوية والعلاجية لطلح النخيل ، فقد ثبت أن سيادته أول من لاحظ من الأطباء اهتمام الزراعيين والبدو فى منطقة برقاش بالمنصورة وعكوفهم على استعمال طلح النخيل فى تنشيط القوى الحيوية عند الرجال وعلاج العقم عند النساء ، فاهتم سيادته بهذا البحث مع قسم الكيمياء ، وكان شديد الحرص على متابعة هذه الأبحاث وتمويل الخامات اللازمة لها واستمراره فى تشجيع القائمين عليها أدبياً ومعنوياً ، ولقد أثمرت هذه البحوث العلمية نتائج هامة ، فقد ثبت أن طلح النخيل يحوى عناصر غذائية ومواد هرمونية فى غاية الأهمية . من ذلك أنه غنى بالمواد البروتينية ذات القيمة الحيوية العالية ، كما أنه يحتوى على كمية وافرة من الكلسيوم والحديد. وكذلك إن به كمية وافرة من فيتامين ج وفيتامينات (ب) وعلى الخصوص حامض النيكوتنك ، كما أنه أغنى المصادر الطبيعية بمادة الروتين وهو العامل الواق لجدران الشعيرات الدموية .

كما أثبتت هذه الأبحاث وجود هرمونات إستروجينية وجونادوترفيه بهذا الطلع وكانت هذه النتائج من أوليات المشاهدات العلمية التى أثبتت وجود مواد مشابهة لهرمونات الجنس الحيوانية فى أجسام نباتية ، وهذه من الكشوف العلمية ذات الأهمية العالية . فبفضل الدكتور الأستاذ عزمى ثبت أن طلح النخيل غذاء عظيم القيمة وعلاج هرمونى مفيد، وخاصة أنه ذو فاعلية إذا أخذ عن طريق الفم وإن البدو والفلاحين على صواب عظيم فى تناول هذا الغذاء والدواء .

وقد نشرت عن هذه البحوث ثلاث رسائل تقدم بها أصحابها لنيل الدكتوراه وعدة بحوث أخرى منشورة فى المجلات الطبية المصرية والعالمية .

٥ ـ أعماله الإنشائية البارزة فى ميدان تخصصه :

(أ) فى كلية الطب :

امتازت مدة استاذيته بكلية الطب لتشجيع البحث العلمى فى كثير من النواحى الإكلينكية والتطبيقية ، كما أنه كان الرائد الأول فى إرسال البعوث العلمية للتخصص الدقيق فى فروع الطب الباطنى ، وبهذا استكملت الكلية الكثير من فروع التخصص الهامة مسايرة بذلك النهضة العلمية العالمية ، وإنشاء الأقسام الخاصة بمختلف الأمراض الباطنية ، والأمثلة على ذلك فوق الحصر نذكر منها على سبيل المثال ما يلى :

١ ـ المرحوم الأستاذ الدكتور محمد خليل عبد الخالق فى طب المناطق الحارة .

٢ ـ الأستاذ الدكتور إبراهيم شوق ثم الأستاذ الدكتور أحمد خليل عبد الخالق وغيرهما فى طب الأطفال .

٣ ـ الأستاذ الدكتور يوسف براده ، ثم الأستاذ الدكتور يوسف حلمى جنينه فى الأمراض العصبية .

٤ ـ الأستاذ الدكتور أنيس سلامه ، ثم الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم فى أمراض القلب .

٥ ـ الأستاذ الدكتور عبد العزيز سامى فى الأمراض الصدرية .... إلخ

وفوق ذلك فقد كوّن جيلا قوياً فى جميع فروع الأمراض الباطنية تولى مهام الأستاذية والتدريس والعلاج فى جميع كليات الطب بالجمهورية العربية المتحدة نذكر منها على سبيل المثال الأساتذة الدكتور محمد جعفر والدكتور محمد عرفه والدكتور سيد عفت والدكتور بول غليونجى وغيرهم . وهو أول من أنشأ قسم الدراسات العليا للأمراض الباطنية بكلية طب القصر العينى ، القسم الذى درس وتخصص فيه عدد وافر من حملة الدبلومات العالية والدكتوراه فى الأمراض الباطنية العام منها

والخاص ، والمنتشرون فى المعاهد والمستشفيات داخل الجمهورية وخارجها ،وكان سيادته طول مدة أستاذيته مثلا أعلى فى القيام بالواجب فى العمل والعطف الأبوى على التلاميذ فى معاملة زملائه .

(ب) فى جمعية الهلال الأحمر :

كان سيادته من دعامات الجمعية ، فقد تولى رياستها نحو اثنى عشر عاما قام خلالها بالكثير من الخدمات وخصوصا فى أثناء الحملة الفلسطينية الأولى سنة ١٩٤٨ وفى سنة ١٩٥٠ / ١٩٥١ كانت الاشتباكات كثيرة بين القوى الوطنية والجيش البريطانى الناصب فى منطقة القنال، وكان قانون منظمة الصليب الأحمر الدولية ومن ثم الهلال الأحمر لايجيز التدخل من جانب هذه الهيئات لإسعاف المصابين إلا فى حالات الحرب المعلنة بين الدول وبرغم ذلك كون سيادته بعثات طبية قامت بواجبها الطبى الإنسانى للمصابين خير قيام ، ثم سعى سيادته بعد ذلك لتعديل هذه المادة من القانون ، وسافر إلى جنيف حيث المقر الرئيسى لهيئة الصليب الأحمر الدولية ، وتمكن بعد جهد من إقناع أولى الحل والعقد بصحة رأيه ، ونجح فى تعديل مواد القانون بما يسمح لهيئات الصليب والهلال الأحمر أسعاف المصابين فى الثورات الداخلية كما فى الحروب ، وقد اعتمد ذلك بمؤتمر الصليب الأحمر الدولى فى تورنتو سنة ١٩٥٢ .

(حـ) جمعية يوم المستشفيات :

سيادته صاحب المشروع وعماده ورئيس مجلس إدارته ، إذ تمكن من الدعوة له ، ونجح فى ذلك نجاحا باهرا ، إذ زادت التبرعات التى تمكن من جمعها على مائة ألف جنيه ، ثم أنفقت فى إقامة مبنى خاص به وتزويده بالأجهزة والمستلزمات الطبية والعلاجية اللازمة للفقراء من المرضى والعجزة مثل الأطراف الصناعية والنظارات والأحزمة الطبية وأطقم الأسنان ، وغيرها وقد أبرز المشروع الناحية الإنسانية التى يمتاز بها خلقه النبيل .

(و) رأس الجمعية الطبية المصرية منذ سنة ١٩٤٤ حتى لقى ربه لم يتخلف فى أثنائها عن رياسة مؤتمراتها السنوية سواء فى داخل الجمهورية أو فى البلاد العربية الأخرى ، ولم يضن بأى جهد فى سبيل إنجاحها علميا واجتماعيا ، ولم يأل جهداً فى كل المؤتمرات والندوات العلمية من الدعوة للقومية العربية .

صلة المؤلف به

أما عن صلتى بالمرحوم الدكتور سليمان عزمى فهى صلة بعيدة منذ كنت طالبا بالسنة النهائية فى كلية الطب ، فلقد راعنى حين كنت طالبا من أستاذنا الجليل الأدب الجم وحسن اختيار الألفاظ وصدق النصيحة ، فلقد كان هو أستاذ الأمراض الباطنية الوحيد الذى لا يترك شاردة ولا واردة فى المريض إلا وصفها بأمانة وبدقة وكان يصف دائما العلاج لكل حالة وبآخر مستحدثات الطب على عكس كثير من زملائه الذين كانوا يضنون علينا بذلك .

وجميع أطباء مصر الحاليون مدينون لأستاذنا الجليل بما تعلموه من طب وعلاج .

أما حياته العامة فلقد عرفته عن طريق الإتحاد العربى ورابطة الإصلاح الاجتماعى والجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية يوم المستشفيات والجمعية الطبية المصرية .

ومن العجيب أنى ما فكرت أن أخدم وطنى بأى إصلاح اجتماعى إلا وجدت الدكتور سليمان عزمى قد سبقنى إليه وكان خير ناصح ومرشد لى .

فلقد رأيته فى الاتحاد العربى وهو يسعى لضم صفوف العرب لأى عمل إيجابى فيه منفعة وخدمة لهم جميعا ، ورأيته فى رابطة الإصلاح الاجتماعى يذهب معى وأنا أدرس مشكلة دور رابطة الإصلاح الاجتماعى الصحية ، وأكشف على مرضاهم ، وكان فى كل مرة يلقى علىّ درسا من تجاربه الكثيرة التى لا تخفى ، وكان قوى الملاحظة شريع البديهة .

وأما بالجمعية الخيرية الإسلامية فقد زاملته فى عضوية مجلس إدارتها عشر سنوات ما تأخر دقيقة عن ميعاده .

وكان يتابع كل المناقشات التى تدور فى المجلس وكأنه يحفظها عن ظهر قلب.

أما جمعية يوم المستشفيات فله فضل إبرازها وتقديمها المعاونة الطبية للمحتاجين.

وأما الجمعية الطبية المصرية فلقد ازدهرت فى عهده مثلما كانت مزدهرة فى عهد راعيها الأول الدكتور على إبراهيم، وكانت وكمازالت مؤتمراتها الطبية مهرجانات عربية وسوق عكاظ صحية لا تدانيها سوق عكاظ الأدبية فى عهدها القديم .

الدكتور عبد العزيز اسماعيل

ولد الدكتور عبد العزيز اسماعيل فى بلقاس فى ٢٠ مارس ١٨٨٩ وكانت تتبع مديرية الغربية فى ذلك الوقت والآن تتبع محافظة الدقهليه بعد التقسيم الجديد وحين كبر سنة أدخلة والده مكتب تحفيظ القرآن الكريم بالبلدة لرغبته فى تنشئته نشأة دينية ولقد أتم حفظ القرآن وهو فى سن العاشرة ولقد كان لهذا الإبتداء الطيب الأثر الأكبر فى كيانة إذ كان مواظباً على الصلاة فى ميعادها وكان مواظبا على قراءة القرآن حتى فكر فى أن يدرس العلاقة بين الإسلام والطب حين أصبح أستاذاً .

ولقد دخل بعد ذلك مدرسة الناصرية الإبتدائية ودخل المدرسة الثانوية ونجح فى شهادة الدراسة الثانوية . وكانت تسمى فى ذلك الوقت بالبكالوريا .

وكان الأول فى القسم العلمى ودخل مدرسة الطب ولهذا قصة طريفة وهى أن والده مرض وذهب إلى القاهرة لإستشارة أحد أطبائها .

وكان البرزون فى ذلك الوقت هم الأجانب فناله من غطرستهم الشىء الكثير فطلب من ابنه أن يدخل مدرسة الطب ليرفع عن المصريين تكبر الأطباء الأجانب وليبذهم ولقد حقق الله أمنية والده فيه إذ تخرج من كلية الطب ١٩١٠ وكان الأول وعمره حوالى عشرين سنة .

وكان يهتم بالتجارب الطبية وحدث أن فقد أحدى عينيه فيها ولم يثن ذلك عزيمته بل ضاعف اجتهادة وذهب فى بعثة لينال عضوية كلية الأطباء الملكية بلندن وإذا به يحرز فى مدة البعثة شهادة الدكتوراة فى العلوم الطبية ثم عضوية كلية الأطباء الملكية بلندن ثم دبلوم المناطق الحارة بلندن .

وكان أول مصرى يحصل على شهادة العضوية وعند سفره للدراسة قابله

طبيب انجليزى ولما عرف منه أنه قادم للحصول على شهادة العضوية قال له (أن هناك عشرات المصريين يدرسون لها ولم يأخذها أحد بعد ـ ألم يكن من الأجدر بك أن تنتظر حتى يرجع أحد منهم)

والحقيقة المؤلمة فى ذلك أن الإنجليز فى بدء الاحتلال كانوا ينظرون إلى مصر كأنها بقرة حلوب ولا يمكنون مصرياً من إحراز الشهادات العليا عندهم حتى لايطالب أن يكون فى مثل مركزهم ، ولكن عبد العزيز اسماعيل اضطرهم بعلمه وتفوقه عليهم أن يمنحوه شهادة العضوية .

وحين رجع عين طبيباً بالمستشفى العباسى (نسبة إلى الخديو عباس) الذى غير اسمه إلى مستشفى الملك وأخيراً إلى مستشفى المنيرة .

وعين مدرساً فى كلية الطب للأمراض الباطنية ١٩١٨ واختير زميلا لكلية الأطباء الملكية بلندن ١٩٣٤ فكان بذلك أول مصرى يختار زميلا بها وكان عدد الزملاء فى العالم أجمع وقتئذ ٣٠٠ زميل فقط .

وعين أستاذاً للدراسات العليا للأمراض الباطنية ١٩٤٠

ولقد كنت أحد تلاميذه ١٩٣١ وكان يبهرنا بدقة تشخيصه وجداوله التى تميز بين الأمراض وبعضها بطريقة فذة لا يجاريه فيها أحد وكان يشخص المرض فى الفحص الأكلينيكى وقلما أخطأه التشخيص بعد الأشعة والفحوص المعملية الكثيرة وكان يترك لنا الاجتهاد فى العلاج ولقد قام بأبحاث عدة طبية إذ كان أول طبيب فى العالم تنبه للدور الوراثى لمرض ضغط الدم وبحثه فى هذا الموضوع يعتبر المرجع الأول له ويشير إليه كل من طرقه من البحاثة الأجانب تقديراً لعلمه وفضله .

وقام بعدة أبحاث أخرى عن ارتفاع ضغط الدم وأسبابه ومضاعفاته مما سهل للباحثين بعده سبل البحث والوصول إلى النتائج وكان أول من استعمل الهيبارين فى علاج انسداد الشرايين وأول من شخص انسداد الشريان التاجى فى مصر .

ولقد نشر أبحاثاً متعددة عن أمراض فقر الدم والملاريا والسل والحمى المخية الشوكية ولقد أنشأ مدرسة طبية شعارها الاطلاع المستمر وأخذ المستحدث بالدراسة والنقد والتجربة .

إجتهاده الدينى وربط العلم بالدين

لقد كان لنشأة الدكتور عبد العزيز اسماعيل الدينية الأثر الطيب فى حياته كلها فلقد كان شديد التدين وكان لا يترك صلاة لا يؤديها وقت أذانها ولقد حدث حين كان يمتحننى فى بكالوريوس الطب والجراحة أن أذن المؤذن لصلاة الظهر فتركنى وصلى ثم عاد لى وقلت له : عسى أن ينفعنا الله بصلاتك ، فقال : إن شاء الله و نجحت وكان يحفظ كثيراً من آيات القرآن الكريم وكان يجتمع بأصدقائه المقربين إليه مثل المغفور له الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ أحمد الظواهرى فى جلسة أسبوعية كل يوم جمعة لم يتخلف عنها إلا فى النادر وكانوا يتدارسون آيات القرآن الكريم ويتدبرون معجزاته وقد أسفرت هذه الجلسات عن كتابه الإسلام والطب الحديث وهذا اجتهاد لاشك فيه مهما حاول البعض الوقوف ضده إذ حاول أن يفسر الآيات التى لها علاقة بالطب تفسيراً حديثاً يتلاءم مع العلم الحديث وبين أن القرآن الكريم سبق العلم الحديث بما فيه من آيات تصف الخلق مما يدل على إعجازه .

وقال الشيخ المراغى عن الكتاب :

(أعجبنى منه ما توخاه من التوفيق بين معانى بعض الآيات القرآنية الكريمة وبين مقررات الطب الحديث وحمدت له هذه النزعة العلمية التى لو تحلى بها كل مبرز فى فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقات الثمينة تستفيد منه النابتة الحديثة زيادة معرفة بأعجاز القرآن وإيقان بأن الله ما فرط فى الكتاب من شىء) .

ولقد قال الدكتور عبد العزيز اسماعيل مايلى فى مقدمة كتابه .

فالقرآن ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك ولـكنه يشير أحياناً إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم وبما أنه صادر من واضع السنن كلها كان جميع ماجاء فيه حقاً لاشبة فيه وإن لم يكن ذلك مدركاً وقت نزوله إلا على طريق الأجمال والتأويل لعدم استبحار العلوم إذ ذاك ولـكن مع الترقى فى العلوم قلما كان يعمد إلى تأويله وكثيراً ماوجب أخذه على ظاهره فى ذلك العهد .

فقوله تعالى (خلق الإنسان من علق) شبه الحيوان بالعلق مع أنه لايرى بالميـكروسكوب والعبرة فى هذه الآية لم تظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين حتى اكتشف المجهر .

وهناك آيات كثيرة مثلها لايفهم شـيئاً من معناها الحقيقى إلا من درس العلوم الحديثة .

وينبغى ألا يطبق على الآيات الـكريمة إلا ما يكون قد ثبت ثبوتاً قطعياً ولم يقبل الشك فـكثير من النظريات العلمية عرضه للتغيير والتبديل وهذه لايجوز تطبيقها على الآيات حتى ولو اتفقت مع ظاهرها إنما يطبق فيها مايكون قد اجتاز دور النظريات وصار حقيقة ثابتة لاشك فيها .

وكما قال الشيخ المراغى (يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كى نفسرها ولا العلوم إلى الآية ولـكن أن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها) .

تدينه :

كان رحمه الله باراً بالمرضى مؤدياً لجميع فروض الإسلام ومنها الزكاة إذ كان يخرج الزكاة على نظام ضريبة الإيراد العام على أساس ربع العشر أى ٢,٥٪ من رأس المال أو فائض الإيراد .

موقفه ضد الأطباء الأجانب :

عندما تخرج من مدرسة الطب كان الأطبـاء الأجانب هم المسيطرون على الطب

فى مصر وهم الذين يعالجون كبار القوم ولم يكن فى مصر أى طبيب مصرى يجرؤ على أن يقف ضد رأيهم فى التشخيص أو العلاج ولقد خاض الأطباء المصريون وهو ومعهم معركة عنيفة ضدهم وكان على رأسهم الدكتور على إبراهيم

توفى إلى رحمة الله فى ٢٠/٢/١٩٤٢

ولقد رثاه زملاؤه وجاء فى كلمة الدكتور سليمان عزمى (أنه لم يسمعه مرة يذم طبيباً أو زميلا أو أى شخص) .

وقال الأستاذ البورت أستاذ الطب الباطنى بلندن وكان أستاذاً بكلية طب القاهرة (كان ممتحناً فذا يحكم على الطالب بعد لحظات وكان حكمه دائماً على صواب) .

وقالت مجلة اللانست الطبيبية الإنجليزية (لقد خسرت مصر بفقده طبيباً عالماً أفاد بعلمه كثيراً من الطلبة والمرضى) .

الدكتور محمد خليل عبد الخالق

إذا راجعنا تاريخ الطب فى مصر استرعانا العدد الكثير من العلماء الذين كونوه منذ بزغ فجر المدنية فى بلادنا فقد ابتدأ قدماء المصريين فن الجراحة ووصفوا الزرنيخ لمداواة السرطان ، ومن العجب أن العلم الحديث عاد يخلق من الزرنيخ مركبات لعلاج هذا المرض ، وفى عصر مصر العربية اكتشف ابن النفيس لأول مرة فى التاريخ الدورة الدموية الرئوية ، ولكن تسلسل العلماء كان قد توقف لظروف سياسية مرت بالبلاد فى عصر الأتراك والمماليك إلى أن قامت النهضة العلمية فى مصر فى العصر الحديث ، فنبغ كثيرون فى الطب ، وألف فيه عدد من أساتذة مدرسة الطب كتبا فى الطب فى غضون مائة السنة الماضية ، ولكن لم تبدأ مدرسة البحوث نظام التجارب والتطبيق العملى والابتكار العلمى فى مصر إلا منذ الثلاثين سنة الماضية ، وكان هذا نتيجة مباشرة لعودة أعضاء البعوث العلمية المصرية من دول أوربا ذات الحضارة العلمية الحديثة . ومن غير شك كان العالم الدكتور محمد خليل عبد الخالق من الرجال الأفذاذ الذين أرسوا رسالة العلم الطبى على أسس متينة من البحوث المتكررة .

لهذا سيذكر التاريخ الطبى للمغفور له الأستاذ الدكتور محمد خليل عبد الخالق ما أداه من جليل الخدمات للعلم ، فقد كرس حياته العلمية لإعلاء المعارف والأبحاث المبتكرة فى الطفيليات وطب المناطق الحارة والصحة ، فاستحق لنشاطه الجم وقدرته الشديدة على اقتفاء العلم وسعة اطلاعه وقدرته الفذة على أداء البحوث أكبر تقدير وأعظم إعجاب بين أقرانه ومعاصريه ، لأنه تمكن فى وقت قصير من استرعاء انتباه كبار العلماء فى أنحاء العالم بمؤلفاته العلمية ، وبرغم ذلك ظل يدأب ويعمل بجهد لا يعرف الكلل من يوم أن ابتدأ دراسته لطب المناطق الحارة

بلندرة فى سنة ١٩١٩ إلى آخر يوم فى حياته ، وكان من حظه الكبير أن تلقى العلم على الأستاذ العالمى باتريك ما تسون الذى يعود إليه الفضل فى الكشف عن كثير من أمراض المناطق الحارة حين كان يعمل فى أمورى بالصين . وكذلك تلقى العلم على الأستاذ ليبر الذى كشف عن دودة البلهارسيا فى المبنى القديم لكلية الطب ، وهو نفس المكان الذى كشف فيه العالم الألمانى لوس عن دودة الإنكلستوما .

ولد محمد خليل عبد الخالق فى القاهرة فى ٢٣ مايو ١٨٩٥ ، ودرس الطب من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩١٧ فى مدرسة طب قصر العينى وأدى الامتحان النهائى بتفوق عظيم ، فكان الأول بين زملائه طوال سنى الدراسة ، كما تفوق فى الامتحان النهائى على الثانى فى الترتيب بمائة وثلاث وعشرين درجة ، وقد أشير إلى هذا النجاح الباهر فى أول عدد ظهر من المجلة الطبية المصرية ، وعمل بمستشفى قصر العينى كمساعد إكلينيكى ، ثم عين طبيب امتياز إلى أن اختارته الحكومة المصرية فى سنة ١٩١٨ لإرساله فى بعثة إلى لندن لدراسة طب المناطق الحارة والطفيليات ، وظل هناك إلى سنة ١٩٢٠ ، وانتخب فى أثناء بعثته عضواً فى اللجنة التى كلفت دراسة مرض الانكلستوما فى مناجم كورنوال ، ولما عرفت وزارة المستعمرات البريطانية كفايته الممتازة عينته عضواً فى اللجنة التى أرسلتها لدراسة داء الفيل فى الهند الغربية وغيانا البريطانية .

وقد عين بعد عودته إلى مصر وكيلا لقسم الأمراض المتوطنة بمعامل وزارة الصحة ، وانتدب لتدريس علم الطفيليات بمدرسة الطب فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ إلى أكتوبر ١٩٢٥ ثم فضلته المدرسة على المتقدمين من الأجانب لنبوغه الواضح ، فعينته أستاذاً لعلم الطفيليات فى سنة ١٩٢٥ ، وقد كان يشغل قبل ذلك أى منذ سنة ١٩٢٤ منصب أستاذ منتدب للطفيليات بكلية الطب البيطرى .

وقد أسس معهد الأبحاث ومستشفى الأمراض المتوطنة عام ١٩٣١ ، ونقل إليه قسم البلهارسيا والانكلستوما بمعامل وزارة الصحة ، وهذا المعهد بشارع

قصير العينى رقم ١٠ ، وعين رحمة الله مديراً لهذا المعهد بغير مكافأة ، وأصبح المعهد مدرسة أبحاث معروفة فى جميع بلاد العالم ، يؤمه كثير من العلماء لمناقشة موضوعات علمية مختلفة ، أو للتدرب ، وقام المعهد أيضاً بحل الكثير من مشاكل مصر الصحية .

وفى سنة ١٩٣٩ اختير ـ بالإضافة إلى مناصبه الأخرى ـ مراقباً عاماً لمصلحة الأمراض المتوطنة بوزارة الصحة ، وأتيح له وهو فى هذا المنصب أن يقوم بحملته المشهورة لمكافحة البعوضة التى تسمى الجامبيا ، التى كانت قد غزت البلاد من الجنوب ، وسببت وباء الملاريا الهائل الذى ظلت البلاد تخشى غائلته أكثر من عامين .

هذا وفى سنة ١٩٤٤ عين المغفور له وكيلا لوزارة الصحة لشئون الحجر الصحى للانتفاع بخبرته العظيمة ، لأن وفود الأمراض الوبائية كالحمى الصفراء والملاريا كان يهدد البلاد حينئذ من جراء العمليات الحربية وكثرة الانتقال بالطائرات من الأقطار الإفريقية وغيرها .

وإنا لا ننسى تلك الخدمات الجليلة التى أداها الدكتور خليل للجمعيه الطبية المصريه كسكرتير عام لها، فسيذكر زملاؤه دائماً القسط الكبير الذى اضطلع به فى بنائه تلك الجمعية وتشييدها على أسس متينة وعمد رفيعة ، وتعتبر من مفاخر مصر بين جيرانها .

وسيذكر زملاؤه أيضاً فى الأقطار العربية الدور الهام الذى قام به فى تنسيق المؤتمرات الطبية العربية . ومما لا جدال فيه أن الجمعية الطبية قوت أواصر الاتحاد والصداقة بين الأمم العربية التى تمخض عنها إنشاء جامعة الدول العربية .

وفوق ذلك يبرز الدكتور خليل من بين الرجال الأوائل فى أبحاث الأمراض المتوطنة والطفيليات فى مصر ، ولن ينسى تلاميذه العديدون محاضراته الجامعية ،

ومنطقه السليم ، وعلمه الغزير الذى استمدوا منه كنزاً لا يفنى من معلومات قيمة ستظل إلى عهد طويل المرجع الأول لكل من يبغى دراسة طب المناطق الحارة والطفيليات فى مصر وفى باقى العالم ، ومما لا شك فيه أن مؤلفاته عن البلهارسيا والملاريا وداء الفيل والليشمانيا ذات قيمة عظيمة لجميع المشتغلين بعلاج ومكافحة تلك الأمراض ، فقد أصبح مركب الفؤادين بعد أبحاثه التى أجراها عنه معترفا به من جميع أطباء المناطق الحارة فى علاج البلهارسيا .

ويضاف إلى ماسبق ما امتاز به درس الدكتور خليل ومدرسته لتوزيع الأمراض الطفيلية ومقدار انتشارها بين سكان مصر وما جمع من المعلومات بوساطة أبحاث المعمل والحقل عن القواقع الناقلة لعدوى البلهارسيا ما يكفى كتابة مجلد ضخم .

ومن أعماله البارزة نجاح مؤتمر تأثير الرى والصرف على الزراعة والصحة الذى قامت الأكادمية المصرية للعلوم بمجهوداته ، فشرح فيه الأضرار الجسيمة التى تسببها مشروعات الرى الدائم فى نشر عدوى البلهارسيا .

وكان الدكتور خليل من أوائل العلماء الذين أثبتوا فائدة كبريتات النحاس فى مكافحة وإبادة قواقع البلهارسيا . ونفذ ذلك بالفعل بنجاح لامراء فيه فى الواحات وفى تفتيش كوم امبو؛ إذ انخفضت نسبة البلهارسيا فى الواحات من ٦٣ ٪ إلى ٣٪ .

وفى سنة ١٩٣٣ أتم الدكتور خليل بحثه الذائع الصيت عن دورة حياة الطفيلى المعروف باسم الهتروفس ، حينما كشف أن سمك البورى يؤدى وظيفة المضيف الوسيط الثانى فى سنة ١٩٢٣ ، وظل المضيف الأول غير معروف إلى أن كشف عنه فى سنة ١٩٣٣ وبين أنه هو القوقعة المسماة بالبيرينللا كونيكا . ولقد عالج الاستاذ خليل بالبحث والدرس ذلك الموضوع المعقد ، ألا وهو ظهور الميكروفيلاريا بنكروفتى فى الدم أثناء الليل واختفاؤها منه فى أثناء النهار ، وأرجع هذا إلى وجود أغلب دودة الفيلاريا فى الجهاز الليمفاوى للحبل المنوى

والأطراف السفلى للجسم ، ومرور الميكروفلاريا من القناة الصدرية فى أثناء نوم المصاب بهذا المرض وازدياد سرعة اللمف بعد هضم الطعام وامتصاصه ، وأن اجتماع هذه العوامل يصل بالحد الاقصى لعدد الميكروفيلاريا فى الدم الدائرى حول منتصف الليل . ولقد حازت نظريته هذه تأييد كثير من العلماء الأفذاذ أمثال ليبر فى مؤتمر طب المناطق الحارة بهولاندا سنة ١٩٣٨ .

وهذا وقد نشر الدكتور خليل أكثر من مائتى رسالة علمية فى الفروع المختلفة لطب المناطق الحارة والطفيليات ، ويكفى أن يلقى المرء نظرة على مراجعها ليعلم مدى النجاح العظيم الذى ناله كعالم فى الطفيليات وطبيب من أطباء المناطق الحارة الافذاذ .

لقد حصل الاستاذ خليل على كثير من الأوسمة المصرية والأجنبية تقديرا لكفايته الممتازة وأبحاثه المبتكرة ، كما مثل بلاده فى مؤتمرات عدة فكان مفخرة لها بين الدول .

ففى سنة ١٩٣١ منح نيشان الاستحقاق اللبنانى من الطبقة الثانية .

و « « ١٩٣٥ « « « السورى « « « «

« « ١٩٣٨ « « « الرافدين من العراق .

« « ١٩٣٩ » وسام جوقة الشرف الفرنسى من درجة ضابط . وعلاوة على ما تقدم فهو :

١ — عضو المجتمع العلمى المصرى .

٢ — عضو شرف الجمعية البلجيكية لأمراض البلاد الحارة .

٣ — عضو شرف لجمعية الديدان بواشنجطن .

٤ — عضو مجمع الثقافة المصرى .

٥ — انتخب رئيساً للاكاديمية المصرية للعلوم .

واعترافا بفضله على العلم سميت عشر من الطفيليات باسمه .

وقد اشترك الدكتور خليل والدكتور على إبراهيم فى تنظيم كلية الطب وتمصيرها بإحلال الأساتذة المصريين محل المدرسين الإنجليز والأجانب ، وكان لا يعرف الكلل أو الملل فى أداء رسالته هذه حتى قال له السير كوبربرى الذى أحضرته الحكومة المصرية لتنظيم كلية الطب : « نحن علمناك لتكون حربا علينا بكفايتك الممتازة » .

واشترك أيضاً والدكتور على إبراهيم حينما كان وزيراً للصحة فى تنظيم وزارة الصحة ، وظل هذا التنظيم قائما فى جوهره إلى الآن ، ونشر عدد من أعداد المجلة الطبية المصرية هذا التنسيق الفنى والإدارى .

وحينما تولى الحجر الصحى أدخل عليه الكثير من الإصلاح من وجهة النظر المصرية فأنهى خدمات الخبراء الأجانب ، وظل يكافح لاستعادة السلطة الصحية لمصر على المطارات الإنجليزية فى منطقة القنال ، ولكن المنية عاجلته فى سنة ١٩٥٠ . وكان الإنجليز مصممون على الاستئثار بهذه السلطة ، وكان المرحوم الدكتور يخشى أن تغزو البلاد الأوبئة عن طريق تلك المطارات ، فلما نحته وزارة الصحة عن وكالة الحجر الصحى تحقق ما كان يخشاه ، وغزت الكوليرا مصر من منطقة «القنال» ؟ ؟

لقد كتب كثيراً من المقالات ، وألقى عديداً من المحاضرات عن مواضيع الكوليرا والدفاع عن مصر ضد غزوها بالكوليرا من الهند عن طريق القناة . والذى يطلع على المذكرات المبوبة والمواجع المنسقة المرتبة ترتيباً عالياً دقيقاً التى وضعها ليدافع بها عن حقوق مصر الصحية يوقن بعبقريته ويؤمن به كعالم يحق لكل مصرى أن يفخر به وبآثاره .

جمع الدكتور خليل ثروة طائلة فى أثناء حياته ، وكثيراً ماقال لى « إن أى بحث قام به كان أصعب بكثير من جمع تلك الثروة الطائلة ، ولكنه رحمه الله كان زاهداً فى الحياة قادراً على الاقتصاد ، عالما فى الزراعة نابغاً فى الإدارة ، فأمكنه بهذه المواهب أن ينمى ثروته بالتدريج عن طريق الحلال . وهو أول مصرى نشر قائمة ثروته تحت

عنوان « من أين لنا هذا » ومن يطلع على هذه القائمة لا بد أن يقف ليتأمل ويفكر فى عقلية هذا الرجل العظيم ، تلك العقلية الراجحة الدقيقة التى اتخذت من من البحث العلمى مصباحاً يدله كيف ينظم أعماله ويرتب حسـابـاته ، ويعززها بالمراجع والمستندات الدامغة ..

ولقد كلفت الحكومة السورية عام ١٩٤٧ الدكتور المرحوم محمد خليل عبد الخالق مع الدكتور السنهورى تنظيم الجامعة السورية ، وكانت مهمة دكتورنا رحمه الله تنظيم كلية الطب العربية العتيدة ، وقد شرفنى رحمه الله بأن كنت سكرتيراً له طيلة إقامتى بدمشق ، وعمل سيادته مع عميد الكلية وقتئذ الأستاذ الدكتور أحمد حمدى الخياط طيلة أسبوعين ليلا ونهاراً إلى أن أتم مهمته وقام بها خير قيام ، وقدم تقريراً وافياً لسيادة وزير المعارف عن إصلاح كلية الطب ، كان له أثر فعال فى تنشيط وإحياء تلك الكلية ورفع مستواها . ولما قدمت له الحكومة السورية شيكا بمبلغ كبير لقاء خدماته رفض قبوله قائلا ـ أنه يسعده أن يعمل كعربى فى خدمة دولة عربية ويكفيه هذا فخراً ، ولم يقبل شيئاً ، ولذلك منحه رئيس الجمهورية السورية وسام الاستحقاق السورى .

لقد عرف القارىء الكريم من هذا التاريخ المجيد للدكتور محمد خليل عبد الخالق وكيف كافح الأجانب والانجليز وكيف برز دولياً فى جميع الأوساط الطبية العالمية حتى سميت عشر طفيليات باسمه لتبقى مدى الدهر دليل على نبوغه .

فإذا كانت نتيجة ذلك فى وزارة الصحة — لقد أبعدوه عنها حتى تتاح الفرصة للمنافقين ليستغلوا المناصب العالية لأشخاصهم ونسبائهم ومحاسيبهم وكانت نتيجة إخراجه اجتياح الكولرا لمصر الذى أثبت هو أنها آتية من الجيش الانجليزى فى القناة .

لقد أصيب رحمه الله نتيجة لذلك كله بمرض السكر وتوفى بالذبحة الصدرية أقول ذلك لأنبه مصر إلى علمائها الأفذاذ حتى تضعهم فى المكان اللائق بهم .

الدكتور أنور المفتى

إذا كان لكل شخص من إسمه نصيب فالمرحوم أنور المفتى له من اسمه أو فى نصيب فلقد كان نوراً سطع فى سماء الطب المصرى وكان مفتياً للأطباء فى تشخيص الأمراض الباطنية حين يعجزون عن الهداية إلى التشخيص وإن كان إسم المفتى موروثاً عن الشيخ خطاب المفتى وهو جد الشيخ على المفتى جد أنور وكان الشيخ خطاب المفتى من كبار العلماء ومفتياً للشرقية ومدفون فى الجامع الكبير ببلده بردين شرقية .

ولد أنور المفتى فى ٧ مارس سنة ١٩١٣ من والدين مصريين صميمين لم يختلط بدمه هذه الدماء الغريبة التى وفدت إلى مصر فأفسدت كل من اتصل بها من أهلها وكان المرحوم والده حسن المفتى ضابطا بالجيش المصرى وحول من الجيش إلى البوليس لوطنيته وكان الإنجليز لغطرستهم لا يطيقون أى مصرى يرفع رأسه لو كان هذا المصرى ضابطا وطنياً يتألم لبلاده ولجيشها وهكذا طبق عليه الإنجليز نظامهم الغادر فحولوه من الجيش إلى البوليس بالداخلية وأصبح مأموراً لمركز الواسطى سنة ١٩١٩ حين شبت الثورة الوطنية فاندمج فى غمارها ومكن الأهالى من الأستيلاء على سلاح المركز وقتلوا بعض الإنجليز وحوكم وأحيل إلى الإستيداع وعمره ٤٢ سنة بمعاش بسيط .

لم تهدأ نفسه الثائرة ولكنه وطد نفسه على تربية أولاده فى معيشة هى أقرب إلى الكفاف منها إلى اى معيشة أخرى وعلى غرس حب الوطن والعلم فيهم بالرغم من قسوة الحياة التى يعيشونها ليعوض ما كان يتمنى أن يقوم به نحو الوطن من بناء مع أنه هو بالذات ضحى حياته ومستقبله فى حب الوطن وخدمته .

وطالما كان يدعو الله لهم أن يسدد خطاهم فاستجاب الله دعائه وسدد بالنجاح مسعاهم فنجحوا جميعاً بتفوق وبارك الله فى هذا المال الحلال القليل فأخرج لمصر

رجالا من خير من أنجبت الكليات المختلفة علماً وأدباً ومروءة ووفاء وكان له أربعة أولاد وبنت واحدة .

والأولاد هم المرحوم شاكر المفتى وكان من أنبغ القضاء والمرحوم الدكتور أنور المفتى (المترجم له) والدكتور عثمان المفتى وهو دكتور فى الذرة وفى قمة العلميين فى الدولة .

والدكتور على المفتى عميد كلية طب عين شمس وقد عرفته نائباً لجراحة الأذن والأنف والحنجرة بالقصر العينى وتابعت أعماله وهو مدرس وأستاذ للحنجرة فعرفت فيه العلم الغزير والأدب الجم والتواضع الزائد الذى ينكر نفسه وهو يعمل كل شىء ببساطة حتى إذا أراد أحد أن يقلده امتنع عليه التقليد فهو السهل الممتنع.

لقد أردت من هذا الأستطراد أن أبين البيئة التى عاش فيها أنور المفتى بيئة كلها كفاح ووطنية ودين فيها التغلب على المصاعب مصاعب طرد الوالد من الوظيفة ومقابلة المعيشة الجافة التى يجب أن يعيشها حتى يشق طريق نجاحه وسط بيئة من أفسد البيئات من الذين كان يمهد لهم السبيل حتى يصلوا إلى أكبر المراكز وأخطرها فى أقرب وقت دون ما علم ودون وطنية وكانوا ومازالوا لا يعملون شيئاً غير ارتياد النوادى ويسيئهم أن يعمل الغير وهم لا يعملون .

أصيب أنور المفتى برمد حاد وهو فى الخامسة من عمره ففقد بصر أحدى عينيه تقريباً ودخل المدرسة الأبتدائية وظهرت دلائل نبوغه فى السنة الثالثة بمدرسة السلطة الأبتدائية وكان عمره ثمانى سنوات ولقد مدحه الشيخ محمد عيسى مدرس اللغة العربية بقصيدة ألقاها هو بنفسه فى حفل المدرسة .

وقد كان دائم التفوق أثناء دراسته الأبتدائية والثانوية والطبية وكانت صحته جيدة وكان قوى الاحتمال وله صبر شديد على المذاكرة والعمل وكان يهوى القراءة لدرجة كبيرة فكان يقرأ كل أنواع الكتب خاصة كتب الأدب والتاريخ وهو مازال طالباً فى المدرسة الثانوية .

وحين أصبح طبيباً أضاف إلى ذلك كتب علم النفس والعلوم الطبية وكل ماتقع عليه عينه من الكتب الطبية .

كان دائم المرح محبا للرياضة التى تمكنه من أن تبقى صحته جيدة دون النظر إلى البطولات حتى لاتطغى على هوايته الأصيلة وهى القراءة .

وكان يحب الرسم ويجيد رسم الأشخاص والتحف وكان له أسلوب الأديب فى الكتابة بل ألف بعض القصائد الشعرية .

وحين اشتهر اسمه كطبيب لم يبق له من الهوايات غير القراءة والتصوير الفوتوغرافى .

حصل على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان من مدرسة فؤاد الأول الثانوية ١٩٢٩ ونال بكالوريوس الطب والجراحة سنة ١٩٣٦ بتفوق وعمل كطبيب إمتياز بالقصر العينى فى قسم الدكتور عبد العزيز إسماعيل وهنا إبتدأت صلته بإستاذه وكان يجمع بين الإثنين خصال عدة فكلاهما كان متديناً يحب الفقراء والمرضى وكلاهما كان يحب القراءه لذلك لاعجب أن يكن الدكتور عبد العزيز إسماعيل باشاوهو فى قمة عالم الطب الباطنى العالمى الحب والإحترام الشديد للدكتور أنور المفتى طبيب الإمتياز الصغير لم يتقدم أنور المفتى بعدسنة الإمتياز لأى وظيفة نيابية خلت فى الأمراض الباطنية مع أنه أحرز أعلى نمرة فى الباطنة تمكنه من التعيين فى أى قسم ولكنه بقى ينتظر خلو مكان النيابة فى قسم الدكتورعبدالعزيز اسماعيل الذى أصر على عدم تعيين أحد غير أنور المفتى وعين فى وظيفة نائب بالقصر العينى .

ولقد أراد أنور المفتى أن يثبت لأستاذه أنه جدير بهذه الثقة التى وضعها فيه فكان وهو نائب كالراهب فى المحراب يتفانى فى خدمة المرضى ولا يلقى بال لراحته طوال سنتين كاملتين وكان يقرأ كل مايظهر من جديد فى الطب فى الداخل والخارج .

وكانت قراءته دراسة تأمل وبحث فيما يقرأ من تجارب وأبحاث وكان يذهب إلى المريض فوراً ليغير من طريقة علاجه إذا رأى جديداً فى العلاج فى أى مجلة أو كتاب يمكن أن يستفيد منها المريض .

ولقد أوضحت فترة النيابة هذه فى مستشفى قصر العينى معالم الطريق كلها لحياة أنور المفتى ـ دراسة ـ بحث ـ استقصاء ـ إشفاق على المرضى أشفاقا يبلغ حتى العبادة والتفانى فى خدمتهم اشتغل بعد النيابة معيداً فى قسم الكيمياء الحيوية فى كلية الطب وتبحر فيها كعادته وعرف أهميتها البالغة وصلتها بالأمراض الباطنية وفى هذا القسم اتصل اتصالا وثيقاً بالدكتور على حسن والدكتور شفيق الريدى ولم يترك اتصاله بالمستشفى ولا بالمرضى والكشف عليهم ومتابعة أمراضهم وعلاجهم حتى طالب الدكتور عبد العزيز اسماعيل بتعيينه كمدرس للأمراض الباطنية فى القصر العينى .

وكتب لعميد كلية الطب (أن تعيين الدكتور أنور المفتى مدرساً للأمراض الباطنية سيكون ربحاً كبيراً جداً لكلية الطب وتدعيما لقسم الأمراض الباطنية)

حصل على شهادة الدكتوراه فى الأمراض الباطنية من القصر العينى وسافر إلى إنجلترا وحصل على شهادة عضو بكلية الأطباء الملكية فى لندن .

وعاد إلى القصر العينى ليعمل من جديد وفتح عيادة تدر عليه المال الوفير واشترى عربة ليزور بها مرضاه وكان يمكن لمثله أن يستريح وأن يقنع بذلك ولكنه قرر غلق عيادته وبيع سيارته وسافر إلى أمريكا لمدة سنة ليستزيد من الدراسة وليكون ملماً بما يجرى فى أكبر معاهد العلم هناك .

ولقد ازداد ثقة من هذه الدراسة بقيمة الكيمياء الحيوية فى تطور الطب الباطنى ففكر حين عاد من أمريكا هو والأستاذ الدكتور محمد شفيق الريدى (وهو من طراز فريد بين المصريين معروف بأبحاثه العالمية فى الكيمياء الحيوية واسمه منشور فى أمهات الكتب الانجليزية)

فى انشاء وحدة البحوث الطبية للأيض (التمثيل الغذائى = ميتا بولزم) وفيها

تبحث اضطرابات التغذية واضطرابات الغدد الصماء واضطراب التمثيل الغذائى فى قسم الكيمياء الحيوية بكلية الطب (جامعة القاهرة)١٩٥٢ ثم انتقلت وأصبحت وحدة من وحدات المركز القومى للبحوث وكانت ومازالت أنشط وحدة علمية طبية وتنشر أبحاثها فى جميع المجلات العلمية والطبية فى الداخل والخارج وحين عاد الدكتور أنور المفتى إلى مصر بدأ نشاطه الذى لا يحد فى خدمة كلية الطب والمرضى والمجتمع المصرى وعائلته فلقد وزع مرتبه حتى يوم وفاته إلى نصفين النصف الأول لشراء الكتب والنصف الثانى كمرتبات ثابتة لأقاربه المعوزين والمرضى المحتاجين وكان يساعد بعض العجزة بشراء ما يمكنهم بالبدء فى عمل جديد مثل صندوق بيع السجاير أو شراء دراجة لمقعد وهكذا من صنوف البر المختلفة وكان يولى كل عمل تولاه جهده كله ويقوم بأبحاثه على أسس علمية من ذلك أبحاثه على التمثيل الغذائى ويقوم شقيقه الدكتور على المفتى بطبعها ونشرها ليستفيد منها الباحثون ويرجعون إليها عند الحاجة وكان مقرراً للجنة اصلاح القرية فبلور مقترحاتها وقراراتها بالشكل الآتى .

(المسح ـ التقسيم ـ التنمية تنبع من قلب القرية الاهتمام بالعنصر البشرى ـ صقل القيادات المحلية — دور الحكم المحلى فى التنفيذ ـ التكامل (مشاكل القرية كل لا يتجزأ) التدرج فى توفير الخدمات .

وكان طريقة الذى رسمه لحل المشاكل هو :

١ ـ طريق الدراسة العلمية لكل المشاكل .

٢ ـ طريق ربط المشاكل الصحية بمشاكل المجتمع .

٣ ـ طريق الأهتمام بأعماق المسائل لا مظاهرها فحسب .

٤ ـ طريق الأهتمام بالوسيلة والهدف لا بالهدف وحده .

٥ ـ طريق النزاهة والأمانة والتضحية وأنكار الذات ولقد طبق ذلك عمليا بذهابه إلى قرية سحالى فى أول أغسطس ١٩٦٢ مع ثمانية أطباء وكان فى كل مجال

يذكرهم ولا يذكر اسمه إلا بعد آخر أسمائهم وكان ذلك مصدر سعادة له عبر عنها بقوله (كان الفريق الباحث يداً واحدة وقلباً واحداً مما يبشر بالمستقبل الزاهر الذى ينتظر أمتنا عندما تتعلم كيف يكون العمل فى فريق يتفانى فيه كل الأفراد وينسى كل واحـــد نفسه فى سبيل الفريق) وبحث القرية من جميع نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ومعتقدات الأهالى وكيفية معالجة كل هذه النواحى كل هذا وفقاً لخطة واعية هى أثمن ما تركه لنا أنور المفتى وهى لاتزال بين أيدينا ولكن للأسف على الورق نستطيع أن نجعلها دستوراً للعمل الثورى المطلوب للريف .

وكتب فى ٣٠ أغسطس ١٩٦٢ وهو آخر أيام التجربة (أرجو أن تذكر جميعاً أننا هنا لعلاج القرية وليس لعلاج أهلها فقط وأن الوقاية خير بمراحل من العلاج لقد ذهبت لزيارة قرية أنور المفتى (سحا لى تسابقاً) فوجدتها قد عادت كما كانت فى خمولها وقذارتها وكأنها لم تركل هذا النشاط الذى قام به أنور المفتى وكانت صدمة لى لايمكن وصفها ولكن يمكن أن يقال بأنها فقدت رائدها فعادت كما كانت وبفحص البحوث التى نشرت بمجلة الكيمياء للجمهورية العربية المتحدة وألقيت فى المؤتمر الكيميائى الخامس (ديسمبر ١٩٦٢) .

وجد أن بحث المغفور له الدكتور أنور المفتى وزملاؤه الدكتور خطاب والدكتور فايق والدكتور محمد شفيق الريدى عن تأثير بعض السكريات على أيض الدهنيات فى الجسم الطبيعى نال جائزة قدرها خمسون جنيها .

وأرسل الأستاذ الدكتور احمد رياض تركى خطاباً لأسرته يشيد فيها بذكراه وأنه ترك أثراً لن يمحى فى محيط البحوث الطبية .

اختطفه الموت ونحن أحوج ما نكون إليه ونحن لانملك تفسيراً للإرادة الإلهية إلا أن نقول هكذا شاء القدر .

توفى رحمه الله فى ١٦ يناير ١٩٦٤ فخسر العالم الاسلامى والعربى بصفة عامة والمصرى بصفة خاصة خساره كبرى لاتعوض إذ فقد فيه المفكر والعالم والمصلح المثالى الذى نذر حياته كلها للإنسانية وترك ثلاث بنات هن (مائسة وماجده وأمانى) يسرن جميعا على منوال أبيهن .

وولد واحد هو أمجد أرجو أن يكون خير خلف لخير سلف .

خاتمة

لقد كثرت البحوث فى تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين وتجمعت لدينا حقائق كثيرة تتعلق بهذه العلوم ، وتحددت صورة التفكير العلمى العربى الإسلامى فى عصوره الزاهية وفى عصوره المنحلة .

والغرض من وضع كتابى هذا تقديم صورة واضحة للتفكير العلمى فى عصور الإسلام المختلفة من أول ظهوره حتى الآن .

ويخطىء الذين يدرسون تاريخ العلوم ليتبينوا فى علوم السابقين شيئاً نجهله اليوم فلقد تقدم العلم فى العصر الحديث بدرجة مذهلة فاقت ما كان يتصوره العقل البشرى فى أى زمن من الأزمان السابقة ؛ فلقد دق الإنسان أبواب القمر ، ودار حوله عشر مرات ثم عاد إلى الأرض خارجاً من جاذبيته ، وعرف كيف يمر بمنطقة الغلاف الجوى ويصل إلى الأرض سالما ، بل ويسير فى الطريق الذى رسمه له تماما .

* * *

لم أحاول تغيير الحقائق لأشيد بمجد طائفة معينة من العلماء العرب والمسلمين حتى تتفق من أية نزعة دينية أو قومية ، ولكن بحثى كان مقصوراً على إبراز الحقائق فى هذه الحقب وتتبع خطوات الطب وتطوره .

ولم أشأ أن أجعل بابا مستقلا للطب البابلى فلقد ثبت أن معرفة قدماء المصريين للطب أسبق من البابليين ولذا أوضحت البرديات المصرية كثيراً عن الطب المصرى أما ألواح الطين الأشورية فلم تعطنا غير شذرات منفصلة مبعثرة ومعرفتنا بالطب البابلى ترجع إلى وثائق وجدت فى خزانة كتب الملك آشور بانيبال (٨٨٦ — ٦٢٦) ق . م

وأعظم وثيقة تتعلق بالطب البابلي هي قانون حمورابي[1] الذى يتصل بالجراحين فقط إذ كان الطبيب الباطنى شخصاً مقدساً بعيداً عن طائلة القانون أما الجراح فصاحب حرفة يجزى خيراً إذ أحسن عمله ويعاقب إذا أخفق وسأنقل هنا دستور ونصوص مواد القانون لا لكونها أقدم قوانين طبية فى الوجود فحسب بل لأنها تلقى ضوءاً كاشفاً عن الحضارة البابلية بوجه عام .

المادة ٢١٥ :

أذ أجرى جراح عملية كبيرة لنبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وأنقذ حياة النبيل أو إذ أفتح محجر عين نبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وأنقذ عين النبيل فيأخذ عشرة شيقلات من الفضة أجراً له .

المادة ٢١٦

وإذا كان المريض من الطبقة العامة فيأخذ خمسة شيقلات .

المادة ٢١٧

وإذا كان المريض عبداً لنبيل من النبلاء فعلى مالك العبد أن يعطى الجراح شيقلين من الفضة أجراً له .

المادة ٢١٨

إذا أجرى جراح عملية كبيرة على رجل شريف بمبضع من البرونز وتسبب عن ذلك موت النبيل أو إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء وتسبب عن ذلك تلف العين فتقطع يد الجراح .

المادة ٢١٩

إذا أجرى جراح عملية كبيرة على عبد نبيل من النبلاء بمبضع من البرونز وتسبب عن ذلك موت العبد فسوف يعوض النبيل عبداً بعبد .

---

(١) جورج سارتون — تاريخ العلم الجزء الاول .

المادة ٢٢٠ وإذا فتح جراح محجر عين عبد بمبضع من البرونز وأتلف عينه فسوف يدفع نصف ثمنه من الفضة

المادة ٢٢١ إذا جبر جراح عظم نبيل من النبلاء أو إنه عالج عضلاملتويا فشفاه فعلى المريض أن يدفع خمسة شيقلات من الفضة أجره إلى الجراح

المادة ٢٢٢ وإذا كان المريض من الطبقة العامة فإنه يدفع ثلاثة شيقلات من الفضة

المادة ٢٢٣ وإذا كان المريض عبد رجل شريف فعلى مالك العبد أن يدفع شيقلين من الفضة أجرة للجراح.

ويمتلىء الطب البابلى بالتعاويذ ويختتم قانون حمورابى بمدح مفرط للملك العادل وعلى الشعب أن يطيعه ويستنزل اللعنات على من يعصاه وبعض هذه اللعنات خاص بالطب مثال ذلك .

عسى الآلهة (ننكراك) ابنة الآله (آنوم) التى تسيطر على أفراجى فى (أيكور) أن تنزل بأعضائه مرضا عضالا فينقلب على حياته مرض خبيث وقرحة مهلكة لا يمكن علاجها ولا يستطيع الطبيب أن يشخصها أو أن يخنقها بالضماد ولا يمكن أزالتها مثل عضة الموت وعساه أن ينوح على فقد قوته) .

ولذلك لا يبعد الباحث عن الواقع إذا هو اعتبر الطب البابلى (ثيوقراطيا) فالآلهة خالقة كل خير وشر والأمراض دلالات على سخطها التى تقصر عنه الأفهام وأنواع العلاج مخففة مسكنه والطريق الوحيد الأكيد لشفاء المريض لا يكون إلا فى ترضية الآلـه التى أنزل المرض به .

ولم أستشهد بأى مستشرق إلا ما كان متفقاً مع الحقيقة والواقع وكان متفقاً مع المنطق والعقل .

ولقد تركت الحقائق تتحدث عن نفسها لأبين قيمة الأطباء العرب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية الذين مهد لهم أمراء المؤمنين وعملاؤهم فى الإمبراطورية الإسلامية مكاناً فى الخدمة العامة بما بذلوه لهم من مال وما ساندوهم فى أعمالهم

دون النظر إلى دينهم أو قوميتهم ، ولقد رجعت إلى المصادر الأولى فى مختلف التطورات الطبية ونقلت منها ما يفيد القارىء والطبيب على أن يعرف كيف تطور الطب فى عهد أجدادنا فى مصر التى قادت الأمم فى فجر التاريخ وأجدادنا فى الإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف التى قادت الأمم فى ضحى التاريخ .

ومن هذا الذى دونته فى الكتاب يستطيع القارىء الكريم أن يحدد أسلوب مختلف العصور فى التفكير وحظهم من العلم .

ويجب أن نضرب صفحاً عن وصف ابن أبى أصيبعة من أن فلاناً كان واحد دهره وفريد عصره ولا ماجاء مما لا يتفق وطبائع الأشياء .

ولا يهمنا أيضاً أن يهاجمنا مستشرق جاهل متعصب يريد أن يغض من علم العرب والمسلمين لأنهم عرب ومسلمون ، ولا يمكن وضع ما اعتبر حقائق فى العالم القديم بمنظار الحقائق العلمية الموجودة اليوم ، ولا يمكن مناقشته اليوم على أسلوب العصر الحديث ، ولكن يمكن أن ترد أقوالهم إلى طبائع الأشياء والناس والحياة فى العصر الذى يعيشون فيه .

ولقد ذلل لى كتاب ابن أبى أصيبعة الأصلى وتلخيصه الذى وضعه الدكتور نزار رضا ومعجم الأطباء للدكتور أحمد عيسى بك ومتنوعات الدكتور محمد كامل حسين السبيل ما يفيد الأطباء والقارىء الكريم والذى كان يهمنى هو الدور الفعال الذى قام به الأطباء المسلمون فى ضحى التاريخ من أمثال الرازى وابن سينا وأبو القاسم الزهراوى وابن النفيس وما قاموا به فعلا فى تقدم الطب والعلاج وما يعتبر مصدر فخر لنا فى الماضى وفخر لنا فى الحاضر ، لأنهم كانوا المشكاة التى أنارت الطريق للطب الحديث فى العالم كله وبينت كيف أن كتب ابن سينا كانت الكتب المتداولة فى الغرب إلى القرن الثامن عشر ، واستمرت قروناً وهى محل الاحترام والتبجيل وكانت فى العصر المتوسط مساوية لكتب جالينوس الطبية التى استقاها من طب أجدادنا قدماء المصريين ، وبينت أن ابن النفيس أول من عرف الدورة الدموية وكيف كان الرازى أول طبيب إكلينيكى فى العالم .

وكيف كان أبو القاسم الزهراوى أول جراح فى العالم ، وبينت مقدار تسامح المسلمين وأمرائهم مع الذميين حتى أتاحوا له الفرصة أن يعملوا ويظهروا .

ولقد أبرزت ماقام به أطباؤنافى العصر الحديث من أمثال الدكتورعلى إبراهيم الذى نشأ فى ظروف بالغة القسوة ، كما بينت فى تاريخه كيف تخطى كل العقبات التي بذلت لصده عن التعليم ، وكيف قاوم وكيف نجح حتى وصل إلى عميد كلية الطب ليشيد للأمة العربية والإسلامية هذه الصروح الطبية الشامخة التى يملأ خريجوها أرجاء العالم العربى والإسلامى وأصبحت أبحاثهم الطبية مرجعا من المراجع العالمية ولقد اظهرت الأبحاث الطبية لأساتذة أجلاء من أمثال الدكتور سليمان عزمى والدكتور عبد العزيز إسماعيل والدكتور محمد خليل عبد الخالق والدكتور أنور المفتى .

وأنى لأقدم أخلص الشكر وأجزله للعالم المحقق واللغوى الكبير الأستاذ حسن جبر الجافى علي ماقام به من جهد لتصحيح الكتاب من الوجهة اللغوية .

وهذه الابحاث الطبية تعتبر فتحا جديدا للطب فى العالم الحديث، وبذلك ظهر بما لايدع مجالا للشك أن الطبيب العربى المسلم حين تتاح له الفرصة يصبح مساويا للغير على الاقل إن لم يفقه

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فى إبراز ذلك كله .

والسلام على من إتبع الهدى .

الدكتور

محمود دياب

مراجع البحث

(١) القرآن الكريم والأحاديث النبوية .

(٢) الإسلام والطب الحديث تأليف الدكتور عبد العزيز إسماعيل «الطبعة الثانية مارس سنة ١٩٥٩» .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ـ لابن أبى أصيبعة .

(٤) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ـ لابن أبى أصيبعة . » تحقيق وتلخيص الدكتور نزار رضا — بيروت .

(٥) معجم الأطباء من ٦٥٠ هجرية إلى يومنا هذا «ذيل عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة . تأليف الدكتور أحمد عيسى بك « الطبعة الأولى ١٩٤٢ ميلادية — القاهرة .

(٦) الحضارة الطبية المصرية القديمة ـ تأليف الدكتور بول غليونجى والسيدة زينب الدواخلى « الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة .

(٧) متنوعات ـ تأليف الدكتور محمد كامل حسين — القاهرة .

(٨) ابن النفيس بقلم الدكتور بول غليونجى « أعلام العرب » رقم ٥٧ « الدار المصرية للتأليف والترجمة » .

(٩) الشيخ الرئيس ابن سينا ـ تأليف عباس محمود العقاد سلسلة أقرأ ٤٦ القاهرة .

(١٠) الطب المصرى القديم ـ تأليف الدكتور نجيب رياض سلسلة (الألف كتاب) رقم ٢٧٧ — القاهرة .

(١١) مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم « الأعداد ٢ ، ٣ ، ٤) القاهرة ـ دار مصر للطباعة .

(١٢) الطب العربى ـ تأليف أدوارد . ج براون مراجعة الدكتور العقبى «سلسلة الألف كتاب» ٦٣٠ .

(١٣) تاريخ العالم المجلد الرابع ـ تأليف السيرجون أ. هامرتون مترجمة — مكتبة النهضة المصرية .

(١٤) تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمة الدكتور عبد الحليم منتصر ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٩ .

(١٥) مجله طبيبك السورية ـ العدد ١٥١ السنة ١٣ مارس سنة ١٩٦٩ .

(١٦) أبو بكر الرازى رسائل فلسفية ـ تحقيق بول كراوس نسخة بمكتبة جامعة القاهرة .

(١٧) اصطلاحات الصوفية ـ لعبد الرازق السمرقندى الصوفى نشره الدكتورا. اشبر نجره

(١٨) تاريخ الطب بالإنجليزية ـ تأليف الدكتور أرتورو كاستليونى مؤلف بالإيطالية ترجمة الدكتور كرومبهار إلى الإنجليزية طبعة كنوب نيويورك ١٩٤٧

(١٩) الطب العربى بالإنجليزية من ابن سيناء إلى ديبيكى بقلم لبسلى فارمر — مجلة أرامكو عدد يناير وفبراير سنة ١٩٦٩ .

(٢٠) تاريخ العلم الجزء الأول — تأليف جورج سارتون

(٢١) عظماء عصاميون ـ دار الهلال

(٢٢) الخطط التوفيقية ـ لعلى باشا مبارك.

(٢٣) نيل الوطر ـ لمحمد بن يحى زيادة .

(٢٤) تاريخ البعثات ـ للأمير عمر طوسون .

(٢٥) الوافى بالوفيات ـ للذهبى .

— —

(٢٦) شذرات الذهب .

(٢٧) العرب واليهود ـ تأليف الدكتور على حسنى الخربوطلى.

(٢٨) إله اليهود وتاريخهم ـ تأليف ماكس ديموت.

(٢٩) رسالة فى الرازى مخطوط مارش.

(٣٠) رسالة فى الرازى ـ مخطوط بودليانا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور محمود دياب

(١) تخرج من كلية الطب عام ١٩٣٢

(٢) يحرز بكالوريوس الطب والجراحة

ودبلوم التخصص فى الجراحة العامة

ودبلوم التخصص فى جراحة الأذن والأنف والحنجرة

إشتغل فى أكثر وظائف وزارة الصحة الفنية

(٤) أبحاثه العامة

١ — السودان من الوجهة السياسية

٢ — كيف ندافع عن قضية مصر أمام هيئة الأمم المتحدة

٣ — قناة السويس

٤ — موقفنا من العروبة والشرق الأوسط

٥ — اللاجئون العرب فى فلسطين

٦ — الشرق الأوسط كما رأيته

٧ — أوربا كما رأيتها

أبحاثه الطبية

١ — الدستور الصحى للجمهورية العربية المتحدة بحث تناول إصلاح نظمنا الطبية .

٢ — صحة اللاجئين العرب

بحث شامل كان محل تقدير جامعة الدول العربية فاختارته عضواً فى لجنة الصحة والخدمات الاجتماعية الخاصة باللاجئين العرب .

٣ — الخدمات الصحية لعمال الزراعة والصناعة

بحث قدم بصفته أحد الخبراء الصحيين العرب لحلقة الدراسات الاجتماعية فى بغداد وكان محل تقدير الصحة العالمية

٤ — اختاره المجلس الأعلى للعلوم عضوا فى مؤتمر التدريب والتعليم الطبى ١٩٥٩

٥ — دراسات عديدة عن نقابة الأطباء

٦ — الصم والبكم فى مصر وانجلترا .

٧ — أبحاث عن مستشفيات إيطاليا وسويسرا وفرنسا وانجلترا وتركيا وليبيا والسودان .

مؤلفاته :

١ — اسرائيل بين البداية والنهاية

٢ — الطب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٥	١	اعترف	اغترف
٣٨	١٨	لفكوين	لتكوين
٤٢	٥	الاسلبيون	الاسكلبيون
٤٤	٢٣	الميثه	آلهيه
٤٨	١١	يحطها	يحملها
٤٨	١٦	تحطه	تحمله
٦١	١٨	الحميت	الحيات
٦٤	٦	ثم	أم
٦٨	٦	وسعت	وسمت
٧٢	١٢	الإسلام	الأسبان
٧٧	٥	ماسربه	ما سويه
٨٢	٥	تحيا جونها	يحاجونها
٩١	١٥	ها	هنا
٩٧		آية النمل وضعت خطأ وهى ليست طبية	
١٠٤	٧	تيار	نار
١٠٨	٧	أيها المدعى	أيها الملك
١١٠	٦	النصر بن الحارس بن وكلده	النضر بن الحارث بن كلده
١١٧	١٥	اسم	أعم
١٢٢	١٢	قتله	قتلته
١٢٢	١٤	الحارس	الحارث
١٣٥	١٥	العامة	العاصمة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٣	١٢	يسحط	يسخط
١٤٩	٨	اليهـــوى	اليهودى
١٥٣	١٥	استوصمت	استوحت
١٥٥	٤	لرداء	لدواء
١٥٥	٦	قال له أمير المؤمنين	قال له أمر أمير المؤمنين
١٥٧	١٤	ليـــتم	لتـــيم
١٦١	١٨	المشوبوبن	المشهورين
١٦٢	٨	قـــديماً	نديمـــاً
١٦٣	١٠	ســـلويه	ســـلويه
١٧٦	٨	ابن زهران	ابن زهر
١٨٢	١١	ومؤرخو	تور
١٨٣	٣	لحق	لحقن
١٨٤	١٦	سرقنوس	سرقنوس
٢٠٢	١١	يصرف	يصف
٢١١	١٧	ما بين الطبيعة	ما بعد الطبيعة
٢١٤	٩	اتصلت بها	اتصلت بهاء
٢١٦	٢	الشاغلة	الشاملة
٢١٦	١٢	لدفان	لوقان
٢٣٧	٨	والأستنشاق منه	تشطب
٢٣٩	٥	الصائبين	الصابئين
٢٥٥	٢	الأهـــلال	الأصـــول
٢٥٧	١٥	قرأنا	قرآنا
٢٥٨	٣	له للشافانى	له الشانانى
٢٦٢	٧	مجموعة سائل	مجموع مسائل

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٦٢	٩	وسمـــاء	وسمـــاه
٢٦٦	٦	الأمويين	الأيوبيين
٢٦٧	٩	قال عن ابن	قال عنه ابن
٢٦٧	١٦	بورهان	بورهاف
٢٦٧	١٩	قال ابن أبي المجد	قال أن أبي المجد
٢٦٩	٣	أن تبق	أن نصا نيق
٢٧٢	١٣	الصحة المدرسة	الصحة العمومية
٢٩١	١٥	لا يستحيل	يستحيل
٢٩٢	١٨	غير زمنه	غير ذمته
٢٩٦	١٧	لم يخرج التيه	لم يخرج من التيه
٣١٠	١	جزيويل	جرينويل
٣١٣	١٠	بواقيت	يواقيت
٣١٤	٣	تعلم بادى	تعلم مبادىء
٣٤١	٤	التاسـع	التاسع عشر
٣٤٥	١٤	ميخاتيلو بردنى	ميخائيلو بردنى
٣٤٧	١٩	بورجنز	يورجنز
٣٥٢	١٣	أخضر شيئاً	شيئاً أخضر
٣٦١	٣	أنت	أنست
٣٦٢	١٤	جنون	جفـــون

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٧٧/١٩٧٠

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصمعي بالزيتون ت ٨٢٦٨٧١


مكتبة الأنجلو المصرية